لسان الشركس

لسان الشركس

شفيق توفيق إسماعيل

Исмаил Шэфикъ

اسم الكتاب: لسان الشركس.
المؤلف: شفيق توفيق إسماعيل.
سنة الطباعة: 2019.
الترقيم الدولي: ISBN 978-9933-18-870-2

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:
دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع



يطلب الكتاب على العنوان التالي:
دار ومؤسسة رسلان
للطباعة والنشر والتوزيع
سوريا ـ دمشق ـ جرمانا
هاتف: 00963 11 5627060
هاتف:00963 11 5637060
فاكس: 00963 11 5632860
ص. ب: 259 جرمانا
darrislansyria@gmail.com

الإهداء

إلى والدتي

التي علمتني

لسان قومي.

المقدمة

يقولُ الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «قيمةُ الإنسان ما يُحسنه» لقد فكرتُ كثيراً أن أخطَّ هذا الكتاب، الذي هو عبارة عن بحثٍ حول لسان الشراكسة عبر التاريخ، مع بيان أهمية اللغة، وأذكر بعض آراء الكتاب والتعريف بهم.

قيل في المثل الشركسي: «العالِم لا يقول والقائل لا يعلم» حيث أن الدراسات في هذا المجال كانت قليلة، ومن المؤسف عدم اهتمام الباحثين بهذا الأمر الاهتمام الكافي، و قد يقول البعض: ما الفائدة التي ترتجى من هكذا بحث؟ قال أحدهم: أنا تعلمتُ العربية وتخرجت من قسم اللغة العربية مع أنني في صغري لم أكن أعرف أية كلمة عربية قبل الدخول إلى المدرسة، وإن تعلم أية لغة أمر سهل. هكذا تحدث أحد المفتشين في التربية.

نسّي هذا الأستاذ أنه عاش بين العرب حوالي خمسين سنة، وهي فترة كافية لاكتساب العربية وإتقانها ورغم تخرجه من كلية الآداب إلا أن لهجته تفصح عن كونه غير عربي.

إن تعلم لغة ما للتواصل مع أصحاب اللغة أمر يسير، وهذا هو وضع الأستاذ الذي تحدثت عنه آنفاً حيث قالها ضمن محاضرة له. فيكفي مثلاً أن أتعلم ألف كلمة إنكليزية لأعيش في لندن وأبيع وأشتري، أذهب إلى العمل، أستأجر وأنام... الخ. لكنني لا أستطيع أن أجلس وأكتب شيئاً بالإنكليزية ذات طابع أدبي جمالي، ما لم أمارس القراءة والكتابة وأطلع بشكل كاف لأعلم خفايا الأدب الإنكليزي، وكيف يفكر الإنكليز وكيف يتكلمون وما يستعملون من تشابيه وعبارات، ومواضع الفكاهات والهمهمات... الخ. وإلا جاء ما أكتبه مفككاً ومضحكاً يستطيع في نفس الوقت أي طالب إنكليزي أنهى الإبتدائية أن يكتب مثله وأفضل.

نقول: نحن نعرف اللغة الشركسية، ولكن ما مدى معرفتنا بها؟ هل نتكلم بهـــا فـــي مجالسنا؟ كم هي الكلمات التي نعرفها؟ ألف، ألفان، ثلاثة؟ بالطبع بمثل هذه الإمكانية لا نستطيع كتابة موضوع أدبي أو شعري رفيع المستوى. وهذا ما حدث مع البعض الذين حاولوا إلقاء قصائد بالشركسية مثلاً، حيث كانت هشة مضحكة.

لا يكفي التكلم بالشركسية لنقول إننا نعرف هذه اللغة، حيث يجب أن نكتب بهـــا، ونستعمل أساليب وفنون اللغة من الطباق والتشبيه والتصوير وغيرها... وطالما لا نعرف ذلك فلسنا سوى أميين.

ومن ناحية أخرى يتناول هذا الكتاب المراحل التاريخية التي مرت بها اللغة لأنني أعتقد أن على الإنسان أن يبحث في ماضيه وينقب عنـــه، لاســـتخراج النفـــائس، وليكشف الأخطاء ليتجنبها ويستند على أساس صحيح لبناء حضارة الأمة.

كما يقول الكاتب رسول حمزاتوف بأنه لا فرق بين صغير وكبيـــر، والضـــيف يصبح أجل من رب البيت، «الضيف يستقبل عند عتبة الباب، ويتم إيصاله إلـــى صدر البيت دون سؤاله، الضيف في الجبال يظهر دائماً على غير توقع لكنـــه لا يفاجئنا أبداً، لا يباغتنا، لأننا ننتظره كل يوم، كل ساعة، كل دقيقة، وكالضيف في الجبال أتتني فكرة هذا الكتاب»[1].

أستدرك وأقول لست عالم لغات ولكنني جمعت وبحثت وتقصيت، ثم سطرت ما توصلت إليه بين دفتي هذا الكتاب راجياً من الله تعالى أن أكون قد وفقـــت فـــي سعيي هذا.

وكما جاء في المثل الشركسي: «كل الغلال لا يسعها كيس واحدة وكل العلوم لا يستوعبها رأس واحد»[2]. وهذا الكتاب بهذا المعنى يكون ســـهماً فـــي الاتجـــاه الصحيح ليس أكثر والله الموفق.

المؤلف

---

(1) بلدي تأليف رسول حمزاتوف، ص62.

(2) الشركس تأليف محمد خير حغندوقه، ص78.

تقديم

بقلم منير نوح بشمق

«إنها أفضل لغة في العالم» هكذا ختم أحد المشاركين في جلسة «دردشة» بين زملاء العمل، وبالطبع كان الحديث يدور حول اللغة العربية ومزاياها، عندها سألته: أنا موافق معك على كونها من اللغات العريقة والقوية والغنية بمفرداتها و.. الخ ولكن كيف استنتجت بأنها أفضل لغة في العالم؟! هل تعرف على لغات أخرى غيرها حتى قمت بالمقارنة ثم توصلت إلى هذا الحكم؟! أجابني بارتباك واضح: لا، إنني لا أعرف غير العربية وقليلاً جداً من الفرنسية. قلتُ: إذاً لا يحق لك أن تطلق حكماً على هذا النحو.. وبما أنني أتقن العربية مثلك إضافةً إلى لغتي الشركسية وأمتلك رصيداً مقبولاً من اللغة الإنكليزية، أستطيعُ أن أجزم بأن لكل لغة في هذا العالم مزايا خاصة بها تنفرد بها عن باقي اللغات ولا تستطيع لغة أخرى أن تضاهيها، وليس من الصواب أن تقول بجودة لغة ما وتنسب الرداءة لأخرى، كما أن عدد أحرفها أو ندرة بعض هذ الأحرف لا يمكن أخذها كمعيار على جودة اللغة وعراقتها، فأنت عندما تحاول ترجمة بعض العبارات أو الكلمات من لغة إلى أخرى، فإن كل القواميس تقف عاجزة عن إمدادك بالكلمة أو العبارة المناسبة وتكتفي بأقرب معنى تستطيع الحصول عليها، لأنك لن تجد الكلمة المطلوبة تماماً لأن اللغة نتاج فكر الأمة وكل أمة لها خصائصها وشخصيتها المتميزة ومما لا شك فيه هو أن اللغة هي أقوى رابط بين أفراد الأمة الواحدة، والدليل البسيط على هذا هو أنك عندما تكون في بلدٍ أجنبي وتسمع أحداً ما يتحدث بلغتك فإنك تأنس إليه وتنجذب نحوه غريزياً وكأنك التقيت بأحدٍ من أهلك.

ومن هذا المنطلق وبالعودة إلى هذا العمل الكبير الذي نحن بصدده للأستاذ شفيق

إسماعيل أستطيع القول بأنه أحاط بموضوع اللغة وأهميتها في حياة الشعوب عامة واللغة الشركسية على نحو خاص إحاطة جيدة وغطى مختلف جوانبه، ليس على المستوى النحوي والصرفي وإنما على المستوى الأدبي والفكري والاجتماعي مع جهود كبيرة في عمل شبه إحصائي للأدباء والكتاب والمفكرين الشراكسة وذكر أهم نتاجهم الأدبي والفكري منذ عصر السلاطين «المماليك» وحتى أيامنا هذه في مختلف أنحاء العالم.

كذلك تطرق الكاتب إلى موضوع اللهجات الشركسية وعن إمكانية توحيدها ضمن لهجة أدبية واحدة وأعطانا فكرة واضحة عن المحاولات الكثيرة التي سبقت اعتماد الأحرف السلافية في كتابة اللغة الشركسية. مع ذكر المجلات والصحف والمؤلفات... الخ التي صدرت باللغة الشركسية أو بغيرها من قبل الشراكسة وسواهم.

إنه كتابٌ قيّم يقدم معلومات مهمة عن اللغة الشركسية وعن الأدباء والمفكرين والكتاب الشراكسة ونتاج فكرهم وأعتقد أن كل منزل شركسي يجب أن لا يخلو منه عندما يرى النور قريباً.

ولا بدَّ لي من توجيه الشكر والتقدير للمؤلف على الجهود التي بذلها في سبيل تجميع هذه المعلومات وإيصالها إلى كل المهتمين بلغتهم وأمتهم أينما كانوا والله الموفق.

الباب التمهيدي

ماهية اللغة؟

أمام الكمِ الوفير من اللغات في العالم، يحقُ لنا أن نتساءل عن ماهية اللغة؟ وللجواب على هذا التساؤل يجب الخوض في مواضيع مختلفة، وهو بحثٌ بحد ذاته واسع، إننا نرى لغات بالكاد نستطيع التمييز بين أحرفها، وحينما نستمع إليها بالكاد نتعرف على أصواتها، نجد إزاء ذلك كل جماعة تتكلم لغتها وتفتخر بها، وتحاول الحفاظ عليها، مهما تكن. هذا مع العلم أنها اتخذت لنفسها لغة أخرى لأسباب سياسية (لغة البلد المستعمر)، أو لسبب ديني يفترض القيام بشعائره لغة محددة، أو لأسباب إرادية اقتضتها الضرورة، للتمكن من الاتحاد والتفاهم والتعايش بواسطتها مع الآخرين، وهناك أسباب أخرى لا مجال للخوض بها كلها.

مع كل ذلك، نجد أن لكل جماعة لغة خاصة بها، مع اعتمادها على لغة رديفة في معاملاتها ودوائرها الحكومية أحياناً، و لكن لا تنسى لغتها الأصلية، بل تتفاخر بها.

إن البحث في تاريخ اللغات وأسبقيتها، و أصولِ الكلماتِ له أهمية خاصة، حيث يُعتمد على اللغة في تحديد أصول الأقوام حسب بعض النظريات. ثم أن الأمم التي تتشابه لغاتها تدّعي كل أمة منها، أن تلك الكلمات هي من صميم لغتها، عملاً بقوله تعالى: **{كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}**[1] وقد أدى ذلك إلى احتدام المناقشات في هذا الصعيد [2].

وسأوضح ما أمكنني من بعض الجوانب المتعلقة بهذه الموضوعات في الفصول القادمة.

([1]) قرآن كريم ـ سورة المؤمنون ـ آية 53.

([2]) معيار اللغات: تأليف عمر رفقي جه جوق، ص5.

الفصل الأول
تعريف اللغة

المبحث الأول: تعريف عام للغة

اللغة: هي مجموع ما يتكلم بها جماعة من الناس، يتفاهمون بها، فيما بينهم، وتكون مؤلفة من فقرات، وجمل مركبة من كلمات دالة على معاني الأسماء، أو أفعال معينة، وهذه الكلمات مؤلفة إما من مقاطع كلامية، أو حروف تجمع بشكل معين، تعطي معنى محدداً، لدى السامع العارف، والمتكلم بتلك اللغة، ونعني بالحروف: «هي كيفيات الأصوات الخارجة من الحنجرة، تُعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة، وأطراف اللسان مع الحنك، والحلق والأضراس، أو بقرع الشفتين أيضاً فتتغاير كيفيات الأصوات بتغاير ذلك القرع، وتجيء الحروف متمايزة في السمع، وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر، وليست الأمم كلها متساوية في النطق بتلك الحروف، فقد يكون لأمة من الحروف ما ليس لأمة أخرى والحروف التي نطقت بها العرب هي ثمانية وعشرون حرفاً»[1].

وقد تتفاوت عدد الحرف من لغة لأخرى، فقد تجدها في لغة قليلة وفي لغة أخرى كثيرة، مع العلم أن أية لغة تكون أحرفها في الأصل قليلة، ولكن مع تكاثر عدد أفراد الأمة وتباعدها عن البيئة الأصلية في السكن ضمن أقاليم مختلفة، قد يتغير لديها صوت لفظ الحروف، حيث تظهر أصوات أخرى مع مرور الزمن، وتتشكل أحرف جديدة ما لم يكن للغة ضابط معين، ومع استمرار هذه الظاهرة تتشكل أصوات جديدة وبالتالي أحرف جديدة.

فلدى المتكلمين بالعربية مثلاً، نجد أن لكل قطر لهجة معينة تختلف عن لهجة قطر عربي آخر، قد لا يتفاهمون إلا بعد فترة من بقائهم معاً، وحتى في نفس

---

(1) مقدمة ابن خلدون: تأليف عبد الرحمن محمد بن خلدون، ص33-34.

القطر، قد تكون لهجة الشمال مختلفة عن لهجة الجنوب، وذلك في كيفية إخراج أصوات الحروف، فمثلاً يلفظ حرف القاف في الكلمات لدى البعض كالهمزة، لكن لفظها يختلف إذا حوت الكلمة على الهمزة، وهكذا في أحرف أخرى، وذلك بتشديد أو تخفيف للصوت.

ولكون القرآن الكريم نزل باللسان العربي كان ضبط عدد الأحرف العربية على الثمانية والعشرين بإرادة اللَّه تعالى، كلغة كتابية مع أن هناك لهجات ظهرت فيها أصوات أخرى متغيرة.

وقد يضبط عدد أحرف لغة ما إرادياً بعد دراسة وتمحيص وقد يحاول تقليلها لتسهيل تداولها، كأحرف اللغة الإنكليزية البالغة ستة وعشرون حرفاً. هذه العملية مكلفة كثيراً، ولا يمكن القيام بها، إلا في الدول العظمى والتي تتوفر لديها الإمكانيات والتقنيات العالية.

وبالعكس قد تجد جماعة لغوية أخرى، كثيرة الأحرف بدخول أصوات جديدة عليها ومع الزمن تصبح أحرف متأصلة فيها، كما هو الحال في اللغة الشركسية، حيث تصل الحروف إلى ست وستين حرفاً، نتيجة لظروف قاهرة حدثت لهم وتباعد سكناهم عن بعضهم البعض، وتغير شكل كتابة أحرفها عدة مرات لظروف سياسية قاهرة فرضت عليهم عبر مرور الزمن.

نجد مثلاً حرف الشين، باللغة الشركسية تلفظ بدرجات مختلفة، يتبعها صيغ كتابية نتج عنها عدة أحرف لحرف الشين بدرجات مختلفة وطبقات متميزة لصوت اللفظ بها، كما تجد ما يقابل الحركات في اللغة العربية كالكسرة والفتحة والضمة، رُسمت في اللغة الشركسية بأحرف تستعمل كتشكيل للكلمة، أو حروف صوتية كما هو الحال في اللغة الإنكليزية أو قد تكون كأحرف مستقلة.

هذا وقد لاحظ الشراكسة ذلك منذ فترة، فحاولوا توحيد الأحرف، واختصارها سواءً في الوطن الأم، أو في البلاد التي تم تهجيرهم إليها.

ففي سورية تم بحث الموضوع بشكل واسع من قبل لجنة لغوية شكلت في جمعية

التعليم والتعاون الشركسية بدمشق عام 1928.

وفي موطن الشركس في شمال القوقاز، نجد بعد انهيار النظام الشيوعي هنـــاك، وإعطاء الحريات للقوميات فيها، نجد أن البحوث والمــؤتمرات تعقــد لتوحيــد اللهجات الشركسية، وإعادة توحيد الكتابة، ومواضيع متفرقة متعلقة باللغة.

جاء في ميثاق قانون الجمعية الشركسية العالمية، التفكير بطريقة لإيجاد لغة كتابة موحدة للشراكسة[1] (وتسمى اللغة الأدبية) والمقصود من ذلك توحيــد اللهجــات المحلية لديها.

([1]) انظر جريدة شأن غوازا (الموسوعة) الشركسية العدد /6/ عام 1991 نالتشيك.

المبحث الثاني: تعريف كتب اللغة

المقصود من كتب اللغة هي المعاجم التي تبحث بالكلمات ومعانيها وهي ما تعرف بالقواميس.

جاء في مختار الصحاح[1]: «لَغَا – بفتح اللام والغين – يعني قال باطلاً، واللُّغة بتشديد اللام مع الضم – أصلها لُغَىٌ» – بضم اللام وفتح الغين وتنوين الضم للحرف الأخير – أو لُغَوٌ – بضم اللام وفتح الغين وتنوين الضم على الواو – وجمعها لُغًّى – بضم اللام وتشديد مع الكسر للغين.

وجاء في المصباح المنير[2]: لغا الرجل، تكلم باللغو، وهو أخلاط الكلام، واللَغو بفتح اللام في اليمين ما لا يعقد عليه القلب، واللغو: كلام لشيء لم تُرده، ولُغِيّ، بضم اللام وكسر الغين وتشديد الحرف الأخير – من باب تعب لهج به، ويقال اشتقاق اللغة من ذلك، وحذفت اللام وعوض عنها الهاء، وأصلها لُغْوَه – بضم اللام وسكون الغين وفتح الواو – مثل غرفة، وسمعت لغاتهم، أي اختلاف كلامهم.

وفي القاموس المحيط[3]: اللُّغَةُ – بتشديد وضم اللام وفتح الغين وضم التاء – أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، ج – لغات.

وجاء في منجد الطلاب[4]: اللُغَة – بضم اللام وفتح الغين – الكلام المصطلح عليه بين كل قوم، ج – لُغّى بضم اللام وتشديد الحرف الأخير – ولُغات – بضم اللام – ولُغون – بضم اللام.

هذا ولا تَرد كلمة لُغة في القرآن الكريم، وإنما ترد كلمة اللسان عوضاً عنها، وتستعمل اللسان ومشتقاتها لمعانٍ مختلفة، ولكن فيما نبحثه هنا نجد في منجد

---

(1) مختار الصحاح: تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ص600.
(2) المصباح المنير: تأليف العلامة أحمد بن علي الفيومي المقرى، ص212.
(3) القاموس المحيط: تأليف العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ص715.
(4) منجد الطلاب: تأليف فؤاد البستاني، ص687.

الطلاب[1]: لَسِنَ – لَسَناً بفتح اللام للكلمة الأولى وكسر السين وفتح النون، وفي الكلمة الثانية بفتح اللام والسين وتنوين نصب النون – فصح أو تناهى في الفصاحة والبلاغة، واللِسن – بكسر اللام – اللسان، اللغة، الكلام.

أما كلمة اللَسَن – بفتح اللام والسين – الفصاحة، ولسان العرب لغتهم.

وجاء في المصباح المنير[2]: واللسان – اللغة مؤنث وقد يذكر باعتبار أنه لفظ، فيقال لسانه فصيحة وفصيح، أي لغته فصيحة أو نطقه فصيح.

(1) منجد الطلاب: ص681.
(2) المصباح المنير، ص211.

البحث الثالث: اللغة عند الكتاب والباحثين

يقول الدكتور نياز باتوقة[1] عن اللغة: إنها واسطة ووسيلة وهي بمعنى الرمز أو الشيفرة، يمكن للمرء بموجبها أن يشترك مع غيره في الحديث ضمن مجموعة لغوية.

أما الدكتور أسعد أحمد علي[2] فيقول: «اللغة مادة التعبير اللفظي، والكتابي فكلام الناس المنطوق يصنع من قماشة اللغة، وكذلك ما يكتبه الكتّاب إنما يصوغون أنواعه من مادة اللغة».

أما جبران خليل جبران[3] فيقول: «إنما اللغة مظهر من مظاهر الابتكار في مجموع الأمة، أو ذاتها العامة، فإذا هجعت قوة الابتكار توقفت اللغة عن سيرها، وفي الوقوف التقهقر، وفي التقهقر الموت والاندثار».

وفي روسيا السوفييتية حيث تعدد القوميات ضمن الدولة الواحدة وكلٌّ تتجلى قوميته في ثقافته «تقاس درجة الوعي القومي بدرجة معرفة اللغة القومية»[4].

([1]) مجلة (النشرة الثقافية) العدد السادس آذار 1992 ـ دمشق ـ سوريا ص36.

([2]) فن الحياة فن الكتابة: تأليف الدكتور أسعد أحمد علي ص21.

([3]) مجلة (العربي) ـ الكويت العدد 366.

([4]) القوميات والدولة السوفياتية، تأليف هيلين كارير دانكوس، ص138.

الفصل الثاني
منشأ اللغات

كيف تنشأ اللغة؟ وكيف تتطور؟ ومن موجدها؟ وتساؤلات أخرى كثيرة.

لا شك أن الشعوب هي موجدة لغاتها ومطورتها، عبر الأزمان بإدخال كلمات ومصطلحات تستجد لاستعمالها. ولكن المهم أن تُمكن كل شعب من استعمال لغته.

بدأ الإنسان في إطلاق المصطلحات على المستجدات في حياته. وأول مُكتشف يُطلق عليه اسم يكون كما يقال (اسم على مسمى). وقد ينتقل هذا الاسم لشعب آخر، وتستعمل الكلمة لديها ولا يكون لها مدلول على هذا الاسم في لغتها.

نجد الشراكسة باعتبار لغتهم قديمة أنهم «وضعوا لغتهم على أساس إطلاق الاسم للشخص أو الحيوان أو النبات أو الجماد بالنسبة لأشكال المسميات وأفعالها وأوصافها الظاهرة الطبيعية»[1].

واللغات الحالية لم تكن بهذا الشكل قديماً «فإن جميع اللغات المكتوبة تم إيصالها إلى مستواها الحالي عن طريق الدراسة والبرمجة والتحديث عبر العصور الزمنية المختلفة، وعلى سبيل المثال فإن اللغة الروسية والألمانية قبل وصولهما إلى مستواهما الحالي كانتا عبارة عن عدة لهجات مختلفة لا يمكن التفاهم بين متحدثيها، ولم تكن لهذه اللهجات لغة كتابية مشتركة بينها إلا أنه وبمرور الزمن وإجراء العديد من الأبحاث فقد تمكنوا من تقوية العناصر المتشابهة بين اللهجات الأساسية المختلفة مع إزالة الفروقات بينها لإيصال هاتين اللغتين إلى مستواهما الحالي»[2].

([1]) معيار اللغات، ص5.

([2]) اللغات القفقاسية: تأليف نهاد برزخ، ص3.

لا شك أن هناك لغات أصلية تفرعت عنها اللهجات، وأصبحت على مرِّ الأزمان لغات جديدة، اختلفت عن أصولها. وهذا ليس بالشيء المستغرب، فإذا كـــان آدم عليه السلام أبو البشر فلا شك أنه تكلم بلغة ما والجماعات البشرية الأولى تكلمت بلغة، وعلى الأرجح كانت لغة وحيدة «ولكن ما هي تلك اللغة الأصـــلية التـــي تشعبت منها ألوف من الألسنة؟»[1].

(1) معيار اللغات، ص2.

المبحث الأول: نشوء اللغة نظرياً

مع وجود البشر في هذه الحياة، كان لا بد من لغة للتفاهم، نظرياً يمكن أن نتصور أنه بدأ الكلام بإشارات محددة لليد، ولكن طبعاً هذه لا تكفي إذ قد يحتاج إنسان ما لينبه آخرين غير متقابلي الوجوه فنشأت الحاجة إلى إصدار صوت.

اللغة كانت في البداية أصوات محددة، وللحاجة ظهرت أصوات تتمايز لتدل على أشياء متغايرة.

كانت الأصوات تقليداً للأصوات الموجودة في الطبيعة وما حولها، لذلك ظهرت ما تسمى اللغة العصفورية والتي مع بساطتها كان «من الصعب جداً بل من المستحيل كتابة بعض الكلمات التي يشابه صداها أصوات الطيور»[1].

إذاً ظهرت حاجة إلى بضع أصوات بأشكال مختلفة يمكن تسميتها مجازاً لغة، هذه اللغة التي ظهرت «كانت في البدء بسيطة جداً فالحاجة هي أم الاختراع، وكلما ازدهرت المدنية احتاج الإنسان إلى كلمات وإصطلاحات للتعبير عن الأشياء والأفكار».

بعد أن استقر الإنسان في بقعة ما من الأرض، تآلف مع أبناء جنسه وبدأ التكتل للجماعات البشرية، وكان لا بد من لغة مميزة لكل جماعة «وكان من الضروري أن تكون لغة للتفاهم والتعبير عن الفكرة، فهذه الحاجة الملحة هي التي دعت إلى تكوين أول لغة بشرية، والتي كانت في أول عهدها عبارة عن كلمات أو حروف متقطعة وذات هجاء واحد»[2].

إذاً الإنسان الأول عاش مع الجماعة، شاهدَ الطبيعة، وما فيها، وبدأ يتعايش معها، وبالطبع تبعَ ذلك تعايش لغوي بين الجماعة البشرية الأولى حيث «أخذ الإنسان الأول ينظر إلى حركات الأحياء وأفعالهم وأشكال الأشياء الموجودة ورسومهم، فوضع الأسماء للأشياء المحيطة به حسبما تخيله في عقله، واستنبط منه الأسماء

([1]) تاريخ القوقاز: تأليف يوسف عزت باشا، ص158.
([2]) معيار اللغة، ص19.

واستخرج الأفعال»[1].

تأتي المرحلة الثانية التي كثرت فيها الجماعة، والتي أدت إلى نوع من التباغض والعداء، بين بعض أفرادها لسببٍ أو لآخر، وجاءت الحاجة إلى انقسام الجماعة، وبالتالي التباعد عن بعض. كما قال اللَّه تعالى: {**وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**}[2].

حيث أن الجماعة المتولدة والمبتعدة في بيئتها الجديدة، قد لاحظت موجودات وشاهدت مخلوقات جديدة، وظهرت الحاجة إلى تسميتها أيضاً، وأحياناً عدلت مسميات سابقة لبعض التغيرات التي لاحظتها على المسمى، فكان تطوراً لغوياً «مع الزمان، والبيئة والحاجة»[3]. وكما قال المرحوم كوبا شعبان: «إن الكلمات الجديدة التي تظهر كثيرة»[4].

([1]) معيار اللغة، ص19.
([2]) القرآن الكريم ـ سورة يونس ـ آية 19.
([3]) معيار اللغات، ص29.
([4]) مجلة غوازا الشركسية مايكوب، عدد نيسان 1994، ص4.

المبحث الثاني: آدم عليه السلام

بعد ذكر وجهة نظر الباحثين في ظهور وتطور اللغات، لا بد أن نـذكر قولـه تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا}[1].

ومن هذا يتضح أن آدم علمه اللَّه تعالى، وكان يتكلم وبالتالي يعرف لغة. ولم يمر في أية مرحلة لغوية كما ذكر سابقاً.

وقال اللَّه تعالى: {لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}[2]. هكذا خاطب الأخ آخاه من ابني آدم مما يؤكد أن آدم وعائلته كانوا يتكلمون لغة يتفاهمون بها.

«وجب علينا أن نؤمن أيضاً بوحدة اللغة التي كان يتكلم بها أبو البشر، وأن هذه اللغة هي مصدر اللغات جميعاً»[3].

لمعرفة حقيقة اللغة التي تكلم بها آدم لا توجد أية مراجع إلا ما جاء في المصادر الدينية وذكرنا شيئاً منها من القرآن الكريم.

هذا وإذا تتبعنا صفحات التوراة والتي تعتبر من المراجع للتاريخ القديم يتضح لنا «بأن منشأ اللغات المنتشرة على وجه الأرض هي لغة واحدة، وهـي لغـة آدم وحواء»، وإن هذه اللغة انتشرت بين الشعوب، وتطورت حسب المحيط وحسب الحاجة «وتغيرت أشكالها وألفاظها وضاعت اللغة الأصلية، أو بالأصح اكتسبت حلة جديدة، وأصبح من المتعسر على عامة الناس معرفة الجوهر الأصلي»[4].

---

(1) القرآن الكريم ـ سورة البقرة ـ آية 31.
(2) القرآن الكريم ـ سورة المائدة ـ آية 28.
(3) معيار اللغات، ص2.
(4) معيار اللغات، ص19.

المبحث الثالث: اللغة لدى المخلوقات الأخرى

«بما أنه لم يسبق آدم وحواء، نوع بشري آخر، ولم يكن لأي لغة وجـود فـي العالم»[1]. ولكن قبل آدم كانت مخلوقات أخرى فهل لها لغة، ولإثبات ذلك سنعود إلى نصوص القرآن الكريم وباختصار:

1- **الملائكة:** هناك اعتقاد لدى المؤمنين بأن الله خلق الملائكة من نور وكل لـه عمله، ولكن بحثنا هنا يتركز على: هل لها لغة للتفاهم؟ جاء في القرآن الكـريم **{وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ}**[2].

2- **الجن:** المخلوقون من مارج من نار فقد جاء في القرآن الكريم: **{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً}**[3].

3- **الشياطين:** قال تعالى: **{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}**[4].

4- **الجمادات:** قال تعالى: **{فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ}**[5].

ويقول البعض أن الصخر في الجبل يسبح لكن إذا كسر وتحول إلى حجر بنـاء يكون ذلك بمثابة موت له فيتوقف تسبيحه، والله أعلم.

5ـ **النبات:** أجرى العلماء تجارب على بعض النبات بالاستعانة بأجهزة صوتية دقيقة فوجدوا أن نبات الزهرة في حال قدوم شخص معه مقص ليقطعها تـئن وتصدر صوتاً. وفي السنّة النبوية الشريفة جاء وضع عرق أو غصن أخضـر

(1) معيار اللغات، ص19.
(2) القرآن الكريم ـ سورة آل عمران ـ آية 42.
(3) القرآن الكريم ـ سورة الجن ـ آية 1، 2.
(4) القرآن الكريم ـ سورة الحشر ـ آية 16.
(5) القرآن الكريم ـ سورة الأنبياء ـ آية 79.

على القبر كالآس للتخفيف على الميت حيث ييبس ذلك لأنها طالما هي خضراء فهي تسبح، قال تعالى: **{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً}**[1].

6- الحيوان: قال تعالى: **{حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ}**[2].

وقد أجرى العلماء دراسات على الحيوانات ولأغراض مختلفة، وهناك تجربة أجريت للإفادة منها في الزراعة، حيث جيء بعصافير ووضعت ضمن قفص وأوتيت بقطط وألبست بأرجلها كفوف بحيث لا تستطيع إيذاء العصافير، ووضعت هذه القطط، فبدأت القطط تلاحقها، والعصافير تصدر أصوات زقزقة سجلت على شريط كاسيت.

أخذ الشريط إلى حقل مزروع بالقمح وحينما أقبلت العصافير على الحقل، تم تشغيل الشريط مع مكبر صوت، وحينما سمعت العصافير الأصوات المسجلة التي وضعت بالقفص، فهمت من صوت زقزقاتها بأنها إشارة خطر وتحذير فطارت بعيداً.

وطبقت هذه الطريقة لإبعاد العصافير عن الحقول المزروعة بدل الأساليب القديمة كالفزاعات وغيرها.

نلاحظ من كل ما مر، أن كل المخلوقات الحية لها لغات، أو بالأصح تصدر أصواتاً معينة تدل على مدلولات تتفاهم بها فيما بينها.

([1]) القرآن الكريم ـ سورة الإسراء ـ آية 44.

([2]) القرآن الكريم ـ سورة النمل ـ آية 18.

الفصل الثالث

أهمية اللغة

إن للغة أهمية كبرى وتعتبر من أهم المقومات لأية قومية وكانت الوعاء الــذي يحوي حضارة الأمم.

لذلك كان تعلم اللغة والحفاظ عليها يوازي النضال لاستقلال الــبلاد وتحررهــا، فنجد قائد النضال الطويل للشعوب الشركسية البطل المغوار شامل الــذي قاتــل الروس القياصرة الزاحفين نحو الجنوب لبلاد الشراكسة يقول: «يجب أن نحافظ على لغتنا محافظتنا على تراب وطننا»[1].

من العجيب أن ترى عربياً استقر في أمريكا للعمل مثلاً تجد أولاده لا يعرفــون اللغة العربية، بل استبدلوها باللغة الإنكليزية زاعمين بأنها ستفيدهم، وماذا ستفيد العربية في أمريكا؟.

ربما كانوا يجرمون بحق وطنهم ولغتهم، إذ أن اللغة هي ميراث الشعوب، وهي في الواقع أهم ميراث. وهذا القول ينطبق على الشراكسة الــذين تــم تهجيــرهم القسري إثر حروبهم ضد الروس القياصرة، ومن بعدهم الروس الشيوعيين إلــى بقاع وأصقاع مختلفة، حيث أنهم موزعون حالياً في حوالي خمسين دولــة فــي العالم.

«حين يموت الوالد، يورث أبناءه بيتاً، حقلاً، سيفاً، مزماراً، لكن الجيــل حــين يذهب، يورث غيره من الأجيال التالية اللغة. من عنده لغة بوسعه أن يبني بيتــاً ويحرث حقلاً ويصنع سيفاً ومزماراً ويعزف عليه»[2].

---

(1) بلدي، ص352.
(2) بلدي، ص352.

المبحث الأول: اللغة والحياة

دون اللغة لا يمكن تصور حياة الناس فهي أهم وسيلة للحياة. وبها تعمر الحياة المدنية «وصار الناس بفضل لغاتهم يتعرف بعضهم على بعض بطريقة أفضل، وصار الشعب يفهم بطريقة أفضل الشعب الآخر، المجاور له»[1].

اللغة هي حياة الأمة، وباللغة يصبح الكاتب سفيراً لقومه، واللغة هي سمة الدولة، لذلك فإن أي تصرف لشخص يتكلم بلغة محددة ينعكس على مجموع الأمة والقومية التي تكلم بلغتها. «ومن زاوية علم اللغات فإن جميع اللغات الطبيعية أيضاً متساوية، والمقصود بتساوي اللغات الطبيعية ما يلي: إن الأفراد يتحدثون بهذه اللغة ويستطيع أي فرد أن يعبر تماماً عن أفكاره وينقلها إلى أي فرد آخر بواسطة اللغة. ومن هذا المفهوم، فإنه بالنسبة لعلماء اللغة، لا فرق بين اللغة العربية أو الإنكليزية أو الروسية أو الألمانية أو الشركسية.. الخ»[2].

وتتضح أهمية اللغة فيما يلي:

1. **وسيلة للتخاطب:** يقول المثل الشركسي: «الكلمة الطيبة تخرج الأفعى من جحرها»[3]. ولكن هل يمكن أن نتصور التخاطب بدون لغة لا بل إن وجود اللغة هو لهذا السبب بالأصل، فالطفل يبدأ بالاستماع إلى التخاطب الذي يجري حوله، وبقدر ما تكون تلك اللغة متداولة، فالطفل يتعلمها. لذلك ترى اللهجات المحلية تنتشر لكون الطفل يتعلمها حتى السنة الدراسية الأولى، وبعدها يتعلم لغته الفصحى والتعبير بها.

اللغة التي يفهمها الجميع لها أهمية بالغة، ولكي تخاطب إنساناً، أو تقنعه بشيء محدد، أو تفهمه غرضاً ما يجب أن تعرف لغته، ويتجلى هذا المعنى في قوله تعالى: {**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً**}[4].

([1]) بلدي، ص351.
([2]) اللغات القفقاسية، ص4-5.
([3]) مجلة (النشرة الثقافية)، العدد الرابع، 1990، ص22.
([4]) قرآن كريم - سورة مريم - آية 97.

2. **وسيلة للتفاهم:** اللغة من أهم وسائل التفاهم بين الجماعات البشرية، لذلك قال تعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**}[1]. ليكون لسانه أوضح لهم للفهم، وليتمكن من أن يشرح لهم أدق التفاصيل.

ألا ترى أن من يقرأ ديوان شعر وهو غير ملم باللغة تجده لا يفهم ولا يستسيغ ولا يشعر بجمال الأبيات، ويكون كما قال رسول حمزتوف: «كالمجنون الذي قفز إلى نهر جارف وهو لا يعرف السباحة»[2].

والإنسان نتيجة لمطالعاته وما يحفظه من تراث أجداده يمكن أن ينسج منها نسيجاً لغوياً في عبارات وتراكيب تتخذ طابعاً خاصاً به وهو ما يعرف بالأسلوب «أسأل اللَّه أن لا يحرمني لغتي، لأني أريد أن أكتب في شكل تكون فيه أشعاري، وكتابي هذا، وكل ما سوف أكتبه، غالياً مفهوماً بالنسبة لأمي ولأختي ولكل جيلي، ولكل إنسان يقع كتابي بين يديه. لا أريد أن أبعث فيهم الضجر، بل أن أحمل إليهم الفرح.

فإذا فسدت لغتي وأصبحت باردة غير مفهومة ومملة، وباختصار إذا أفسدت لغتي الأم فسيكون هذا بالنسبة لي أفظع شيء في حياتي»[3].

3. **وسيلة للتعبير:** لاحظنا أن اللغة استعملت للتخاطب ثم كوسيلة للتفاهم بين المجموعات البشرية، وتبع ذلك كونها وسيلة للتعبير عن آراء الشخص. لذلك أقبل الأبناء على تعلم لغة الأجداد يتغنون بها ويزداد إقبالهم كلما زادت العلوم والمعارف وعبَّر بها الأبناء عن آرائهم وعواطفهم وأصالتهم القومية وكانت بذلك وسيلة لهم للتفكير والتعبير.

ألا ترى أن الكاتب يعبر باللغة عما يكنه من مشاعر جياشة، وعواطف صادقة، ويشرح معارفه، ويبين وجهات نظره.

---

(1) قرآن كريم ـ سورة إبراهيم ـ آية 4.
(2) بلدي، ص55.
(3) بلدي، ص63.

ولأهمية اللغة للتعبير تم الإقبال عليها لدراستها أصلاً، من قبل الدارس، ولإغناء لغته البيانية الصحيحة السليمة في تراكيبها الواضحة، وليصل إلى ملكة اللســـان المعبر عن ما يجول في نفسه وذهنه، بترابط سلس واضح جميل.

المبحث الثاني: اللغة والحضارة

عندما نتكلم عن اللغة من الناحية الحضارية لا بُدَ أن نقسم الزمن إلـــى فتـــرتين منفصلتين تماماً نجد بينهما فاصلاً هاماً، وهو ظهور الكتابة. فقبل وجود الكتابـــة مرَّ زمن طويل لا نعرف عنه شيئاً يذكر، وما علمناه عنه يعود الفضل فيه للكتابة الأولى التي نقلت لنا وبعض اللقى الأثرية الموغلة في القدم.

أما عهد ما بعد الكتابة فهو عهد الوضوح والنور، وظهور الكتّاب المبدعين لكل لغة، حيث أصبحت اللغة ككل صناعة. إنها صناعة الكاتـــب الفنـــي والأدبـــي والخيالي والعلمي.

1. **الإبداع الأدبي:** يتجلى الإبداع الأدبي لدى الكتّاب حين التحدث فـــي العشـــق والمجون واللهو، ووصف المجالس العامرة، والمعارك والانتصـــارات بحيـــث يصيغ الحروف والكلمات والسطور ضمن الصفحات، كبناءٍ يعمل من عدد مـــن المواد حتى يكتمل بناؤه، ثم يعطيها مسحة موسيقى، ورخامة بـــالفكرة واللغـــة، فتصبح الكلمات، كالرصاص في ذهن القارئ أو السامع.

ضمن هذا الإبداع يتم نقل تراث الشعوب، والعادات والتقاليد والفلكلور الشـــعبي والأساطير والقصص والنثر والمسرح، ولا ننسى الشعر الذي اُعتمد عليه لما لهُ من حلاوة في الوزن والكلام المقفى.

يقول جبران خليل جبران: «فمستقبل اللغة العربية يتوقف على مســـتقبل الفكـــر المبدع الكائن – أو غير الكائن – في مجموع الأقطار التي تتكلم اللغة العربيـــة فإن كان ذلك الفكر موجوداً كان مستقبل اللغة عظيماً كماضيها، وإن كان غيـــر موجود فمستقبلها سيكون كحاضر شقيقتيها السريانية والعبرانية»[1].

2. **الإبداع العلمي:** يقول المثل الشركسي «العقل لا يقدر بثمن والمعرفة ليســـت لها حدود»[2]. ولكن هل تتمكن اللغة من مسايرة التطور والإبداع العلمي؟ نجـــد

([1]) مجلة (العربي) الكويتية العدد 366 ـ أيار 989 ص128.
([2]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد الرابع آذار 1990 ص22.

في الدول التي تقوم باختراع علمي تطلق اسماً للاختراع، والاختراع يتبعه آخر وهكذا، ولكن حينما يصدُر هذا الإبداع للدول الأخرى، هنا تقع الحيرة في الاسم الذي يمكن إطلاقه على هذا الإبداع وتجد البعض يشعر بالضيق والضجر ولا يلبث أن ينهال على لغته، ويصفها بالجمود ولا تستطيع استيعاب العلوم العصرية، والكلمات العلمية، ومتطلبات العلم، ولكن هل اللغة هي المسؤولة أم الشعب؟.

نجد في القديم أن كل لغة نقلت العلوم عن غيرها، ولم تقف عاجزة، وباللغة العربية تم نقل فكر اليونان ولم يقف العرب يوماً ويشعروا بعجز النقل. «إن استخدام نفس الكلمات العلمية في أكثر من لغة لا تتعارض مع المفهوم السابق، لأنه عند الإيجاب من الممكن إيجاد مرادف مكافئ لأي كلمة فنية في جميع اللغات الطبيعية»[1].

3. **التاريخ والحضارة:** في هذه الحياة لا يتوقف التفكير لدى الناس وذلك بالشكل الصامت أو بالنطق أو الكتابة، وهكذا يُنقل ما يدور في الخلد على الورق وكما يُسجل الواقع الحضاري الذي يصبح تاريخاً بعد زمن، ويُكتب عن التاريخ الذي مضى.

إن إتقان اللغة بالشكل المنطوق أو المكتوب يساهم في التقدم الحضاري، وفي التواصل والتفاهم في المجتمع، ولتوسيع المدارك ونقل الحضارة بين الشعوب.

إن اللغة هي التي نقلت لنا الحضارات القديمة، وتراث العصور بعلمها وسياستها وآدابها وتراثها وإنجازاتها وتقدمها.

في هذا المجال نجد الجيل الجديد الواعي المتفهم لثقافة أمته وتاريخه أحرص من الجيل المسن في إدراك الأمور وأهميتها على ضوء متغيرات الحياة و إيديولوجيتها. «واللغة أيضاً وسيلة أساسية لدراسة تاريخ الشعوب ذلك لأن أجداد أي شعب كانوا يتعايشون معاً على أرض واحدة ليشكلوا مع الزمن وحدة ثقافية

(1) اللغات القفقاسية، ص3 - ص5.

مميزة»[1].

إن النظرية التي لا تقبل إلا اللغة كأساس متين ومنطلق أكيد للدراسات التاريخية تؤكد أهمية اللغة تاريخياً. ولكن هل يمكن الأخذ بها بشكل مطلق؟ بالطبع لا لأن اللغات أيضاً تتغير وتتبدل وتتطور وتختلط، وعلى كلٍ إن الدراسة اللغوية لها طرقها العلمية ويجب أن يكون الإنسان قد تعلم لأن الدراسة اللغوية للتاريخ تنحصر في كلمات ومفردات وجمل قصيرة قليلة وهناك لغات لم يطرأ عليها التغير والتطور كما هو الحال باللغة الشركسية (إلى حد ما) أما في اللغات التي تغيرت مثل اللغة اللاتينية الأصلية إلى لغات أخرى يجب على الباحث أن يُلم بأصل الكلمات في اللغة اللاتينية الأصلية «والأمم التي لها ماض تاريخي وثقافي، يمكنها الارتكاز إلى هذا الماضي لتثبيت وجودها وإلا ستصبح في تبعية تامة للبيئة المحيطة بها وتتغير معها. وإذا كان ماركس قد بالغ في تقدير دور العوامل الاقتصادية والاجتماعية في نمو الأمم فقد أحسن التقدير في نقطة وهي عدم وجود أي عامل مشترك بين الأمم التاريخية والأمم اللاتاريخية، فالأولى لها ديناميتها الخاصة والثانية تنخرط في الدينامية الإجمالية للمجتمعات الإنسانية المحيطة بها»[2].

(1) اللغات القفقاسية، ص3-5.
(2) القوميات والدولة السوفياتية، ص171.

المبحث الثالث: اللغة والدولة

أينما كنت وسمعت إنساناً يتكلم بلغتك مباشرة تلتفت إليه وقد تتقدم إليه وتتعرف عليه، حتى ولو كان قادماً من دولة أخرى، ألا يدل ذلك بأن اللغة قد تعرف الشخص من أي أمة هو؟ وقد تكون هناك حدود فرضت على شعب واحد فقسمته، في هذه الحالة أليست اللغة علامة على وحدة ما بين هذه الدول، كما هي الحال في الوطن العربي الذي قسمه الاستعمار إلى عدد من الدول؟ وكذلك الحال بالنسبة للشراكسة في روسيا الاتحادية الذين تم تقسيمهم من قبل الشيوعيين إلى جمهوريات وأقاليم ذات حكم ذاتي.

إن «الحدود تفصل بين الناس، لكن اللغات تفصل بينهم أكثر. الحدود قد تتغير، وقد تلغى تماماً أو تتحول إلى مجرد شكليات، أما اللغة فهي مُلك الشعب إلى الأبد، يستحيل تغييرها أو إلغاؤها»[1].

تقع مسؤولية كبيرة على الكتّاب تجاه شعوبهم، فهم كموظفي السجلات المدنية، بهم يُعرف الشعب، وما يكتبونه يعتبر بعد زمن من الوثائق التي تدل على هذا الشعب.

يمكن توضيح أهمية اللغة من خلال نظرة أو تقييم بعض الأمم لها وكمثال على ذلك نورد ما يلي:

1. **مقومات القومية العربية:** تمتاز الأمة العربية بمقومات مشتركة عديدة، فالتاريخ المشترك، والمصالح المشتركة، والآمال والآلام، والأرض الواحدة. ولكن يأتي على رأسها اللغة العربية الواحدة من المحيط إلى الخليج.

اللغة لها أهمية كبيرة في بناء الدولة لما لها من دور كبير في حفظ التراث والشخصية العربية. ولأهمية اللغة، كتب الكتاب عنها وتغنى الشعراء بها، وقال الشاعر اللبناني حليم دموس:

---

(1) بلدي، ص234.

لغة إذا وقعت على أسماعنا كانت لنا برداً على الأكباد
فهي الرجاء لناطقٍ بالضاد ستظل رابطة تؤلف بيننا

2. **النظرية الألمانية:** يقول فيخته الألماني «إن الذين يتكلمون بلغة واحدة يكونون كلاً موحداً ربطته الطبيعة بروابط متينة وإن كانت غير مرئية» لذا أغلب دول العالم وخاصة الأوروبية تعتبر اللغة عاملاً أساسياً من مقومات قومياتها وتكون أممها ودولها، ومنهم من يقتصر على اللغة فقط، كما قامت الوحدة الألمانية ومن بعدها الإيطالية اللتان قامتا على أساس وحدة اللغة، وعلى أساسها قامت أيضاً الأمة البولونية والبلغارية واليونانية.

3. **حديث شريف:** يقول الرسول العربي عليه السلام: «**أيها العرب، الرب واحد والأب واحد، وإن الدين واحد. وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي**»[1].

(1) مجلة (العربي) الكويتية العدد 367 حزيران 1989، ص55.

البحث الرابع: اللغة والأمية

يقول المثل الشركسي: «إذا كنتَ أمياً فأنتَ جاهل وإذا كنت جاهلاً فأنت أخرس»[1]. لا شك أن الأكثرية من القراء يعلم معنى الأمية، ولكن هذا البحث يخص المتكلمين بلغة غير عربية فهل هم أميون؟.

سمعت رجلاً يقول بأنه أخذ ابنه إلى طبيب شركسي تعلم الشركسية في الكبر فقال الدكتور هل يعرف الشركسية؟ يقصد بذلك الابن، فأجاب الأب مباشرة ومفاخراً: إنه يعرف الشركسية أكثر منك. فقال الدكتور: هل يعرف القراءة بالشركسية؟ فقال الأب: لا – حتى الأب لا يعرف القراءة بالشركسية – فقال الدكتور: إذاً فهو أمي.

إذا تكلم شخص مع آخر بلغته القومية – غير العربية – يُنظر إليه بعدم الرضا، وقد يُقال عنه أنه متعصب أو شعوبي، دون معرفة ماذا تعني تلك الكلمات؟ في الواقع إن المتكلم لا يتصف بذلك، وإنما يكون الناعت هو المتصف بالتعصب، حيث هو الذي يميز الآخرين.

لنستمع للأستاذ الكاتب الكبير عبد المعين الملوحي الذي عُين مدرساً للغة العربية في المدرسة الأديغية – أي الشركسية – في القنيطرة قال: «لقد حذّرني بعض الأصدقاء من أمين سمكوغ – وهو مدير المدرسة المذكورة – قالوا لي: إنه متعصب، ولكنني لم أرَ خلال سنة كاملة قضيتها في المدرسة أثراً لهذا التعصب المزعوم. كان طلاب المدرسة يتعلمون اللغة الشركسية، وليس في تعلم الإنسان للغته القومية تعصب من قريب أو بعيد، فمن واجبه أن يتعلم وأن يتحدث باللغة التي رضعها مع لبن أمه، كما قال رسول حمزاتوف في كتابه (داغستان بلدي). ولكنهم إلى جانب تعلمهم للغتهم القومية كانوا يتعلمون اللغة العربية، بل لقد بلغوا في تعلمها درجة رفيعة وكنتُ أحسُ عند تعليمي لهم، أنهم يحرصون على اللغة العربية ويحبونها، ولاحظت أكثر من ذلك أنهم يستسيغون النحو ويحبون

---

(1) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السادس، ص99.

المُحسنات اللفظية والمعنوية ويعجبون بها»[1].

في مدارس القنيطرة الإعدادية والثانوية كان الطلبة الشراكسة يتعجبون حينما يرسب بعض الطلاب العرب في مادة اللغة العربية بينما نادراً ما تجد شركسياً رسب في تلك المادة، وكان الطلاب الشراكسة يقولون: كيف يرسبون وهي امتحان لغتهم؟

يتكلم اللغة الشركسية حالياً الشراكسة في بلادهم في القوقاز الشمالي وفي تركيا وسورية والأردن وفلسطين وشمال أفريقيا وألبانيا ويوغسلافيا وألمانيا وهولندا وأمريكا وغيرها.

إن اللغة الشركسية تعتبر «من أفصح اللغات الآرية وأعمقها معنى ومبنى»[2]. لكن من يعرف منهم كتابتها بلغة أدبية قلة فقط.

السبب هو تعديل أحرف كتابتها أكثر من مرة، لضغوط فرضت عليهم. واستعملوا لحبهم الإسلام بعد دخولهم فيه الأحرف العربية. ولكن كما تقول السيدة فاطمة نائبة وزير الثقافة السابق في جمهورية الشيشان «أنا اختصاصية في اللغة، ويمكن القول باختصار أن العلماء حاولوا في عشرينات هذا القرن تطوير لغتنا المكتوبة بالأحرف العربية، كي تستوعب العلوم والتقنية الحديثة، إلا أنهم فشلوا في ذلك فاتجهوا للاستعانة بالحروف اللاتينية مع الاستعانة بكثير من الموروث الثقافي الشيشاني الأنغوشي ثم تم الاستقرار على استخدام أحرف اللغة السلافية مؤخراً»[3].

([1]) مجلة (النشرة الثقافية)، دمشق، العدد السادس، آذار 1992، ص14-15.
([2]) الشركس، ص16.
([3]) مجلة (العربي) الكويتية، العدد 342، أيار 1987، ص143.

البحث الخامس: تعلم لغة أخرى

قال المرحوم كوبا شعبان: «لا عيب أن تعرف لغة أخرى، ولكن العيب الكبير أن لا تعرف لغتك الأصلية»[1].

إن تعلم لغة أخرى كالإنكليزية مثلاً لا شك أنها مفيدة في بعض الأحيان وحسب اختصاص العمل لدى بعض الأشخاص. ولكن أقصد بالعيب إذا كان شخصاً عربياً يعيش في أمريكا مثلاً لا يتكلم بلغته العربية ولو في نطاق أسرته ومن الواجب أن لا ينساها طالما هي من روابط القومية العربية المهمة.

ومع أن الشراكسة وبعد أن تم تهجيرهم بموجب خطة روسية – تركية – إنكليزية لم يكتف هؤلاء بذلك بل وزعوا الأسرة الشركسية الواحدة في عدد من البلدان، وهم حالياً في خمسين دولة تقريباً، ولكن هل أضاعوا لغتهم؟ علماً بأن الشراكسة في سورية وبعد أن وزعوا في عدة محافظات على الساحل وفي حلب والرقة وحماة وحمص ودمشق، وفي الجولان الحبيب، فإن أول ما عملوه كان فتح المدارس التي سميت كتاتيب تدرس ببعض المراجع، وكانوا يتعلمون علوم الدين واللغة العربية والعلوم العلمية والعملية، وكان المعلم في الفترة الأولى يفهم التلاميذ الدروس باللغة الشركسية، لأنه من الصعب على المهجر إلى دولة أخرى أن يتعلم بلغة الدولة الجديدة في البدء، ثم مع مرور الزمن أصبحت كافة الدروس باللغة العربية.

ومثلما حدث في سوريا، كان الوضع في جميع بلاد المهجر. فمثلاً يقول خير الدين الزركلي والذي شغل منصب مفتش للمعارف في شرقي الأردن: «فقد كانت في المقاطعة كتاتيب مبثوثة في مدنها وقراها، دخلتُ إحداها في قرية (صويلح) فنهضَ معلمها صائحاً (تاج) قيام فوقف التلاميذ وجاء بكرسي فجلستُ وجلسوا ثم نظرتُ ما بين أيديهم من الكتب الإبتدائية، وسألت أحدهم سؤالاً منها فلم يحر جواباً، فسألتهُ ثانياً وثالثاً، فلم يجب، فتوسطَ المعلم بيننا فألقى السؤال نفسه

(1) جريدة (غوازا) الشركسية ـ مايكوب عدد نيسان 1994 ـ ص3.

باللغة الشركسية فأجابه التلميذ بها ولم يتلعثم. واعتذرَ المعلم بأن أكثرهم شراكسة، وأنه مضطرٌ أن يلقي عليهم الدروس بلغتهم ويذاكرهم بها»[1].

إن بعضَ عادات وتقاليد الشراكسة يجب أن تتم باللغة الشركسية، لهذا السبب ولغيره كانت نظرة الشعوب إلى الشراكسة الذين سكنوا معهم نظرة عدم قبول لهم وخاصة في البلدان الأجنبية مثل البلغار في يوغسلافيا السابقة، حيث لم يجدوا ترحيباً مما اضطر أغلبهم للهجرة منها إلى بلدان أخرى بعد الحرب العالمية الأولى.

إن مثل هذه الأسباب، ساعدت على بقاء اللغة الشركسية متداولة ونجد المرحوم كوبا شعبان الذي اضطر إلى التنقل بين عدد من البلدان بدءاً من القفقاس إلى النمسا وفرنسا وتركيا إلى بيروت وسورية والأردن ثم أمريكا قال: «لا توجد لغة لأبدلها بلغتي الشركسية»[2].

إن الشراكسة في أماكن الهجرة تعلموا لغتها وأتقنوا تفصيلاتها بسبب العمل والحياة اليومية والمعاملات والقيام بالشعائر الدينية مع ذلك «احتفظ الشركس بلغتهم بالرغم من مرور أكثر من مائة عام على تهجيرهم واندماجهم في محيط تعرض لتطورات كثيرة. وهم لا يشعرون بالغربة الحقيقية في هذا المحيط بسبب روابط الدين الحنيف الذي شمل الجميع برعايته وهدايته. ومع أن الشركس جميعاً يتقنون اللغة العربية إتقاناً تاماً ويعتبرونها الآن لغتهم فإن أكثر من 70% منهم في الأردن يتكلمون لغتهم القومية الأصلية بمختلف لهجاتهم القبلية»[3].

يُقال من لا خيرَ فيه لأهله لا خير منه ومن أنكر أصله فلا أصل له. كذلك من لا يهتم بلغته الأصلية لغة أمه فلا خير منه يرجى في تعلم لغة أخرى. وإنما يكون تعلمه لها مجرد مصلحة، ففي تغيرها يغير ببساطة اللغة التي تعلمها.

«لغات الشعوب بالنسبة لي كالنجوم في السماء، أنا لا أود أن تذوب النجوم كلها

(1) عامان في عمان: تأليف خير الدين الزركلي، ص42.
(2) جريدة (غوازا) الشركسية ـ مايكوب ـ عدد نيسان 1994، ص3.
(3) الشركس، ص16.

في نجم واحد ضخم يغطي نصف السماء، الشمس كفيلة بذلك، لكن لندع النجـــوم تتلألأ هي الأخرى ولتكن لكل إنسان نجمة»[1].

لا أعتقد بوجود أي تناقض أو تعارض في تعلم لغتـــين، وكمـــا يقـــول رســـول حمزاتوف: «لا يمكن امتطاء حصانين في آن واحد، لكنَ شدَ حصانين إلى عربة واحدة أمر ممكن لجرها»[2] وأنا أقول تعلم إن استطعت ما تشاء من اللغات فكلما كانت الأحصنة أكثر كان سير العربة أيسر وأسلم للوصول إلى النهاية.

قال الرسول ﷺ: «**من تعلم لغة قوم أمن شرهم**» لا يقتصر مدلوله على **(اللغـــة)** بمعناها الحرفي إنما يشمل كل شيء: الثقافة والحضارة والعلم والعوامل البشرية والمادية والروحية جميعاً[3].

يقول الله تعالى: {**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**}[4].

---

(1) بلدي، ص58.
(2) بلدي، ص365.
(3) مجلة (العربي) الكويتية العدد 284 ـ تموز 1982 ص6.
(4) قرآن كريم ـ سورة الروم ـ آية 22.

الباب الأول
اللغات القديمة والشراكسة

1. **القوقاز:** بعض الكتاب حالياً، يميزون بين القوقاز الشمالي والجنوبي، والفاصل بينهما سلسلة جبال (ق) كما كانت تسمى عند الرحالة والمؤرخين العرب والمسلمين القدماء. والدكتور محمد علي بك بشيحالوق مؤلف كتب إيقاظ المؤرخين في ثلاثة أجزاء، وعاد وثمود، ومحمد والأديان يعتبر جبال (ق) بأنها إحدى الأماكن الخمسة المقدسة التي أقسم بها رب العالمين في القرآن: **{ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ}** – أي هي بلاد القفقاس – أما الأماكن الأخرى فهي الشام والقدس وجبل الطور ومكة[1].

الجبل معروف بقمته التي تسمى (ألبروس) وعند الشراكسة يعرف الجبل باسمه القديم (أوشمة ماف) أي جبل الخير والسعادة.

القسم الجنوبي من الجبل يضم أذربيجان وأرمينيا وجورجيا، أما القسم الشمالي فيضم بلاد الشراكسة المحصورة ما بين بحري قزوين والأسود. وأقصد بالشراكسة ما يسمون بهذا الاسم في البلاد العربية والأخص في سورية، وهم من الشرق إلى الغرب الداغستان والشاشان والأوستين والأديغة والأبخاز.

تقسيم القوقاز إلى شمالي وجنوبي، يلجأ إليه بعض الكتاب بما فيهم العرب إلا أن أكثر استعماله يرد لدى الأوربيين، ولكن مع ذلك عندما يذكر القوقاز فإن ذلك يعني لدى الجميع شمال القوقاز فقط، أي بلاد الشراكسة. حينما يذكر في الأخبار والصحافة العربية والعالمية كلمة القوقاز يكون المقصود بلاد الشراكسة. وهي مقسمة إلى مجموعة من الجمهوريات والأقاليم ذات الحكم الذاتي تقع جنوب روسيا الاتحادية حالياً. «والشركس شعبٌ ينتمي لغوياً إلى المجموعة القوقاز الشمالية...

([1]) عاد وثمود تأليف محمد علي بك بشيحالوق، ص56.

ويقول عالم الأجناس ث. ميللر، هو من المتخصصين في منطقة القوقاز بالذات: إن الشركس كانوا يعيشون في نفس المنطقة التي يعيشون فيها»[1].

2. **مصادر التاريخ:** لدراسة التاريخ القديم يُلجأ إلى علم الآثار، وبالعودة إلى الآثار واستخراج النصوص والمنقولات منها، والتي يجب عند قراءتها العودة إلى علم الألسنة، وأجناس البشر أيضاً كي تتضح النصوص وتفسر. حيث الآثار تكون بكماء لا يمكن تفسيرها دون معرفة اللغة التي كتبت بها، وحيث الدراسة اللغوية للنصوص الأثرية قد تنحصر بكلمات مفردة لبعض الجذور القديمة للكلمات، أو جمل قصيرة تكون غالباً غير متكاملة.

3. **قدم الحضارة القوقازية:** في مناطق آسيا الصغرى وشرق البحر المتوسط كانت اللغات الحثية والسومرية والقامية، اللاميه، الهرية، ولغة الخالدى، ولغة الكاريا، ولغة الألاشيا، ولغة الأتروسك، واللغة الايبرية، والتي لا تزال آثارها باقية حتى الآن. استخدمت قراءة وكتابة منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، وحتى الميلاد كانت تستعمل اللغة القفقاسية. و«اللغات القفقاسية هي اللغات الأم المحلية التي يتحدث بها أبناء شعوب القفقاس الأصليين، وهي لغات غير مرتبطة بأي مجموعة من عائلة اللغات الأخرى»[2].

«إن الحضارات القديمة جاءت من القوقاس بشهادة أكبر العلماء، وقد دلت الآثار التي وجدت في مصر على موجة من الحضارة القوقاسية انتشرت في الشرق الأوسط»[3].

يقول الدكتور زهدي سطاس: «ولا شك في أن القفقاس يشغل وضعاً خاصاً متميزاً حسب اللُّقى الأثرية المحلية، فهو يُعتبر واحداً من مراكز الحضارة الإنسانية القديمة وصلة الوصل بين الحضارات الباليوليتية، والعصر الحجري

---

(1) مجلة (العربي) الكويتية العدد 126 أيار 1969، ص 162.
(2) اللغات القفقاسية، ص9.
(3) معيار اللغات، ص4.

القديم للبحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود الشمالي والذي لعب دوراً موحـــداً كممر مرت فيه هجرات القبائل الأولية وتم عبره انتشار حضارتهم»[1].

4. **قدم الكتابة القوقازية:** يعطي اللغويون للغة الشركسية وهي من اللغات القفقاسية القديمة جداً ((أهمية كبيرة باعتبارها إحدى اللغات التي حفظت لنا ذخائر وبقايا لغوية قديمة، وبوصفها أقدم لغات الاتحاد السوفييتي وأوروبا اليوم))[2].

إن الشراكسة يتركون طابعهم على الشعوب التي يعيشون معها، أو حولها بشكل أو بآخر. فنجد أن الكتافيات والشراشيب التي تتدلى منها والمستعملة لدى بعـــض الفرق الموسيقية أو في الجيش، أخذها الروس عن الشراكسة ثم انتقلـــت لـــدول أخرى. وحتى في الطعام نجد فـــي مصـــر الأكلـــة المشـــهورة التـــي تعـــرف (بالشركسية). ويقول السيد عمر شيشادزه مدير فرقة للرقص والفلكلور الجورجي رداً على سؤال: ((لا شك أن طبيعة بلاد القفقاس تركت آثارها على كثيـــر مـــن مناحي حياتنا، وهي مشتركة بين شعوب المنطقة، ويمكن أن يكون الاسم الأشهر بين شعوب القفقاس هو الشركس وفي هذا المجال، ملابس الرجل التقليدية يقـــال لها (الشركسيا) وهي تختلف قليلاً بين هذا الشـــعب أو ذاك))[3]. كـــذلك الـــزي الشركسي التقليدي الذي انتشر لدى الشعوب المجاورة للشراكسة.

لنعد إلى قدم اللغة الشركسية، يقول رسول حمزاتوف: ((يجب أن تكـــون اللغـــة قديمة تمتد إلى آلاف السنين عندئذ فقط تفي بالغرض منها))[4].

غياب العنصر الشركسي في الكتابات المتعلقة بالشراكسة حيث أغلب مـــا كتـــب عنهم كان لعلماء وباحثين وكتاب غير شراكسة حيث أن الشراكسة توقفوا عـــن تسجيل تاريخهم مدة تزيد عن مائة عام بسبب ما فرض علـــيهم مـــن حـــروب قيصرية مستمرة. حيث كانوا يضطرون في سبيل مجابهة الأعداء لتعليم الصغار

---

(1) محاضرة (تاريخ الشركس القديم)، زهدي سطاس.
(2) مجلة (الجيل)، عدد تشرين الثاني 1989، ص81.
(3) مجلة (العربي) الكويتية، العدد 361 كانون الأول 1988، ص82.
(4) بلدي، ص69.

فنون الحرب فقط، ثم دخولهم المعارك في سن يكاد لا يصل سن البلوغ، لـــذلك يجب أن لا نلقي اللوم عليهم من جهة لعدم كتابتهم تاريخهم بأنفسهم كباقي الأمم، ومن جهة أخرى يجب أن ننتبه إلى الأغلاط المقصودة وغير المقصـــودة لـــدى الكتّاب، والمترجمين، وأن لا نحمّل الشراكسة ما ليس فيهم بمجرد ذكر ذلك لدى كُتّاب غير موثوقين.

نجد ((لغة الشراكسة ما هي إلا وليدة لغة الحاثيين (الهاتيين) وأن هؤلاء وجدوا على الأرض قبل المسيح – عليه السلام – بأربعة آلاف سنة وأن المعاهدة السياسية التي كُتبت بينهم وبين (رمسيس الثاني) فرعون مصر كتبت بلغة الحثيين))[1].

وهي أول معاهدة سياسية كُتبت في التاريخ... ألا يستحق ذلك التفكير؟.

في الفصول القادمة سيتضح قدم اللغة الشركسية بتفصيل أكثر.

([1]) تاريخ القوقاز، ص161-162.

الفصل الأول
الكتابة التصويرية

1. **تعريف الكتابة التصويرية:** هي عبارة عن رسوم بشكل وأسلوب محدد، سطر فيها مخترعوها شيئاً من تاريخهم. دالة على أعرق وأقدم الحضارات التي وجدت على الأرض وكان منها اكتشافات القفقاس، وسنخصص هذا الفصل عنها.

2. **مقبرة مايكوب:** تم التنقيب والاكتشاف في مقبرة مايكوب عام 1897 بإشراف الأثري الروسي الشهير نيقولاي ايفانوفيتش فيسيلوفسكي وذلك بعد احتلال الروس للقفقاس إثرَ حربٍ طويلة زادت على مائة وثلاثين عاماً، وكان المُكتشف هاماً لمعرفة التطور التاريخي لتلك الشعوب.

المقبرة واقعة على نهر بيلايا في مدينة مايكوب عاصمة جمهورية الأديغي الشركسية ذات الحكم الذاتي، وكل ما يشير إلى مكان المقبرة حالياً لافتة على البناء رقم 264/23.

المقبرة تعد من المقابر العظيمة في القفقاس والتي تم إقامتها في ما بين عامي /2300–1700/ قبل الميلاد.

3. **عدم الاهتمام بالمكتشفات:** لا أدلَ على عدم الاهتمام بالمقبرة من كلام البرفسور الروسي غ. ف تورتشانينوف. الذي قام بدراسة وافية عن الحضارة المايكوبية: ((فمن الصعب أن أتصور أنه في ذلك المكان الذي اكتشفت فيه مقبرة مايكوب الغنية، وحيث تم اكتشاف قرية من الحضارة المايكوبية في (ميشوقَه)، وحيث تم الحصول على الفخار المايكوبي المكتوب عليه باللغة الآشوية، من الصعب أن أتصور عدم وجود آثار أخرى ليست أقل أهمية لتاريخ المنطقة، تكشف المزيد من الحضارة المادية والروحية لحضارة مايكوب، لم تكن الحفريات هنا مبرمجة، وأحياناً لم تنجز تماماً كما حصل في الموقع الذي تم

اكتشاف فخار مايكوب فيه))[1].

مع ملاحظة كلمة (آشوية) هي تسمية من الكاتب حسب ما رأى، هو نفسه سماها في البداية كولخيدية، ثم بعد اكتشافات مدينة سوخومي عاصمة جمهورية أبخازيا، سماها كتابة كولخيدية أبخازية. وفيها كلها المقصود أول كتابة شركسية حيث هم ساكنوا تلك المنطقة من الأزل إلى الآن ولم يعرف التاريخ ساكناً فيها غيرهم.

4. **أخفيت المعلومات:** مع أن السيد فارماكوفسكي ألقى محاضرة في مؤتمر لندن للمؤرخين في عام 1913. تكلم عن مقبرة مايكوب إلا أنه لم يتم نشر معلومات كافية عنها، وبالطبع ليس ذلك لعدم أهمية ما اكتشف بل لأغراض سياسية معروفة.

دارس وباحث الكتابة المايكوبية البروفسور غ. ف. تورتشانينوف الذي أنهى كتابه حول ذلك في عام 1975م، وبعد ثلاثة أعوام من ذلك وصل المخطوط إلى مطبعة دار النشر (ناوكا) في لينينغراد (سان بيترسبورغ). ولكن كيف ينشر بأن الشراكسة شعب قديم جداً في القفقاس له حضارة كتابية تعود إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وهم كانوا وما يزالون يصفونهم بالمتوحشين زمن القياصرة، والجبليين فيما بعد. لذلك تم تفكيك الأحرف من المطبعة، وأُوقفَ طبعُ الكتاب وإلى تاريخه لم يطبع ولم ينشر في روسيا، مع أن الكاتب روسي والكتابة تمت بالروسية، توفي الكاتب أيضاً دون أن يرى كتابه الذي طبع في سورية لأول مرة، يقول الكاتب ((في الرسالة الأولى التي أُرسلت إليَّ بعد سنة تماماً من منع ظهور الكتاب تم إعلامي بعدم إمكانية إصدار الكتاب لأن تفسيري للآثار يسبب مشاكل في مجال أولية التطور الثقافي لشعوب القفقاس، ويمسُ مسائلَ معقدة في كبريائها الوطني.

كتبَ هذه الرسالة العضو المراسل في أكاديمية العلوم السوفييتية ستيبانوف وهو

([1]) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس. تأليف غ. ف. تورتشانينوف، ص17.

مدير معهد اللغات لدى الأكاديمية. ولم يقل لي ستيبانوف عن أولوية أي شعب من شعوب القفقاس يتحدث))[1].

ثم يتابع ((فها نحن الروس لا نغضب لأن الكتابة ظهرت لدينا متأخرة في القرن العاشر الميلادي ولا نغضب من الأرمن والجورجيين لأن كتابتهم أقدم، وتعود إلى القرن الرابع والخامس الميلادي فهذا الأمر لا يقلل من كبريائنا الوطني الروسي))[2].

5. **أهمية الاكتشاف:** الاكتشاف يعد من أهم ما اكتشف في العالم من القرن الماضي ويكتسب أهمية بالغة لمرحلة جديدة، ولمعرفة تاريخ شعوب شمال القفقاس، أي بلاد الشراكسة التي هي بين بحري قزوين والأسود. هذه الحضارة التي سميت بالحضارة المايكوبية التي ((لا يوجد أي لبس في موضوع الكتابة، واللغة المكتوبة بها، فلدينا معلومات محددة حول لغة محددة، حول فترة محددة من تاريخ الشعب الذي وضع هذه الكتابة، شعب لديه درجة عالية من التجربة اللغوية))[3].

6. **أقدم كتابة في العالم:** لم تجرِ مقارنة بين الكتابة التصويرية المكتشفة في مايكوب عاصمة جمهورية الأديغي الشركسية وبين أي كتابة تصويرية أخرى، والسبب كما ذكرنا محاولة طمس إظهار أي حضارة للشراكسة، والثاني انغلاق ما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي، ولكن من المؤكد أن الكتابة التصويرية المايكوبية المصورة على آواني معدنية خاصة من وجهة نظر تطور علوم اللغويات والتاريخ هي أقدم كتابة ليس في القفقاس الشمالي والجنوبي فحسب، بل في دول الاتحاد السوفييتي السابق كلها. ((وتبنى أكثر العلماء الآن وجهة نظر مفادها بأن مقبرة مايكوب يعود تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد، واستناداً

---

(1) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس. ص192.
(2) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس. ص192.
(3) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس. ص10.

إلى رؤوس الأسهم التي وجدت في القبر فالتاريخ هو أقرب إلى القرنين الثالث والعشرين حتى السادس والعشرين قبل الميلاد))[1].

ظهرت آثار كتابة أخرى في جمهورية أبخازيا، وفي منطقة سوخومي تعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد وهي تشابه كتابات مايكوب في الكلمات وأشكال اللغة على الآثار، وهذا يعني على الأقل أن ما بين القرنين الثالث عشر والثاني قبل الميلاد، كانت هناك دولة واحدة في بلاد الشراكسة في قسمها الغربي على الأخص من سوخومي وحتى مايكوب تستعمل لغة كتابية واحدة.

إن الدول الحضارية القديمة لجأت إلى التوسع بحدودها سِلماً أو حرباً بحثاً عن أماكن وموارد جديدة والذي لا يخلو من إيصال حضارتهم ومدينتهم إلى تلك البقاع، وهذا ما حدث لهذه الكتابة التي لم تقتصر على بلاد الشراكسة بل وصلت إلى الأناضول وسورية. يقول البروفسور غ. ف. تورتشانينوف ((إنني أعتبرُ بأن سكان مايكوب الذين استخدموا هذه الكتابة اتجهوا في ما بين القرن العشرين والقرن الثامن عشر قبل الميلاد من القفقاس إلى سورية، ووجدوا لأنفسهم وطناً في مدينة بيبلوس القديمة منتشراً إلى هذا الحد كما كان بعد خمسمائة عام من ذلك التاريخ، وكتب هؤلاء بالكتابة التي أحضروها معهم، ولكن بلغة أهل بيبلوس، والتي كانت اللغة الكنعانية. وقد حصل نفس الشيء كما نعرف الآن مع حاملي سيراميك خربيت – ديران (عند بحيرة طبريا) والذين اتجهوا أيضاً من القفقاس في حوالي عام /2400/ قبل الميلاد عبر الأناضول وسورية إلى فلسطين))[2].

7. **أقدم من الفينيقية:** عندما سكن الآشويون وهذه التسمية ناتجة عن تسمية لغتهم بالآشوية كما سبق وسماها البروفسور غ. ف. تورتشانينوف. حين استقرارهم في لبنان لم تتأثر لغتهم بالفينيقية، وهذا يتضح من وثائق بيبلوس. هذا مع العلم أن ظهور الكتابة الخطية الفينيقية كانت بعد الكتابة المقطعية الآشوية.

---

(1) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس. ص81.
(2) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس ص39-40.

ويقول البروفسور ((بعد أن وضعت جدول رسوم الكتابة الآشوية، وقمت بقراءة أقدم النصوص استناداً له، ظهر لي بأنه وفي التراث الآشوي المنقول شفهياً يوجد ذكر لزمن اقتباس الفينيقيين للكتابة الآشوية. يُحكى عن ذلك من قبل رجل مـــن أشوي كان موجوداً على الأرض الفينيقية وفي وقت الأحداث الكبـــرى، ولـــذلك يمكن أخذ هذه الأقوال كأقوال صادقة))[1].

8. **لُقى جمهورية أبخازيا:** يقول البرفسور الباحث في الآثار المايكوبيـــة ((فـــي عام 1986م وبعدها وصلتني من بعض مُنقبي الآثار والهواة صـــور الكتابـــات كاملة أو منقوصة من نفس النوع ولنفس اللغة. وبعد ذلك اطلعت بنفسي على تلك الآثار التي وجدت في منطقة الأبخاز))[2].

مناطق وجودُ اللُقى في جمهورية أبخازيا هي قرية كولانـــور حفـــافي ومدينـــة سوخومي ومنطقة أبيلانتشا ومقاطعة تسيبيلده ومنطقة أبوشته ومدينة غاغرا وبلدة تساندويش ومدينة نيجنايا إشيرا.

9. **كتابة بيبلوس:** إن اللغة الأشوية هي قريبة من لهجة (بزيب) وهـــي أقـــرب لهجة أبخازية إلى لهجة الأديغة، وحتى الآن بقي الكثير من اللغة الأشـــوية فـــي لهجة الشراكسة الحالية أيضاً.

إن الكتابة الأشوية التصويرية المايكوبية الأولى تلتها – في العصر البرونزي بين القرنين التاسع عشر والسادس عشر قبل الميلاد – كتابة هي عبارة عن مقـــاطع هجائية مكتوبة على ألواح حجرية، وصفائح برونزية، وجدت منها في بيبلـــوس (جبيل) وهي من المستعمرات الخاصة بالعبيد الأشويين في فينيقيا القديمة.

استمرت المستعمرات الأشوية في بيبلوس (800–900) عام وإذا اعتمدنا طريقة قياس الإشعاع الكربوني نجدها استمرت (500) عام. يقول البروفسور ديونـــان وهو من اكتشف وبحث في كتابات بيبلوس شبه الهيروغليفية ((إننـــا نعـــرف أن

([1]) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس. ص39.
([2]) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس. ص25.

علاقة بيبلوس مع القفقاس من ناحية التعدين تمتد إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد. هذا قد يوضح وجود تفسير الكتابة في مكانين متباعدين هكذا))[1].

وكما سبق أن ذكرت سواء كان السبب تبادلاً تجارياً أو كانت مستعمرات لأصحاب الحضارة المايكوبية، لغة بيبلوس هي اللغة القفقاسية الشركسية.

10. **حول الاكتشاف:** كما سبق القول كانت الكتابة عبارة عن رسوم استمرت لفترة متأخرة ثم انتقلت إلى مقاطع لفظية، ونجد على إناء فضي مستخرج من مقبرة مايكوب خارطة مكتوبة عليها حدود دولتهم والتي تمتد حينها من البحر الأسود جنوباً إلى مايكوب شمالاً ومن خلف نهر الكوبان في الشمال الغربي إلى فاريس (ريون) في الجنوب الشرقي.

كانت المقاطع التصويرية تتخذ أشكال وصور الحيوانات والنباتات من موجودات الطبيعة. بحيث لا يمكن أن يعطى للمقطع الواحد إلا معنى لغوي واحد محدد، وهو بحد ذاته فن كتاب رفيع المستوى ((إن حقيقة وجود رموز للمقاطع الصوتية شبه مجردة بجانب المقاطع التصويرية للأشكال ذات الدلالات الصوتية، والخاصة بالحيوانات والأحياء بشكل عام يجب أن تراه كحقيقة لانتقال الكتابة إلى الأشكال ذات الدلالات على المقاطع الصوتية))[2].

11. **أصحابها موجودون:** إن سلالة أصحاب مقبرة مايكوب رغم نقل المكتشفات والآثار إلى قسم الحضارات البدائية في متحف الأرميتاج في لينينغراد، فإن أصحابها ما يزالون يعيشون في مايكوب نفسها، وفي أبخازيا وباقي بلاد الشراكسة. مع أنه تم تهجير أغلبهم منها إلى تركية بإرغام من الحكومة القيصرية ثم إلى بلدان أخرى من قبل الحكومة العثمانية. مع ذلك نجد ((بشكل عام أن لغة كتابات مايكوب وبغض النظر عن قدمها ليست بعيدة عن اللغة الحالية. بحيث يمكن فهمها مع بذل جهد بسيط، إن هذا الثبات في الشكل اللغوي،

---

(1) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس. ص47.
(2) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس. ص36.

ولمدة طويلة يعود إلى بنيان الجذور اللغوية الأبخازية والشركسية – بشكل عــام – فالكلمة في أكثر الأحيان تكون شفافة من حيث تكوين عناصرها المشكلة لها، وكان هذا الأمر أكثر وضوحاً قبل عدة آلاف من السنين))[1].

وتوصل الدكتور عمر شابسيغ إلى أن اللغة الأشوية هي اللغــة الأم لمجموعــة اللهجات الشركسية التي تضم الأديغة والأبخاز والأباظة والأوبيخ، ووجد أن لها علاقة باللغة الشاشانية أيضاً.

([1]) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس. ص40.

الفصل الثاني

بلاد الرافدين في فجر التاريخ

بلاد الرافدين يُقصد بها ما يقع شمال الخليج العربي وما بين نهري دجلة والفرات، فقد قامت في حوالي عام /3500/ قبل الميلاد حضارات ثلاث.

1. **العيلاميون:** وهم يُطلقون على أنفسهم (حاتامتي)، وكان سكناهم في شرق نهر دجلة، وهم من الشعوب الحضارية القديمة، وتعود إلى العصور الحجرية النحاسية.

قبل مئتي عام، عثر على كتابات إيرانية تعود للكنعانيين وبثلاث لغات هي: الإيرانية والعيلامية والآشورية. العالم الألماني (موردتمان) في عام 1870م هو الذي أطلق على لغة كتابة العامود الثاني العيلامية وذكر العالم (هنريش وينكلر) عام 1896م بأن اللغة العيلامية التي كتب بها العامود الثاني هي لغة قفقاسية، ومما أكد ذلك دراسات البعثة العلمية الفرنسية لإيران عام 1901م، وكذلك العلماء (مورغان) و(هوسينغ) و(يورك) وأكد الأستاذ (نيقولامار) عام 1912م بأنها قفقاسية شركسية بلهجة الأبازة.

2. **السومريون:** يطلقون على أنفسهم (كنجي)، وكانوا في القسم الجنوبي لبلاد الرافدين، ما بين النهرين بدءاً من مدينة بابل حتى الخليج، وهي حضارة قامت ما بين /3225-2225/ قبل الميلاد، ويعود الفضل إليهم في التشكيلات السياسية، والدينية وهم الذين اخترعوا الخط الكوفي الذي استمر إلى اختراع الأبجدية الفينيقية.

يؤكد العالم (اوتران) بأن لغتهم تختلف عن السامية والآرية وهي من زمرة اللغة العيلامية وفي عام 1918م أكد العلماء الإنكليز والأمريكان بعد دراساتهم على الجماجم المكتشفة في العراق بأنها قفقاسية، وبأن السومريين هم من أصل قفقاسي

وأكد (الكساندر موريه) بأن الحضارة السومرية وحضارة منطقة الكوبان وهي تقع في بلاد الشراكسة في ققفاسيا متشابهتان تماماً في سائر الوجوه، من حيث الآثار المكتشفة والصناعات وطراز البناء وغيرها.

ومن الذين أكدوا بأن السومريين ولغتهم من أصل ققفاسي الباحثين (دياكونوف) و(ستاروستين)[1].

وهي كذلك من وجهة نظر الدكتور (نيازباتوقوه) الحائز على دكتوراه في اللغة الشركسية من جامعة السوربون[2].

كما يؤكد العالم الروسي (بلنتيوهوف) في كتابه (تقويم القفقاس) على صلة النسب بين السومريين والشراكسة الساكنين من قديم الزمان في منطقة سواحل بحر آزوف الشرقية وسواحل البحر الأسود وحوض نهر الكوبان، وهي بلاد الشراكسة ــ كما سبق وأوضحنا – ((وإذا علمنا بأن السومريين والحثيين الذين حكموا ما بين النهرين وأنشأوا حضارات جاءوا من الشمال كما هو مذكور في كتب التاريخ علمنا من أين جاءوا ومن هم. أنهم من الشركس))[3].

3. **الساميون:** وهم ليسوا من أصل ققفاسي. وسكنوا في القسم الشمالي من بلاد الرافدين.

---

(1) محاضرة (تاريخ الشركس القديم).
(2) النشرة الثقافية دمشق ـ العدد السادس ص41، واللغات القفقاسية، ص9.
(3) من مقدمة رواية (حرب بزيقوه)، تأليف اسحق مشباش، ص7.

الفصل الثالث

جيران الشراكسة

علمنا بأن اللغة الشركسية أقدم من اللغات التي جاورتها بقرون عديدة بل هم الذين نشروا حضارتهم في من حولهم.

إن هذا الفصل وضع ضمن الباب الأول، لكي يكون هناك تسلسل بين اللغة الشركسية واللغات الأخرى سواءً القديمة منه أو الحديثة.

أقصد بجيران الشراكسة الأتراك والفرس والروس، وستكون المقارنة باختصار في بعض القواعد بين اللغة الشركسية وتلك المستعملة حالياً لدى تلك الشعوب.

1. **الأتراك:** اللغة الشركسية في باب التصريف تعد غنية كاللغة التركية والفارسية وكذلك قواعد تركيب الجمل متشابهة بين التركية والشركسية[1].

كما أن اللغة الشركسية استعارت كلمات تركية متعلقة بالدين غالباً[2]، حيث نشر الأتراك الدين الإسلامي في القفقاس الغربي.

2. **الفرس:** أداة التعريف في اللغة الشركسية غير موجودة كما في الفارسية، وأداة المصدر (إِينْ) و(أَنْ) و(أُوُنْ) هي في الشركسية كما هي الحال بالفارسية. ونجد بعض الأفعال المساعدة مثل (شت) و(آست) قريبة من الفارسية (شوره) و(هسته). وتعد اللغة الشركسية في باب التصريف غنية كما هي في الفارسية والتركية[3].

ربما يعود السبب في ذلك للزمن القديم حينما استوطن الميديون وهم من أجداد الشراكسة هضاب إيران الشمالية، حيث حكموا مدة ألف سنة وكان لهم فن بارع

([1]) تاريخ القوقاز ص167-168.
([2]) دراسة في عادات وتقاليد المجتمع الأردني تأليف سليمان أحمد عبيدات، ص47.
([3]) تاريخ القوقاز، ص165-166-167.

بالزراعة[1]. كذلك أطماع الإيرانيين منذ قرنين في القفقـــاس، والحـــروب التـــي خاضوها في جنوب الداغستان الحالية واللان الذين يسمون الآن بالآستين وفـــي سورية يسمون (قوشحة).

3. **الروس:** هناك تشابه في لفظ بعض الكلمات بين اللغة الشركســـية والروســـية والتي معناها بالعربي (الموطن – من – كيف – ما – حديقة – مهر وصـــداق – شاب – رمل – قفز – طار). وأداة التعريف غير موجودة في اللغة الشركسية مثل الفارسية والروسية وتلحق بالكلمات على شكل حرف الـــراء أو المـــيم. وعلامـــة الجمع (خه) في جمع المضاف إليه هي نفسها في اللغتين الشركســـية والروســـية. وكذلك الوصف المنسوب إلى الأعداد مثل الأول والثاني... الخ هي نفســـها فـــي اللغتين. وكذلك تقسيم الفعل إلى مبني للمعلوم ومبني للمجهول[2].

وتجد في اللغة الشركسية حالياً كلمات روسية[3]. وهذا ليس بمستغرب بعد احتلال وسيطرة الروس على قفقاسياً منذ عام 1864م.

([1]) مدخل إلى تاريخ الشراكسة، ص27.
([2]) تاريخ القوقاز من ص163-167.
([3]) دراسة في عادات وتقاليد المجتمع الأردني، ص47.

الفصل الرابع

اللغة العربية

إن علاقة العرب بالشركس قديمة جداً، فنجد في الأساطير الشركسية ذكر للعرب، ثم بعد ذلك، دخل العرب إلى جنوب الداغستان في القرن الأول الهجري، وتبع ذلك انتشار الإسلام في بلاد الشراكسة كلها، وبعدها كان حكم سلاطين الشراكسة في وادي النيل وبلاد الشام وأغلب العالم الإسلامي ما بين عام 1382-1517م. كما أنه قدم إلى بلاد الشام شراكسة من القفقاس لطلب العلوم الدينية، وتم توزيع بعض المهجرين قسراً من الشراكسة في بعض البلاد العربية من قبل العثمانيين، ولجأ بعض الشراكسة إلى البلاد العربية بعد استلام الشيوعيين السلطة وقضائهم على دولتهم في شمال القوقاز. وقدم آخرون البلاد العربية إثر انسحاب الألمان الذين احتلوا روسيا وبلاد الشراكسة. ومع ذلك ((كانت علاقة العربية بغيرها من اللغات قد لقيت عناية عديد من الباحثين، فإنك لا تجد مثل هذه العناية فيما يتعلق بلغات القفقاس والشركسية منها على الرغم مما يذكره (كراتشكوفسكي) من عظمة هذا التأثير))[1].

لم يتطرق أي كاتب عربي لهذه العلاقة. وكذلك من الشراكسة قليل من تكلم عن ذلك، منهم الكاتب الشركسي المعروف (بانشوسفر) الذي نشر سلسلة من المقالات عن السلاطين الشراكسة كتاريخ مشترك بين الشراكس والعرب[2].

وحول العلاقة بين اللغة الشركسية والعربية لا بد من توضيح ((إن اللغة الشركسية مأخوذة من الطبيعة تماماً. وكل كلمة منها تدل على أوصاف وحقائق المسمى الذي تشير إليه))[3]. هذا بالإضافة إلى أنه لم يطرأ أي تغير أو إضافة

([1]) مجلة (الجيل) عدد نيسان 1986 ص53.
([2]) مجلة (المستقبل العربي) عدد أيلول 1992 ص43.
([3]) معيار اللغات، ص26.

شيء للغة الشركسية الأصلية القديمة في مجال المقارنة بين اللغات في حال استعمال نفس الكلمة في أكثر من لغة. تكون الكلمة أصلية لدى الأمة إذا كانت للكلمة في لغتها معناً لغوياً صريحاً. وتكون الكلمة انتقلت للأمم الأخرى التي تستعملها في حال عدم وجود معنى لغوي صريح للكلمة لديها[1].

هذا وقد تتشابه بعض قواعد النحو لديها في تركيب الجمل، فمثلاً الصفة تتأخر عن الموصوف في اللغة الشركسية كما في اللغة العربية[2].

([1]) معيار اللغات، ص5.

([2]) تاريخ القوقاز، ص166.

الباب الثاني

اللغة الشركسية

اللغة الشركسية تختلف عن اللغات الحديثة الأخرى الأوربية والآسيوية في طريقة تركيبها وأساليبها[1]. وتعتبر ((إن لغة الأديكيين – الشراكس – أم زمر اللغات الثلاثة من آري[2] وسامي وتوراني بلا شك ولا نزاع))[3]. وبعض الكتاب يعتبرون أن جذوره تعود إلى اللغة السنسكريتية[4] ومنهم من يقول اللغة الشركسية هي هندية أوربية[5]. ومنهم من يقول عن الشركس أنهم آريون[6]. والأصح ما يقوله أغلب الباحثين وعلماء اللغة والذين هم على إطلاع تام باللغة الشركسية يقولون: ((إنه مجموعة لغوية قوقازية أصلية، لا تدخل في عداد اللغات الآرية ولا السامية ولا الطورانية))[7].

إن اللغة الشركسية، لم تتطور كغيرها من اللغات، والسبب التشتيت والتهجير القسري للشراكسة حيث أنهم موزعين حالياً في أكثر من خمسين دولة. وذلك يخلق بالطبع صعوبات جمة في طريق تطوير اللغة، إذ أن أكثر الشراكسة هم في تركيا ولا يخفى ما حاولته تركيا سابقاً من سياسة التتريك، والتي كان بلاؤها على العرب أيضاً. وحتى في بلادهم لم يستطيعوا القيام بشيء، فكيف ذلك ومذابح ستالين غير بعيدة. بل نجد تراجعاً في تعليمها في المدارس، مقابل الالتزام بالتعليم بالروسية. بعد أن أسكنوا في كل جمهورية أو مقاطعة ذات حكم ذاتي 40% تقريباً من الروس و20% من أقليات مختلفة أخرى وذلك حسب

(1) موجز تاريخ الأديكة (الشركس) القديم، ص40.
(2) دراسة في عادات وتقاليد المجتمع الأردني، ص47.
(3) عاد وثمود، ص3.
(4) دراسة في عادات وتقاليد المجتمع الأردني ص47 ـ الشركس، ص16.
(5) طريق الخلاص، ص27.
(6) عشائر الشام ـ تأليف أحمد وصفي زكريا، ص683.
(7) مدخل إلى تاريخ الشراكسة ص35 ـ اللغات القفقاسية، ص9.

سياسة الاتحاد السوفييتي السابق.

الشركس ماذا يعني ذلك؟ وماذا يشمل هذا الاسم؟

الشركس أطلقه الأجانب على سكان شمال القفقاس القاطنين بين بحري قـزوين والأسود[1]. والتي لم تكن من قبل حدود لدول تفصل بين البحرين كما هي الحال الآن[2]. أما الجمهوريات والمقاطعات ذاتية الحكم الحالية في بلاد الشراكس فهي حدود مصطنعة من قبل روسيا الشيوعية، ولا توجد حدود طبيعية فاصلة بينها بل بالعكس نجد حدوداً تفصل بلاد الشراكسة عن غيرها حيث البحرين في الشـرق والغرب وجبال القفقاس بالجنوب، وأنها طبيعية من الشمال مثل تيرك والدون.

و((السيد أصحب مكييف الذي شغل سابقاً منصب السكرتير الأول لمنظمة الحزب الشيوعي في منطقة (نزران)، يقول: نحن جزء من العائلة اللاتينيـة القفقاسـية ويبدو أن الشركس كان هو الاسم الغالب على كثير من المناطق والأنحـاء فـي الزمان والقديم))[3].

حتى أنه نجد الكتاب الروس مثل (تولستوي – بوشكين – ليرمنتوف) يطلقـون اسم الشركس على سكان شمال القوقاز بدون تمييز بينهم، وأحياناً يذكرون اسـم قبيلة منها، حين الحديث عن تلك القبيلة. مما يدل على أن بلاد الشـراكس، لـم تعرف الحدود السياسية[4].

وإذا ما ورد شيئاً يتعلق بالحدود فـي الروايـات الروسـية، أو ذات المصـدر الشركسي، فيكون المقصود هو نهري التيرك والقوبان (الكوبان)، كمنطقة فاصلة بين الشركس والروس.

جاء في الموسوعة البريطانية ((يتضمن اصطلاح اللغات القوقازيـة، مجموعـة اللغات المحلية في منطقة القوقاز بين البحر الأسود وبحر قزوين ضمن الاتحـاد

([1]) اللغات القفقاسية، ص5.

([2]) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 342 ـ أيار 1987، ص135.

([3]) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 342 ـ أيار 1987، ص135.

([4]) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 342 ـ أيار 1987، ص135.

السوفييتي))[1] سابقاً.

أما في دائرة المعارف الإسلامية جاء ((الشركس اسم عام يطلق على الأقوام التي كانت تسكن فيما مضى القسم الشمالي الغربي من القوقاز، وقسماً من الشاطئ الشرقي للبحر الأسود[2].

وهذا التعريف يشمل فقط المجموعة الغربية بما يعرف بلهجات الأديغة والقبرطاي والأبخاز والأباظة والوبيخ والشابسوغ. أما القسم الشرقي الويناخ والداغستان والآستين فلم يشملها هذا التعريف. ولكن سنبقى على تسمية الشركس كما ذكرنا في البداية لمجموع اللهجات القوقازية الشمالية الأصل والتي تقع بين بحري قزوين والأسود، وهم الذين يعرفون في البلدان العربية باسم الشركس.

---

(1) الموسوعة البريطانية (اللغات القفقاسية).

(2) دائرة المعارف الإسلامية ـ المجلد السادس (الجركس).

الفصل الأول

تطور اللغة الشركسية

لم تلقَ اللغة الشركسية الاهتمام الكافي من الدراسة والبحث مع قدمها، والسبب بلا شك ((عدم وجود مردود مباشر لمؤسسات البحث العلمي التي ستقوم بتمويل مثل هذه الأبحاث))[1].

ولغياب الدولة الشركسية المستقلة لتهتم بذلك.

ومع ذلك أجريت بعض الدراسات عن اللغة الشركسية وأغلبها تم في الاتحاد السوفييتي السابق بواسطة المعاهد في مدن مايكوب – تفليس – غروزني – نالتشيك محجقلعة – وموسكو. كما أجريت دراسات في جامعة لايدن في هولندة وجامعة أوسلو وكامبردج وغيرها[2].

يوجد في جامعة السوربون في فرنسا قسم اللغات القديمة وهي ما تزال تمنح شهادة الدكتوراه باللغة الشركسية. وحديثاً أصبح لتعليم الصغار اللغة الشركسية وآدابها فروع في جامعة مايكوب عاصمة جمهورية الأديغي (الشركسية) ذات الحكم الذاتي في روسيا.

أما في المهجر فقامت دراسات قليلة مختلفة حول اللغة في تركيا وسورية. وكانت تقوم على جهود فردية ما تلبث أن تتوقف بوفاة باحثيها. ولعدم توفر الشروط الملائمة أدت أيضاً إلى عدم الاستمرار بتطوير اللغة الشركسية كما يجب.

مع كل تلك العقبات ظهرت بعض الدراسات، وتم وضع أبجديات مختلفة للغة الشركسية، حسب البلدان التي وضعتها وحسب الظروف المحيطة. وباختصار تم

([1]) اللغات القفقاسية، ص6.

([2]) اللغات القفقاسية، ص6-7.

وضع الأبجديات التالية[1]:

1. أبجدية شورانوغموقة عام 1840 بحروف سلافية.

2. أبجدية حاطو خوشوقة عام 1860 بحروف سلافية أيضاً.

3. 3ـ الأبجدية الأكاديمية.

4. أبجدية تساغوه هي عبارة عن الحروف العربية بعد وضع إشـــارات عليهـــا لتلائم عدد الحروف الشركسية الأكثر عدداً.

5. أبجدية خوران.

6. أبجدية ياكورفليف.

7. الأبجدية التي استعملت خلال فترة 1930–1936م وهي بحروف لاتينية.

8. الأبجدية الحالية باستعمال الحروف السلافية. كما تم وضع أبجديـــة خاصـــة بالمدرسة الشركسية وجريدة مارج بالقنيطرة عام 1927م باســـتعمال حـــروف لاتينية معدلة.

---

(1) مدخل إلى تاريخ الشراكسة ـ ص58- 59- 62، تاريخ القوقاز ص234-235.

المبحث الأول: تطور اللغة في قفقاسيا

1. **الكتابة بحروف عربية:** وضعت ألف باء شركسية عام 1840 من قبل شورانو غموقه، وفي عام 1860 من قبل حاطو خوشوقة، وهي لا تستند إلى الحروف العربية، ولكن لم تستعمل على نطاق واسع، بل استعملت ألف باء بالحروف العربية ومع بعض الإضافات في عدد النقاط، أو زيادة إشارات معينة على الحروف لتناسب الأصوات باللغة الشركسية والتي حروفها أكثر من الحروف العربية.

السبب في ذلك على الأغلب هو دخول الشراكسة في الدين الإسلامي من جهة، ومن جهة ثانية الدفاع المستمر عن أرضهم، وبلادهم ضد القوات القيصرية التي زحفت للجنوب للاستيلاء على القوقاز إثر نصيحة تولستوي جد الكاتب الروسي ليو تولستوي والذي شارك هو الآخر في نهايات الحرب القفقاسية – للقيصر بطرس الأكبر بالزحف إلى البلاد الدافئة الغنية في ثرواتها، والمسلمون مختلفون بالدين معهم[1].

هذا الدفاع – الذي خالطه كلمة الجهاد – المستمدة من الدين الإسلامي – ضد الروس الذين سموا بالكفرة. كان ذلك أحد الأسباب أيضاً للتعصب لاستعمال الأحرف العربية في الكتابة الشركسية.

ومن الأسباب أيضاً كون التعليم كان دينياً في أغلب مواده، والمعلمون هم علماء دين على الأغلب، وكان التدريس باستعمال الأحرف العربية يتم في المدارس الدينية وكذلك في المدارس العامة حيث كان يدرس بها في الثانوية في مدرسة ستافربول على يد (يوبيرسي) وكذلك في مدرسة نالتشيك الثانوية، وهي عاصمة جمهورية قبردينابلكار (الشركسية) ذات الحكم الذاتي وعلى يد الأستاذ لوباتنسكي، وكذلك في مدينتي يكترينودار (كراسنودار) وبتالباشنسك[2]، وغيرها

(1) قتلة الأم ـ تأليف روبرت كونكوست، ص23-24.

(2) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية ـ تأليف ب.س ـ بالاس، ص101.

من المدن. وكذلك الأمر كان عند الشيشان[1] والداغستان أيضاً.

استمر التدريس واستعمال الحروف العربية المعدلة للغة الشركسية إلى ما بعد ثورة 1917 في روسيا وحتى عام 1925م[2] حيث بدأت بالانتقال لاستعمال الأحرف اللاتينية في كتابة اللغة الشركسية.

2. **الكتابة بحروف لاتينية:** بعد القضاء على الحكم القيصري، وقيام جمهورية اتحاد شمال القفقاس[3]، وإثر الإعلان عن منح الحريات حاولت النخبة الفكرية في شمال القفقاس الاستفادة من ذلك، لكن اتضح أن الحريات كانت وهمية[4].

بعد القضاء على جمهورية اتحاد شمال القفقاس واستيلاء الشيوعيين على بلاد الشراكسة، وإعلان مبادئهم بالعدالة، استمرت النخبة الفكرية الشركسية في شمال القفقاس للسعي لما فيه خير بلادها، وفي عام 1922م عقد مؤتمر لتنوير القفقاسيين في كيزلوفودسك، وبعد المؤتمر وحسب توصياته قامت المدارس تعلم باللهجات الوطنية المحلية في شمال القفقاس. وفي عام 1925م كانت وجهات النظر هي الانتقال لاستعمال الأحرف اللاتينية.

بالواقع فرضت استعمال الأحرف اللاتينية[5] على الشعوب التي كانت تستعمل العربية، بحجة الإسراع في التثقيف للشعوب ولضرورة النظام، ولكونها تجربة كانت ناجحة في تركية زمن مصطفى كمال مع العلم أن اللاتينية كانت غير مستعملة في روسيا، ويبدو أن السبب هو إبعاد الشعوب عن استعمال الأحرف العربية التي تذكرهم بأنهم مسلمون، ولتكون خطوة نحو استبدالها بالأحرف السلافية، وعلى الأقل لتقريب سائر اللغات من اللغة الروسية ولو كتابة[6]. اتضح الهدف أكثر بعد أن ابتدع الروس أبجديات منفصلة لشرق وغرب بلاد الشراكسة،

---

(1) مجلة (العربي) الكويتية - العدد 342 أيار 1987، ص143.
(2) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة - تأليف الدكتور باتراي أوزبك، ص13.
(3) مجلة (الجيل) - عدد تشرين الثاني 1989، ص84.
(4) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص102.
(5) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص102.
(6) القوميات والدولة السوفياتية، ص20.

ولم تكتف بذلك بل استمرت في ابتداع أبجديات منفصلة لكل جماعة في شمال القفقاس، وحتى للهجة الواحدة مثل لهجة الأديغة (الشركس). بل عملت قواعد نحوية منفصلة، وسمتها لغات أدبية[1].

لم تُجدِ المؤتمرات التي عقدت في الأديغة وكبردينيا ولا في شركيسيا ولا في الشيشان ولا في الداغستان. وهي تسميات سمتها روسيا بعد أن قسمت جمهورية اتحاد شمال القفقاس إلى تسع كيانات. هذه المؤتمرات التي كانت ترى في استعمال الأحرف اللاتينية طريقاً للوحدة اللغوية كتابة وقراءة وأدباً، ((وفيما بعد سنة 1930م دعت لجنة الأبجدية الجديدة التابعة لسوفيات القوميات في موسكو برئاسة جلال كوركاسوف إلى مؤتمر جديد حول الوحدة اللغوية، وقرر توحيد الأبجدية الأديغية والقبردينية والشركسية والشيشانية والأنجوشية والقرشايية والبالقرية والداغستانية والأبجديات الأخرى، لكن هذا أيضاً لم يتمخض عن شيء لأن المسألة أثيرت لإصلاح الأبجديات على أساس الكيريلي وقررت الحكومة السوفياتية التغيير من الأبجديات اللاتينية إلى الكيريلية في 1937-1938))[2].

كان بداية استعمال الأحرف اللاتينية لكتابة اللغة الشركسية عام 1925م وسطياً، ولكن الجمهوريات والمقاطعات ذات الحكم الذاتي التي أنشأتها روسيا الشيوعية، لم تأخذ الأبجدية اللاتينية لغة كتابية للهجاتها بنفس التاريخ، فنجد الأنغوش استعملوها عام 1923م[3] والقبرطاي استعملتها عام 1924م[4] والشيشان عام 1925م[5] والأبازة ونقصد الساكنين في مقاطعة شركيسيا قرشاي فلم تكن لهم لغة أدبية كتابية وفيما سبق، ولكن عام 1932م كتبوا أحرفهم باللاتينية[6]، وكذلك

---

(1) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص102.
(2) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص102.
(3) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي ـ تأليف الكسندر بينيغس وشانتال لوميرييه كيلكاي، ص130.
(4) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي، ص121.
(5) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي، ص130.
(6) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي، ص136.

بالنسبة للأبخاز استعملوا اللاتينية عام 1938م، بعد أن أتبعها ستالين الجورجي الأصل قسراً إلى جورجيا. فُرضت عليها استعمال الأحرف الجورجية من عام 1945م إلى عام 1956م[1].

3. **الكتابة بحروف سلافية:** فُرضت استعمال السلافية لكتابة اللغة الشركسية بعد إجراء تعديلات عليها لتناسب الأصوات الشركسية. واستعملت في جمهورية الأديغي الشركسية عام 1936م[2] وجرى عليها تطوير وكتبت في جمهورية الأديغي بلهجة الكيمرغوي عام 1938م[3] وفي جمهورية قبردينا بلقار استعملت الأحرف السلافية عام 1939م[4] وفي الشيشان عام 1937م[5]-1939م[6] والأبازة في 1939م[7] وفي جمهورية أبخازيا استعملت الأحرف السلافية بعد جهود كبيرة في عام 1956م، ليكونوا كباقي إخوتهم الشراكسة بعد أن فرضت عليهم الأحرف الجورجية ما بين عامي 1945-1956م[8].

هل كانت روسيا الشيوعية مخلصة فيما طرحته من حرية في استعمال اللغات القومية والمساواة الثقافية؟

((إن المساواة في الحقوق الثقافية، المعترف بها لكل أمة كان من شأنها كذلك أن تساعد على تجزئة بعض المجموعات البشرية الكبيرة التي توحد بينها تضامنات خاصة.

وهذا ما كان من أمر الشعوب الإسلامية في القوقاز، وفي آسيا الوسطى، التي كانت تسعى منذ بداية القرن الحالي إلى التجمع حول لغات مشتركة))[9].

---

(1) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي، ص148.
(2) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي، ص135.
(3) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص13.
(4) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي، ص121.
(5) مقال بعنوان (الشيشان تفاؤل وقلق)، ص50.
(6) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي، ص130.
(7) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي، ص136.
(8) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي، ص148.
(9) القوميات والدول السوفياتية ص18.

4. **لهجة الأديغي الشركسية:** الأديغة هو الاسم القومي الذي يطلقه الشراكسة على أنفسم، وهم يشملون سكان شمال القوقاز الأوسط والغربي وتشمل حالياً مقاطعة مزدوك التي أُتبِعت إلى أوسيتيا الشمالية وجمهورية قبردينيا ذات الحكم الذاتي ومقاطعة قرتشاي شركيسيا ذات الحكم الذاتي وجمهوري الأديغي ذات الحكم الذاتي ومقاطعة الشابسوغ التي ألغيت وجمهورية أبخازيا المحررة في 3 تشرين الأول عام 1993م والتي أعلنت استقلالها من طرف واحد.

في هذه الفقرة وما يليها سنتبع تقسيم الروس، ونقصد بلهجة الأديغي لهجة سكان جمهورية الأديغي ذات الحكم الذاتي، التي أعلن عنها في 3 تشرين الأول 1993م حيث كانت قبل ذلك مقاطعة ذات حكم ذاتي. اعتمدت هذه الجمهورية تشميرجواي – تميرغوي – كميرجوي[1] وهي مسميات لنفس الاسم، إنما لعدم وجود ما يقابل الحرف الأول من الكلمة الشركسية بالعربي، كتبت بهذه الأشكال حسب كل كاتب، يتكلم بهذه اللهجة كتابة وقراءة سكان جمهورية الأديغي، وفي قرى الشابسوغ على سواحل البحر الأسود، ويتكلم بها في كراسنودار حوالي /165/ ألف شخص من سكانها وهي – كراسنودار – تابعة لروسيا الاتحادية[2].

قديماً في منطقة هذه الجمهورية الشركسية وإلى الساحل (البحر الأسود) كانت كلها شركسية وكانت هناك لهجات متقاربة وهي ناتيخواج، شابسوغ، حاكوج، أبزاخ، بزادوغ، حتوقاي، تميرغوي، مامخيخ، يجركواي، مخوش، جانه[3].

أصدر برلمان جمهورية الأديغي ذات الحكم الذاتي قراراً جعل فيه اللغة الأديغية الشركسية لغة رسمية في الجمهورية اعتباراً من 31 آذار 1994م[4].

5. **لهجة القبرطاي الشركسية:** يتكلم بها سكان جمهورية قبردينيا بلقار ذات

([1]) اللغات القفقاسية ص24، أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة ص13، المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي - ص135، رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية ص101.

([2]) اللغات القفقاسية ص12.

([3]) اللغات القفقاسية ص13- رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية ص101.

([4]) إذاعة مايكوب الشركسية في 1994/4/2.

الحكم الذاتي وهم ما يعرفون بالقبرطاي الكبرى والصغرى، والقبرطاي الصغرى اختلفت لهجتها عن الكبرى لمتاخمتها لبلاد الشيشان والأستين اللزكي، ويتكلم بهذه اللهجة البسلني سكان قرتشاي شركيسيا ذات الحكم الذاتي، والتي تعتبر أفصح اللهجات[1] وأيضاً يتكلم بهذه اللهجة سكان مقاطعة مزدوك[2] التي تُبعت لجمهورية الأوسيتيا الشمالية لأسباب دينية. كما يتكلم بهذه اللهجة أيضاً /340/ ألف شخص في ولاية ستافروبول[3] التابعة لروسيا الاتحادية.

متكلمي القبرطاي تختلف لهجاتهم عن بعض في أواخر الكلمات، ولهجاتهم هي بسلني، جيلاخستني، مزدوك، وكتبت لهجة القبرطاي بأحرف أبجدية معتمدة على لهجة الجيلاخستني[4].

6. **لهجة الأبخاز الشركسية:** يتكلم بها سكان جمهورية أبخازيا، وتنقسم إلى لهجتين أساسيتين البامبية والابجوبة[5]. واختلفت عن باقي لهجات الشركسية بشكل واضح[6]. والسبب هو ابتعاد موطنهم عن باقي إخوتهم وفرض الدين المسيحي عليهم في إحدى مراحل التاريخ. وحديثاً حين أتبعهم ستالين الجورجي إلى جورجيا، وفرض عليهم استعمال الأحرف الجورجية ما بين عامي 1945-1956م وغيرها من الأسباب العديدة المتفرقة التي أدت إلى الاختلاف في لهجتها عن باقي لهجات الشراكسة، مع العلم كانت هي ولهجة الأديغي تشكل لهجة واحدة[7].

7. **لهجة الأبازة الشركسية:** وهي لهجة وسط بين الأبخازية والأديغية ويتكلم بها

([1]) تاريخ القوقاز ص158-159، المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي، ص136 - اللغات القفقاسية، ص12 - رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص101.
([2]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص101.
([3]) اللغات القفقاسية، ص13.
([4]) اللغات القفقاسية، ص14.
([5]) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس، ص12-13.
([6]) تاريخ القوقاز، ص159.
([7]) انظر فصل الكتابة التصويرية في هذا الكتاب.

بعض سكان منطقة قراتشاي شركيسيا ذات الحكم الذاتي[1].

8. **لهجة الوبخ الشركسية:** وهي لهجة وسط وصفت بأنها مرحلة انتقالية بين لغة الأديغية والأبخازية، وحالياً لم يبقَ من يتكلم بها[2].

9. **لغة الويناخ:** تنقسم إلى ثلاثة وهي اللهجة الشيشانية والأنجوشية وهما سكان جمهورية الشيشان وجمهورية الأنجوش ولهجة البات وهم يعيشون في جمهورية جورجيا، ويكتبون ويقرؤون باللغة الجورجية[3] المفروضة عليهم.

10. **اللغات الداغستانية:** لهجاتها مختلفة، ومن اللغات القفقاسية فيها: (الأوارية) ولها أربع لهجات فرعية مختلفة، و(الأندي) ولها أربع لهجات فرعية أيضاً، و(ديدو) ولها خمس لهجات فرعية مختلفة، و(لاك) و(دارجي) و(كايتاك) و(كوباتشي) و(الزجي) وله ثلاث لهجات مختلفة، و(أجول) و(روطول) و(تساخور) و(تباساران) و(بدوخ) و(درهج) و(تندي) و(تشامالال) و(اكهوخاخ) و(اودي)[4].

---

(1) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي، ص136.
(2) اللغات القفقاسية، ص17.
(3) اللغات القفقاسية، ص19-20.
(4) اللغات القفقاسية، ص20-21.

المبحث الثاني: تطور اللغة في تركية

كان لا بد للشراكسة من الحفاظ على وحدتهم في بلاد المهجر، حيث نظرت إليهم المجتمعات التي هجّروا إليها بأنهم أجانب، وكانوا على حذر، وهم لم يشعروا بالمساواة التي كان الإسلام يحثُ عليها.

فكانَ لابد من الحفاظ على وجودهم وجماعتهم، فأنشأوا لذلك الجمعيات والمدارس ليسايروا التطور وانتبهوا إلى لغتهم، وحاولوا كتابة تراثهم.

1. **بعد التهجير:** كانت نظرة الشراكسة إلى الدولة العثمانية بأنها بلدُ الإسلام، وحامي حماها، وقالوا: نستعد ونعود لتحرير بلادنا. ولكن أنى لهم ذلكَ فكانت الإمبراطورية التركية مع الروسية وبمعرفة الإنكليز لهم أغراض أخرى لتهجيرهم.

لم يسمح للشراكسة بالسكن في منطقة واحدة، وحتى لم ينسوا توزيع الأسرة الواحدة إلى مناطق متفرقة متباعدة، ولم يكتفوا بذلك بل طُلب منهم تغيير أسمائهم وخاصة أسماء أمرائهم وكبرائهم وزعمائهم بحجة أنها أسماء غير إسلامية. وفي ضوء ذلك ((كان محظوراً عليهم نشر وتعليم لغتهم، وكانوا ممنوعين كذلك من تدوين تاريخهم القومي))[1]. ويجدر بالذكر في خضم الأحداث الجسام بأن لهجة الوبخ وهي من لهجات الشراكسة أيضاً قد ضاعت تماماً.

وفي عام 1840م قرر مجلسهم القومي تعليم أولادهم لهجة الأبزاخ[2] الشركسية. وفي تركية أيضاً اتخذ قرار مماثل تأكيداً للسابق. وحالياً من بقي من الوبخ يتكلم لهجة الأبزاخ.

2. **بعد إعلان الدستور التركي:** زمن السلطان عبد الحميد، حيث أُعطيت بعض الحريات، نجد أن بعض الشراكسة في أواخر حكمه وصلوا إلى البرلمان، وإلى رتبة الجنرال بالجيش، وعلى نطاق شعبي أنشأوا جمعيات خيرية للتعاون وللحفاظ على أنفسهم، وتراثهم وتجمع شملهم وتشرف على شؤونهم، وتم إصدار

(1) تاريخ القوقاز، ص235.
(2) اللغات القفقاسية، ص17-18، اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس، ص13.

جريدة (غوازا)[1] التي تعني باللغة الشركسية الدليل، وكذلك تطلق على نجم القطب، وكانت تكتب باللغتين الشركسية والتركية.

كانت تركيا حينها تستعمل الأحرف العربية في كتابتها وكذلك الشركسية[2]. حيث ألّف السيد أحمد جاويد باشا تارخيت، عاش ما بين (1840-1916م) ألّف كتاباً لتعليم اللغة الشركسية باستخدام الأحرف العربية[3].

وضع السيد مصطفى بوتبا عام 1908م كتاباً تعليمياً سماه ألف باء الشركسية والأبخازية. وفي نفس الوقت تمَ إعداد معلمين للغة الشركسية، منهم الأستاذ تساغونوري الذي عادَ لبلاده بالقفقاس، وأسسَ هناك مدارس شركسية[4]. وباعتبار الأم مدرسة، فتح الشراكسة مدرسة للبنات لتعليمهن اللغة الشركسية في الآستانة، ولتكون أمهات الشراكسة متفهمات واعيات ومثاليات[5].

3. **استعمال الأحرف اللاتينية:** تحول الشراكسة إلى استعمال الأحرف اللاتينية في كتابة لغتهم، وربما كانت بسبب تحول تركيا نفسها لاستعمالها في كتابة لغتها. وربما بسبب الاضطرابات الناتجة عن الهزيمة العسكرية لتركيا في الحرب العالمية الأولى[6].

ألفت مجموعة قصص وأشعار لتساعد الأطفال في تعليم لغتهم وكانت من تأليف السيد محمد علي بجيحالوقه، وتيمه سيين وهارون باتوق وعمر حلمي تسيي وغيرهم[7].

لكن لم يمضِ سوى وقت قليل، حتى أعلنت الجمهورية التركية سياسة التتريك فلم

---

(1) شركسي يتحدث عن قومه ص35، تاريخ القوقاز ص235، أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة ص42، مدخل إلى تاريخ الشراكسة، ص56.
(2) مدخل إلى تاريخ الشراكسة، ص56.
(3) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة ص13، تاريخ القوقاز، ص235.
(4) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص14.
(5) مدخل إلى تاريخ الشراكسة، ص56.
(6) مدخل إلى تاريخ الشراكسة، ص56 - أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص14.
(7) مدخل إلى تاريخ الشراكسة، ص56.

يسمح لا للشراكسة ولا للعرب ولا للأكراد ولا لغيرهم بالكتابة أو بالقراءة أو التكلم بلغتهم. وهذا الوضع استمر ما يقارب الأربعين عاماً[1].

حظر نشاط الجمعيات، وتم إلغائها وأُحرق كافة المطبوعات فيها، واعتقل أعضاؤها. كما حوكمت السيدة سيزابوخ وهي مديرة المدرسة الشركسية للبنات، وكان ذلك عام 1923م بتهمة خيانة الوطن، ومنع الشراكسة من دخول المدارس المتقدمة التركية استمر الأمر إلى عام 1948م. وسُرح كافة الشراكسة من وظائفهم سواء العسكرية أو المدنية سواء من كانوا زمن السلطان أو زمن مصطفى كمال أتاتورك، وحتى المشاركين معه في حرب التحرير كما سميت، وخاصة مساعديه ومستشاريه وكان على رأسهم رئيس الوزراء للجمهورية الجديدة السيد رؤوف أورباي[2]. كما أبعد رفيق أتاتورك السيد باكير سامي إلى موسكو كسفير لتركيا. ولنقرأ ما كتبته صحيفة حاكمية ميليي عام 1930م من قول وزير العدل التركي محمود عزت بوزكوت: ((يجب على أعداء وأصدقاء بلدنا أن يعرفوا أن السيد في هذه البلاد هو التركي، وغير الأتراك لهم حق واحد في هذه البلاد هو أن يكونوا عبداً للأتراك، وأن يخدموا الأتراك كعبيد))[3].

4. **في ظل نظام تعدد الأحزاب:** في عام 1948م قام في تركيا نظام تعدد الأحزاب حيث سمحَ لأبناء الشراكسة بدخول المدارس العالية. أعيد إصدار جريدة سميت (القفقاس) التي كتبت باللغة التركية، وفي الخمسينات عاد وضع الشراكسة في تركيا إلى الاحتداد بشكل خفيف[4].

وفي بداية الستينات كان الانقلاب العسكري تبعه تعديل الدستور، وأعطيت بعض الحريات للأقليات، وعلى ضوء المعطيات الجديدة تم استخدام الأبجدية السلافية

---

(1) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص14-46.
(2) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص45.
(3) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص45.
(4) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص46.

لكتابة اللغة الشركسية[1].

وقبيل انهيار الاتحاد السوفييتي أُرسل أول طالب شركسي من تركيا للدراسة في روسيا الاتحادية.

([1]) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص14.

البحث الثالث: تطور اللغة في بلاد الشام

1. **في سوريا:** يوجد في سورية داغستان وشيشان وقوشحه (أوستين) ومن سائر الأديغة الشركس من أبزاخ وبجدوع وقبرطاي وأبخاز وشابسغ وحتى من الوبخ الذين يتكلمون بلهجة الأبزاخ(1).

بعد إصدار قانون الجنسية العربية السورية كان الشراكسة من أوائل من تقدم للحصول على الجنسية بعكس غيرهم من الأقليات، وحتى بعض فئات الشعب السوري الذي لم يكن متفهماً للموضوع على حقيقته في البداية.

ساهم الشراكسة كباقي المواطنين في الواجبات المترتبة عليهم وشاركوا في كافة المعارك التي قامت لتحرير فلسطين وقد كتبت ((جريدة الأهرام المصرية بعددها الصادر ليوم 2 أكتوبر سنة 1947م. إن سورية حشدت قواتها على حدود فلسطين لتحريرها بالاشتراك مع قوات دول الجامعة العربية في حال انسحاب الجيوش البريطانية من فلسطين، وإنه في مقدمة هذه القوات فرق الخيالة الشركسية. وهذا يدل على مبلغ اعتماد هذه الجمهورية العربية الفتية على قوات الشركس لما اتصفت به من الشجاعة والإخلاص(2).

2. **اللجنة اللغوية:** ضمن الحرية الممنوحة للمواطنين في سورية لم ينسَ الشركس تراثهم وتقاليدهم وفولكلورهم، والتي ما زالت تقدم رقصاتها باللباس الشركسي القومي في المناسبات القومية، وكذلك لم ينسوا لغتهم، فشكلت لجنة لغوية خاصة لبحث طريقة الكتابة الشركسية، وهي منبثقة عن جمعية التعليم والتعاون الشركسية بدمشق. واستحضرت اللجنة الآثار المطبوعة واستمعت للآراء المختلفة لأشهر العلماء في تدوين اللغات، وقامت مشكورة بالدراسة الوافية، وكانت طريقتها في البحث بوضع أسئلة مختلفة تتعلق بالكتابة الشركسية،

(1) عشائر الشام ج2 ص649، اللغات القفقاسية ص18، الريف السوري ج2 - تأليف أحمد وصفي زكريا ص506-509، ومن الصفحة 535-549.

(2) شركسي يتحدث عن قومه، ص39.

والجواب عليها.
مثل السؤال: هل يوافق عصر اللغة الشركسية الحاوية على أصوات كثيرة على خمس وعشرين شكلاً من الأحرف اللاتينية[1]؟
وتهمنا النتيجة وهي التوصل إلى استعمال الأحرف اللاتينية مع بعض التعـديل لاستعمالها كألف باء شركسية /51/ حرف للكتابة الشركسية. وصدرت مقرراتها في 18 نيسان سنة 1927م بدمشق، واستعملت هذه الأبجدية لتدريس مادة اللغة الشركسية في المدرسة الشركسية بالقنيطرة وفي جريدة (مارج) والتـي كانـت تصدر باللغة العربية والتركية والفرنسية بالإضافة إلى الشركسية[2].
3. **المرحوم أمين سمكوغ:** هو المرحوم أمين ابن الضابط أيوب سمكوغ الـذي استشهد في طرابلس ليبيا أثناء المعارك ضد الإيطاليين عاش ما بـين 1900-1952م. نال المرحوم من جامعة السوربون دبلومين اختصاص فـي الزراعـة العامة ودبلوم في السياسة الدولية، وشغل خلال وجوده في فرنسا أمانـة السـر للجمعية الشركسية في باريس.
حينما عاد إلى الوطن ولضرورة العلم والثقافة العامة أسـس الجمعيـة الأدبيـة الشركسية وفي عام 1935م أسس فروعاً للجمعية في عدد من القرى، وفي عام 1937م أسس شركة الجولان التجارية وساهم في جريدة مارج، وشغل منصـب رئاسة بلدية القنيطرة وأصبح ممثلاً عن القنيطرة في المجلس النيـابي بتـاريخ 1933/3/4م.
يقول الكاتب عبد المعين الملوحي عنه: ((كان – رحمه اللّه – مثقفاً ثقافة ممتازة. طالما استمتعت بحديثه وثقافته، فكنت أشعر وأنا المعلم أني ما أزال طالباً يجلس بين يدي معلم جليل)).

([1]) مذاكرات اللجنة اللغوية ـ تأليف هارون باتوق، ص2.
([2]) مذاكرات اللجنة اللغوية ص21، مدخل إلى تاريخ الشراكسة ص56 و58، أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص14.

ويقول السيد الملوحي الذي كان مدرّساً لمادة اللغة العربية في المدرسة الابتدائية الشركسية بالقنيطرة وهي للبنين والبنات، والتي أسسها المرحوم أمين سمكوغ: ((كانت المدرسة الأديغية – الشركسية – تقوم في دار صغيرة تضم عدة غرف، وكانت مدرسة خاصة لأبناء القنيطرة من الشراكسة، وأعجبني العمل في المدرسة لأسباب عدة ومنها:

أ. طلاب مهذبون أذكياء.

ب. زملاء نبلاء منهم المرحوم إسماعيل آنزور وعاكف خوناكوا.

ج. مدير واع مثقف هو المرحوم الأستاذ أمين سمكوغ.

د. تدرس مادة واحدة في الصفوف الخمسة الابتدائية هي مادة اللغة العربية))[1].

4. **أنشطة أخرى:** كانت جريدة مارج تصدر بأربع لغات: الشركسية والعربية والفرنسية والتركية، وحالياً هناك نشرة ثقافية غير دورية تصدر عن الجمعية الخيرية الشركسية في دمشق.

أنشئ نادي الاتحاد الأدبي الشركسي في القنيطرة عام 1928م، وحالياً يوجد مركز ثقافي في قرية بريقة المحررة بمحافظة القنيطرة تابعة لوزارة الثقافة.

وأنشأ الشراكسة عدة فرق رياضية[2]، بحيث لم تخلُ أية قرية قبل حرب الخامس من حزيران عام 1967م في الجولان منها، وبعد النزوح كانت للشباب فرق رياضية وخاصة بكرة القدم في كل تجمع لهم. كما توجد فرق رياضية مختلفة في قرى حمص وحماه، وحالياً يوجد نادي رياضي في قرية بريقة المحررة تابعة للاتحاد الرياضي العام. كما حاز بعض الشراكسة على بطولات الجمهورية في ألعاب مختلفة.

خلال مروره وإقامته القصيرة بدمشق أصدر المرحوم شعبان كوبا مجموعة أعمال عن الفلكلور الشركسي، وطور أبجدية شركسية تعتمد على الأحرف

([1]) مجلة (النشرة الثقافية) بدمشق ـ العدد السادس ـ آذار 1992 من الصفحات 11- 15- 17- 18.

([2]) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة ص14، شركسي يتحدث عن قومه، ص35.

اللاتينية بأسلوب الحركات في الأحرف السلافية[1].

5. **في شرقي الأردن:** في الأردن توجد مدرسة الأمير حمزة الثانوية الخاصة الشركسية أسسها الفرع النسائي للجمعية الخيرية الشركسية في عمان[2]. كما أن للشراكسة نادي رياضي اسمه النادي الرياضي الأهلي بمدينة عمان[3].

في فلسطين المحتلة مع قلة الشراكسة هناك حيث لم يبقَ إلا قريتين شركسيتين ((توجد مدرسة شركسية في كفركما تدرس اللغة الشركسية باستعمال الأبجدية السلافية المطورة في الاتحاد السوفييتي))[4].

([1]) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة ص14-15.

([2]) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة ص15، الشركس ص136، مجلة (المستقبل العربي) عدد أيلول 1992 ص43.

([3]) شركسي يتحدث عن قومه ص36.

([4]) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة ص15، مجلة (المستقبل العربي) عدد أيلول 1992 ص42.

الفصل الثاني

واقع اللغة الشركسية

1. **جمهورية اتحاد شمال القفقاس:** لقد حارب سكان ما بين بحري قزوين والأسود معاً ضد قياصرة الروس لما بينهما من تقارب في الأصول، ووحدة الدين والتاريخ العريق الواحد، والآمال المشتركة. حيث نجد تقارباً بين الداغستان والشيشان، وبينهما وبين الأديغة (الشركس). إن جميعهم من السلالة البونتيكية[1]. هذا ما جعلهم بعد انقضاء الدولة القيصرية عام 1917م يسعون للاتحاد وإقامة دولتهم تحت اسم (جمهورية اتحاد شمال القفقاس) المستقلة، أعلن عنها رسمياً في 11/ أيار/1918م، وجعلت عاصمتها تيميرخان شورا، ورئيسها الجنرال تيه شيرموي (عبد المجيد تشرنوي)، والتي أوفدت وفداً يرأسه رئيس الجمهورية إلى محادثات فرساي التي أعقبت الحرب العالمية الأولى.

هذه الدولة الفتية اعترفت بها تركيا وبلغاريا والنمسا وألمانيا، وكان لكل من بريطانيا وفرنسا قنصل لها، مع عدم الاعتراف الرسمي من قبلهما بالجمهورية الفتية. وحتى روسيا بقيادة لينين اعترفت بالجمهورية، والذي تم مقابل الحصول على مساعدتها العسكرية القضاء على جيش القوزاق الأبيض. وحينما شعرت هذه الجمهورية بالمؤامرات وبتوزيع الحصص للدولة الكبرى. طالبت بحماية وانتداب أمريكا التي رفضت. فطلبت حماية إيطاليا التي اعتذرت[2].

إن هذا يوضح الاتفاق بين الغرب لتقاسم البلاد، والتي بلغت حصة بريطانيا ما يقارب ربع العالم وحصة روسيا سدس العالم. والجدير بالذكر أن مساحة بلاد

([1]) مجلة (الجيل) ـ عدد تشرين الثاني 1989، ص82.

([2]) مجلة (الجيل) عدد تشرين الثاني 1989 ص84، (الجيل) عدد نيسان 1992، ص7، قتلة الأمم ص132 ـ مقابل الشيشان تفاؤل وقلق.

الروس الأصلية كانت تبلغ مليوني كيلو متر مربع وأصبحت مساحة ما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي سابقاً /22.4/ مليون كم^2.

إن سياسة التقسيم وتوزيع الحصص، طُبقت على بلاد الشام التي انفصلت عن الدولة العثمانية، والتي طالب فيها مندوبو الشعب بالاستقلال لبلاد الشام بما فيها فلسطين تحت قيادة الملك فيصل بن حسين المعروف بفيصل الأول. وإذا كان لابد من الحماية فطلبت انتداب أمريكا، لكنها رفضت[1] كما فعلت ببلاد الشراكسة. وأين ذلك من كلمة رئيس أمريكا السيد ويلسن في مؤتمر الصلح حيث قال: ((إن ما تفر منه العدالة هو إحلال الفتوحات الاستعمارية وتبادل البلاد بين الدول كأن الشعوب ليست سوى أثاث ينقل أو حجارة شطرنج. لقد تغير الزمان فلم يبق السياسيون قادرين على اجتماع لفرض إرادتهم على زاوية مائدة، وتبديل خريطة الممالك، فإذا كان عليكم أن تعدلوا خريطة العالم فليكن تعديلها باسم الشعوب شرط أن تعبروا بإخلاص وأمانة عن أمانيها وتحترموا حق الأمم الصغيرة والكبيرة في حكم ذاتها بذاتها. والتوفيق بين حق الأقليات العنصرية والدينية المقدس عمل عظيم يرشدكم فيه اثنان هما: العلم والتاريخ اللذان ينيران لكم السبيل))[2].

بعد أن ثبتَ الشيوعيين على كرسي الحكم في روسيا، لم يتردد لينين في القضاء نهائياً على جمهورية اتحاد شمال القفقاس عام 1922م، حيث أرسل الجيش الأحمر الذي دخل عاصمة الجمهورية تيميرخان بعد مذبحة رهيبة في 30/آذار/1920م وبنفس الطريقة تم القضاء على أجزاء الجمهورية كلها. ومن ثم ضمها إلى الدولة الروسية[3].

كان الهدف هو نفس هدف القياصرة الروس وهو القضاء على القوميات وخاصة

([1]) من ميسلون إلى الجلاء ـ تأليف منير المالكي، ص70-71.
([2]) من ميسلون إلى الجلاء، ص55 و56.
([3]) مجلة (الجيل) عدد تشرين الثاني 1989، ص84 - مجلة (الجيل) عدد شباط 1992، ص7 - مقالة الشيشان تفاؤل وقلق.

ذات الطابع الديني ولو كان الدين اسمياً لـــديهم. وإحـــلال الســـيطرة الروســـية العسكرية، وأخذ خيرات البلاد[1].

وقام الشيوعيون بتقسيم جمهورية اتحاد شمال القفقاس إلى تسع كيانات، أتبعـــت كل منها إلى جهة تختلف عن الأخرى.

2. **مقاطعة الشابسوغ:** أُنشئت بعد القضاء على جمهورية اتحاد شـــمال القفقـــاس على ساحل البحر الأسود. والشابسوغ فرع من الأديغة (الشركس) ولغتهم أبســـط لهجاتها، ويحمل سكانها جوازات سفر مذكور في بعضها أنهم شـــركس وبعضـــها أنهم قبرطاي وبعضها الآخر أديغة مع أنها تسميات لاسم واحد.

تحت شعار جمع الشمل دفع الاتحاد السوفييتي بالروس وأسكنهم فـــي مقاطعـــة الشابسوغ ذات الحكم الذاتي. وبعد الحرب العالمية الثانية ألغيت المقاطعة وضمت للروس. وحالياً هم في محاولة لإعادة إنشائها[2]. ومن أهم مدنها سوتشي وأنابـــا وهم مسلمون على المذهب الحنفي.

3. **جمهورية الأديغي ذات الحكم الذاتي:** أنشئت تحت اســـم مقاطعـــة الأديغـــة (الشركس) المستقلة ذاتياً في 1922/7/27م عاصمتها مدينة مايكوب.

ومساحة المقاطعة 6 و7 ألف كم^2 تابعة لإقليم كراسنودار في جمهورية روســـيا السوفييتية الاتحادية الاشتراكية السابقة. ودولة روسيا حالياً. وفي عـــام 1936م اتخذت مقاطعة الأديغة ذات الحكم الذاتي، وتم الإعلان بتحويلها من مقاطعة إلى جمهورية الأديغي ذات الحكم الذاتي في 1993/10/3م. سياسة الـــروس التـــي كانت توطن في كل جمهورية أو مقاطعة ذات حكم ذاتـــي 40% روس و20% أقليات أخر. يبلغ عدد سكانها حسب إحصائيات عام 1979م /404/ ألف نســـمة منهم /109/ ألف شركسي. كما يعيش منهم في توابسه وكراسنودار. وهم مسلمون

([1]) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي، ص157.

([2]) مجلة (المستقبل العربي) عدد أيلول 1992، ص39-40.

على المذهب الحنفي[1].

4. **جمهورية القرتشاي – تشركيسيا المستقلة ذاتياً:** أنشئت في 1922/1/12م وأتبعت إلى إقليم كراسنودار في جمهورية روسيا السوفييتية الاتحادية الاشتراكية سابقاً.

وحالياً إلى دولة روسيا. وفي عام 1926م قسمت إلى منطقة القرتشاي المستقلة ذاتياً. ومقاطعة الشركس القومية. ثم في 1928/4/30م أعيد الاتحاد بينهما تحت اسم منطقة القرتشاي شركيسيا خلال دخول القوات الألمانية إلى شمال القفقـــاس، أنشئت الحكومة القومية الكراتشاوية التي كانت برئاسة السيد قاضي بيرموكوف والذي قرر إعادة البنى الاجتماعية الدينية التقليدية إعادة نظام الملكية الفردية إلى الأرياف.

بعد رحيل الألمان وفي عام 1944م تم ترحيل القرتشاي إلـــى منـــاطق ســـيبيريا وغيرها، حيث صدر قرار النفي في 1 تشرين الثاني سنة 1943م، وتـــم تغييـــر التسمية إلى منطقة الشركس المستقلة ذاتياً، وألحق ســـتالين الجـــورجي أراضـــي القرتشاي إلى جمهورية جورجيا، ولكن بعد موت ستالين وبيريا أعيدت الأراضي – التي ضمت إلى جورجيا – مرة أخرى إلى روسيا الاتحادية بمرسوم مؤرخ في 1955/3/14م وحينما أعيد الاعتبار للقرتشاي صدر المرسوم فـــي 1957/1/9م بإعادة الحكم الذاتي للقرتشاي. مساحة مقاطعة القرتشاي – شركيسيا تبلـــغ /141/ ألف كم^2 عاصمتها مدينة شركيسيا عدد سكانها /369/ ألف نسمة مـــنهم /46.5/ ألف شركسي ومن الأبازة وهم فرع من فروع الشركس /30/ ألف نســـمة ومـــن القرتشاي /131/ ألف نسمة، والشركس فيها مسلمون على مذهب أبي حنيفة[2].

5. **جمهورية قبردينيا – بلقاريا ذات الحكم الذاتي:** أنشئت تحت اســـم منطقـــة

([1]) النشرة الثقافية ـ العدد السادس، ص39، المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي، ص134.

([2]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد السادس ص39، القوميات والدولة السوفياتية، ص22، المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي ص135- قتلة الأمم، ص204-205.

كبردين المستقلة ذاتياً في 1921/9/1م. ثم أطلق عليها (منطقة كبردية – بلقارية) المستقلة ذاتياً في 1922/1/16م، ثم جمهورية مستقلة ذاتياً في 1936/12/5م. وبعد نفي البلقار بالمرسوم الصادر في 1942/3/7م، أعطى ستالين الجورجي وادي باكسان الأعلى ومعظم أراضي البلقار إلى جورجيا عام 1944م. وأطلق على الجمهورية اسم جمهورية كباردينا الاشتراكية المستقلة ذاتياً. وفي 1957/1/9م صدر مرسوم من هيئة رئاسة مجلس السوفيات الأعلى حول إعادة الحكم الذاتي الوطني لقومية البلقار، واستمرت عودة البلقار إلى نهاية عام 1958م. وأعيدت التسمية بالجمهورية الكبردية – البلقارية في 1968/1/9م.

مساحة الجمهورية /12.5/ ألف كم^2 عاصمتها مدينة نالتشيك. عدد سكان الجمهورية يبلغ /674/ ألف نسمة حسب إحصاء عام 1979. منهم /322/ ألف من القبرطاي (الشركس) و/66/ ألف نسمة من البلقار وهم مسلمون على المذهب الحنفي[1].

6. **جمهورية أبخازيا المحررة:** إن للأبخاز قصة طويلة، وسنوضحها باختصار حيث يتطلب الأمر شيئاً من معرفة تطور الجمهوريات في الاتحاد السوفييتي السابق، حيث يتم التطور من الأدنى إلى الأعلى. فنجد أنه كان في الاتحاد السوفييتي السابق خمس جمهوريات ذات حكم ذاتي أصبحت في آخر عهده /16/ جمهورية ذات حكم ذاتي. حيث تحولت إحدى عشرة مقاطعة ذات حكم ذاتي إلى جمهوريات ذات حكم ذاتي، وكان هناك ست جمهوريات اتحادية أصبحت في آخر عهد الاتحاد السوفييتي السابق /15/ جمهورية اتحادية بتحول تسع جمهوريات ذات حكم ذاتي ومقاطعات ذات حكم ذاتي إلى جمهوريات اتحادية.

([1]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السادس ص39ـ40، المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي ص120، قتلة الأمم ص94-95.

هذا التطور نحو الأعلى لم يحدث في أبخازيا بل حدث العكس في 21/أيار/ 1921م أعلن عن استقلال جمهورية أبخازيا السوفييتية الاشتراكية. وفي عام 1931م تغير وضع جمهورية أبخازيا السوفييتية إلى جمهورية ذات حكم ذاتي تُبعت إلى جورجيا. إن هذا التحول نحو الأدنى من جمهورية اتحادية إلى جمهورية ذات حكم ذاتي لم يكن حسب رغبة الأبخاز. بل باستخدام أساليب متعددة للضغط حزبياً واستخدام الأساليب الإلزامية المختلفة. ونشاط وأوامر (ستالين) أو (ارخبيكيدزة) و(بيريا)[1].

وأخيراً تم الإعلان عن استقلال الجمهورية من قبل برلمانها في 1992/3/4م وعلى إثره هجمت القوات الجورجية على أبخازيا واحتلتها، ولكن الأبخاز ردوا الصاع صاعين، وتم أخيراً تحريرها بالكامل في 1993/10/3م ومنذ ذلك التاريخ لم تعلن أية دولة الاعتراف الرسمي بها.

إن مساحة أبخازيا /8.6/ ألف كم^2، عاصمتها سوخومي. عدد الأبخاز في الجمهورية حسب إحصائية 1979م هو /91/ ألف نسمة، ما يقارب من نصفهم مسلمون[2].

7. **جمهورية الشيشان أنغوش:** أنشأت باسم الجمهورية الشيشانية الأنغوشية الاشتراكية السوفييتية المستقلة ذاتياً في 1934/1/5م بتوحيد الجمهورية الشيشانية المستقلة ذاتياً التي أنشئت في تشرين الثاني 1922م والجمهورية الأنغوشية المستقلة ذاتياً التي أنشئت في تموز 1924م.

صدر مرسوم في 1944/2/22م بنفي الشيشان الأنغوش، فألغيت الجمهورية الشيشانية الأنغوشية في 1944/3/3م وبعد طردهم من ديارهم بعد إصدار مرسوم النفي الحتمي الفعلي لهم في 1944/3/7م، وصدر مرسوم آخر يؤكد

---

(1) ملحق الرسالة الموجهة للمجلس الأعلى للكونغرس الحزبي التاسع عشر لعموم الاتحاد السوفيتي.

(2) مجلة (النشر الثقافية) دمشق ـ العدد السادس، ص39ـ40 - المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي، ص128-129.

نفي الشيشان الأنغوش في 1946/6/26م أيضاً. وصدر قرار في 1948/2/10م من اللجنة المركزية حول الموسيقا الشيشانية والسماح بمهاجمة الشيشان والأنغوش.

وأول ذكر بعد ذلك للشيشان بالمنفى كان في 1955/5/17م. وصدر في 1957/1/11م مرسوم من هيئة مجلس السوفييت الأعلى لنقل المنطقة الشيشانية من جورجيا إلى جمهورية روسيا الفيدرالية. تلك الأراضي التي تُبعت لمناطق دوشيت وكازيك، وتمت إعادة الأراضي حسبما كانت الحدود قبل 1944/3/7م. وصدر مرسوم في 1957/1/9م من هيئة رئاسة مجلس السوفييت الأعلى بإعادة الحكم الذاتي الوطني القومي للشيشان والأنغوش. فأعيد اعتبارهم وأعيدت الجمهورية بمرسوم صدر في 1957/2/11م، واستمرت عودة الشيشان والأنغوش إلى نهاية عام 1960م.

أعلنت استقلالها من طرف واحد وأول من ترأسها الجنرال جوهر دوداييف ولم تعترف بها أية دولة كما وقامت روسيا بغزوها واحتلالها للمرة الثانية.

مساحة الجمهورية /19.3/ ألف كم^2 عاصمتها غروزني عدد سكان الجمهورية /1.155/ مليون نسمة ويعيش فيها /22/ ألف من الداغستان. وهم مسلمون سنييون على المذهب الشافعي[1].

8. **جمهورية الداغستان:** تألفت جمهورية الداغستان المستقلة ذاتياً في /1/21/ 1921م مساحتها /50.3/ ألف كم^2 ويبلغ عدد سكانها /1.637.000/ نسمة عاصمتها مختش قلعة وهم مسلمون سنيون على المذهب الشافعي[2].

9. **جمهورية أوسيتيا الشمالية:** مساحتها ثمانية آلاف كم^2 وعدد سكانها /619/

([1]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السادس، ص39ـ40 - المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي، ص128 - قتلة الأمم، ص203 - مجلة (الجيل) عدد شباط 1992، ص4، البنية الاجتماعية السياسية والدينية وفي القفقاس الشمالي في القرن السادس عشر، ص133.

([2]) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي، ص122، البنية الاجتماعية السياسية والدينية في القفقاس الشمالي في القرن السادس عشر، ص126.

ألف نسمة عاصمتها أورجنكيدزة. وبدأ الإسلام يصل إليها في أواخر القرن السابع عشر من القبرطاي غربًا ومن النوغاي شمالًا. وحالياً قبائل الديغور فقط هم المسلمون على المذهب الحنفي ويسكنون في الجزء الغربي من الجمهورية[1].

10. **جمهورية أوسيتيا الجنوبية:** مساحتها /3.9/ ألف كم^2 عدد سكانها /9.9/ ألف نسمة عاصمتها تسخينفالي، تُبعت إلى جورجيا وبعد انفكاك الاتحاد السوفييتي، قامت بها محاولة انفصال عن جورجيا لتتحد مع أختها الشمالية [2].

11. **كلمة لا بد منها:** إن العرب المسلمون في فتوحاتهم في تركيا الحالية وآسيا وجنوب القفقاس وفي الأندلس وافريقيا. لم يجبروا أي إنسان على أن يصبح عربياً بالقوة. وتركوهم على لغتهم، طلبوا منهم الإيمان فقط، فأقبلوا على الإسلام الذي لم يروا فيه تناقضاً مع مطامحهم في الحياة ومع وجودهم القومي. لقد عرف المسلمون معنى حديث الرسول ﷺ: «**لا يلام الرجل على حب قومه**»[3].

نجد الروس الذين توسعوا للجنوب اضطهدوا جميع القوميات غير الروسية، المسلمة والمسيحية على حد سواء وإجبارهم على التروّس – أي أن يصبحوا روساً – كذلك حملة سياسة التتريك التي طبقها الترك أيضاً.

ورغم مقاومة الشعب إلا أن الأرض كانت موزعة سلفاً على المنتصرين في الحرب العالمية وعن نضال الشراكسة في القفقاس نستحضر ما قاله المؤرخ الروسي الجنرال فيديال حيث يقول: «الحرب التي قامت بيننا وبين سكان الجبال القفقاسية تطلبت جيوشاً كانت قادرة على المضي في الزحف من مصر إلى اليابان». ومن قبله قال ماركس فيهم: «أيها القوم خذوا درساً منهم. وانظروا القوة المقدرة والاستعداد الذي ينطوي عليه من يريد الحياة الحرة»[4].

([1]) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي، ص122 - البنية الاجتماعية السياسية والدينية في القفقاس الشمالي في القرن السادس عشر، ص133.

([2]) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي، ص146 - البنية الاجتماعية السياسية والدينية في القفقاس الشمالي في القرن السادس عشر، ص133.

([3]) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي، ص157.

([4]) مجلة (الجيل) - عدد تشرين الثاني 1989، ص86-87.

المبحث الأول: واقع اللغة ذات المنشأ القوقازي

1. **المدارس والجامعات:** بعد أن ظهرت روسيا الشيوعية كحامية حمى الشعوب أظهرت نفسها في الداخل بأن الحريات متوفرة بتوفير الحكم الذاتي لشعوب الاتحاد السوفييتي السابق ولكن مع ادعاء البعض ((أن الفكرة السوفياتية حول الحكم الذاتي تعطي نتائج في الميدان اللغوي والثقافي، وهؤلاء البعض يكونون أحياناً من الأشخاص الذين يدركون عقم الفكرة السوفياتية هذه سياسياً))[1].

في عام 1958م سمح بالتدريس باللغات القومية ولكنها كانت مقتصرة على المرحلة الابتدائية الأولى ولا تتجاوز الصف الرابع الابتدائي، ومن الأمثلة على ذلك في الداغستان تم تدريس الصف الأول إلى الثالث الابتدائي باللغات القومية[2]. وكان التدريس باللغات القومية واللهجات المحلية للتلاميذ بالنسب التالية: في جمهورية القبرطاي – بلقار 24% باللهجة القبرطايية (الشركسية) وفي جمهورية الأديغة 11% باللهجة الأديغية (الشركسية) وكذلك في مقاطعة قرتشاي شركيسيا 9% باللغة الشركسية[3].

سكان الريف الذين لا تتوافر لديهم سوى المدارس الابتدائية والتي لا تتجاوز الأربع سنوات، كانوا يضطرون للجوء إلى المدارس الروسية[4].

في مقارنة بين عامي 1958–1972م نجد التدريس باللهجة الشيشانية في عام 1958م كان يتم من الصف الأول إلى الرابع، أما في عام 1972م أصبح التدريس بالشيشانية لدور الحضانة فقط وباللهجة الأنغوشية بنفس الصفوف. أما بلهجة القبرطاي الشركسية كان التدريس بها عام 1958م إلى الصف الرابع الابتدائي أما في عام 1972م ألغي ذلك ولم يعد يدرس بها حتى في

(1) قتلة الأمم، ص183-184.
(2) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 337 كانون الأول 1986م، ص82.
(3) قتلة الأمم، ص184.
(4) القوميات والدولة السوفياتية، ص126.

الحضانة[1]. أما في لهجة الآفاريين في الداغستان كان في عام 1958م يدرس بها إلى الصف الرابع وفي عام 1972م يدرس فقط الصف الأول وباقي لهجات الداغستان كان في عام 1958م يدرس بها إلى الصف الرابع الابتدائي وفي عام 1972م اقتصرت إلى الصف الثاني فقط[2].

بعد الأحداث التي جرت سابقاً في عام 1978م في جمهورية أبخازيا طالب الأبخاز بالانفصال عن الجورجيين وإلحاق أبخازيا بموسكو مباشرة. عمدت جورجيا لاسترضائهم واتخذت قرارات مثل تطوير الجمهورية والسماح بالتدريس في المدارس باللهجة الأبخازية، وعمل مركز للبث التلفزيوني باللغة الأبخازية وإضافة إلى اللغة الروسية وتم فتح جامعة في سوخومي عاصمة الأبخاز عام 1978م[3].

في ماختشكالا بالداغستان جامعة فيها /11/ كلية[4] وفي غروزني بالشيشان المعهد الجامعي الذي أُنشيء عام 1934م تحول عام 1972م إلى جامعة[5].

في نالتشيك عاصمة جمهورية القبرطاي جامعة كذلك هناك جامعة في مايكوب عاصمة جمهورية الأديغي وفيها أقسام فتحت حديثاً لتدريس الأدب الشركسي.

تصدر صحف بالروسية تترجم إلى اللهجات المحلية في كل مقاطعة أو جمهورية ذات حكم ذاتي. وعلى سبيل المثال توجد صحيفة واحدة تصدر باللغة الأديغية (الشركسية) مقابل ثماني صحف تصدر بالروسية[6] في نفس جمهورية الأديغي ذات الحكم الذاتي. وفي مقاطعة قرتشاي شركيسيا (جريدة محلية تصدر بخمس لغات هي القرتشاية والشركسية والروسية والأبازية والنوغاي)[7].

---

(1) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد الخامس، ص14.
(2) القوميات والدولة السوفياتية، ص127.
(3) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 361 كانون الأول 1988م، ص78-79.
(4) مقالة (الشيشان تفاؤل وقلق)، ص48.
(5) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي، ص135.
(6) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي، ص135.
(7) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 368 تموز 1989م، ص139.

وفي جمهورية الداغستان ذات الحكم الذاتي ((في كل منطقة تصدر صحف محلية باللغة القومية بالإضافة إلى صحف أخرى باللغة الروسية))[1].

2. **أين المشكلة؟** تتجلى المشكلة في أمور كثيرة، نذكر منها ما أوضحه السيد بوريس ياكوف من جمهورية القبرطاي الشركسية في مجلة أبناء موسكو – العدد /1082/ تاريخ 1990/2/4م:

استثنيت اللغة الكاباردينية عملياً من مجال التداول الثقافي في السنوات الأخيرة وأصبحت معيشية بحتة، وكنا في الجلسات والاجتماعات نتحدث بالروسية وبها كتبت الجلسات.

أ. بدأ يعتبر كثيرون أن التحدث بالروسية يعني الأممية.

ب. يعني التحدث باللغات القومية الوقوع في إثم التعصب القومي.

ج. إن الأبجدية السلافية تجعل تعليم اللغة الأم صعباً جداً، ولقد لقيت محاولات التطوير معارضة شديدة.

د. يعارض بعض الأدباء تعليم اللغة الأم لاعتقادهم أن أبناءهم لن يحققوا النجاح إلا بمساعدة اللغة الروسية.

ه. لا يرغب كل قادم بتعلم لغة الجمهورية التي قدّمت له بكرم مكاناً في أرضها، ومن السيء جداً ألا يرغب القادم بفهم ما يفتخر به وما يخجل منه السكان المقيمون هنا منذ القدم.

ثم يقوم بدور الأخ الأكبر المحسن الذي ينقل الحضارة إليهم))[2].

3. **ما هو الهدف:** لمعرفة الهدف لا بد من استعراض التطورات المختلفة حول التعلم باللغة القومية. فقد كان في العشرينات تعلم اللغة القومية إلزامياً وتوفرت مؤسسات ثقافية ومدارس وجامعات ودور نشر باللغات القومية في الاتحاد

([1]) مجلة (العربي) الكويتية العدد 337، ص82، (النشرة الثقافية) دمشق العدد الخامس، ص14-15.

([2]) مجلة (العربي) الكويتية العدد 337، ص82، (النشرة الثقافية) دمشق العدد الخامس، ص14-15.

السوفييتي السابق. وبعد ذلك في الثلاثينات أصبح تعلم الروسية من شروط التقدم الاجتماعي، فكان لا بد من تعليمها. وفي إصلاحات خروتشوف عام 1958م أعطى الحق للأهل لاختيار نوع اللغة التي سيتعلم بها أبناؤهم. تلك الفترة البريئة ظاهرياً كان وراءها خبث. فإذا اختار الوالد لتعلم ابنه لغته القومية يعني أنه غير مبال باللغة الروسية، وبالتالي بالأممية، وتقارب شعوب الاتحاد السوفييتي.

هذا مع الضغط المعنوي بالإضافة إلى عدم توفر إمكانية هذا الاختيار دائماً في كافة أنحاء الاتحاد السوفييتي[1].

وهذا يعني على الأب أن يرسل أبناءه إلى المدارس الروسية[2].

هذه الحرية ظاهرياً إذاً كان الهدف منها العكس ((أكد خروتشيف أن اللغات القومية كانت تضعف وتفقد أتباعها))[3].

4. **ما هي النتيجة:** يمكن النظر إليها من ناحيتين. الناحية الأولى هي على صعيد حب الإنسان لقومه، ويتضح ذلك من الإحصاءات حول من يعتبرون لغتهم القومية لغة أم لهم. في إحصاء لدى القبرطاي في عام 1926م النسبة كانت 99.3% يعتبرون لغتهم الشركسية لغة أم لهم، وفي عام 1959م تصبح النسبة 97.9% وفي عام 1970م تصبح النسبة 98.1%.

أما لدى الشيشان فتكون النسبة لنفس السنوات: 99.7%، 98.8%، 98.8%.

وعند الداغستان النسب بالتتالي: 99.3%، 96.2%، 96.5%))[4].

الناحية الثانية على الصعيد الشعبي والعام تتجلى أمور كثيرة نذكر منها:

أ. جيل لا يعرف ثقافته ولغته الأم.

ب. افتقار احتياطي من مفردات اللغة وضياع بعض التراكيب والصيغ الجميلة الأدبية.

ج. عدم تخريج معلمين تربويين لتعليم اللغة القومية الأدبية[1].

([1]) القوميات والدولة السوفياتية، ص124.

([2]) قتلة الأمم، ص189.

([3]) القوميات والدولة السوفياتية، ص120.

([4]) القوميات والدولة السوفياتية، ص121.

المبحث الثاني: واقع اللغة ذات المنشأ التركي

1. **القرتشاي والبلقار:** القرتشاي والبلقار من المجموعة العرقية اللغوية التركية في القفقاس[2]. ويعتبر البلقار والقرتشاي أبناء عمومة يسكن البلقار في جنوب جمهورية قبردينا بلقار، والقرتشاي في جنوب مقاطعة قرتشاي شركيسيا، لغتهما تعود في جذورها إلى العائلة اللغوية التركية واللغة البلقارية هي نفسها لغة القرتشاي[3].

وحسب إحصاء عام 1979م أعلن 97% من البلقار أنهم يتكلمون بلغتهم الأم، والقرتشاي كانت نسبتهم في نفس العام 97.7%[4].

2. **أحوال اللغة:** كانت لغة القرتشاي تكتب بالأحرف العربية[5]، ثم كتبت بالأحرف اللاتينية التي استبدلت عام 1939م بالأحرف الروسية.

البلقارية أول ما كُتبت عام 1924م كانت بالأحرف اللاتينية، بعد أن اعتبرت لغة أدبية، والتي تم استبدالها بالأحرف الروسية عام 1939م[6].

كان تعليم البلقار في المدارس يتم بلغتهم إلى الصف الرابع الابتدائي عام 1958م وفي عام 1972م لم يبقَ من يتعلم بلغته البلقارية[7]، أما لغة القرتشاي فيتم تعليمهم في المدارس في الصفوف الثلاثة الأولى، ثم يتابع التعليم باللغة الروسية، وتصدر صحيفة باللغة القرتشاي في مدينة قرتشايسك[8].

3. **أصلهم وسكناهم:** القرتشاي هم أحفاد الكيبتش[9] القدماء، والتي في زمن

---

(1) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد الخامس، ص14-15.

(2) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي، ص63 - اللغات القفقاسية ص30 - مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السادس، ص50 - قتلة الأمم، ص58.

(3) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي، ص121 - مجلة (العربي) - العدد 368 تموز 1989م، ص132.

(4) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي، ص122-136.

(5) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 368 تموز 1989م، ص143.

(6) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي، ص121-136.

(7) القوميات والدولة السوفياتية، ص127.

(8) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 368 تموز 1989م، ص135.

(9) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي، ص135.

سيطرة القبيلة الذهبية في القرن الثالث عشر طردوا إلى الجبال حيث سكنوا في سفوحها[1]. وتم إسلام البلقار على يد القبرطاي في القرن السادس عشر والثامن عشر[2].

إذاً القرتشاي والبلقار من الشعوب الحديثة في القفقاس، وهم جزء من التتار المتجولين، أتوا منذ حوالي خمسمائة عام من جهة القرم[3]، والبلقار لم يعطوا أرضاً قبل نفيهم، ولم يتحدوا مع القرتشاي وكلاهما لم يندمج مع الشركس ولا مع الروس[4].

القرتشاي الساكنين في مقاطعة قرتشاي شركيسيا المستقلة ذاتياً يبلغون ثلث سكان المقاطعة[5] وعددهم حسب إحصاء 1979م بلغ /131074/ نسمة يسكن في المقاطعة منهم /109169/ نسمة حسب نفس الإحصاء[6]. أما البلقار فبلغ عددهم /66300/ نسمة منهم /60/ ألف ساكنين في جمهورية القبرتاي بلقار ذات الحكم الذاتي، وذلك حسب إحصاء عام 1979م[7].

((مع أن القرتشاي والبلقار كانوا من عنصر مختلف، إلا أن تاريخهم مشابه كثيراً لتاريخ أبناء دينهم الشيشان والأنغوش، وقد قاوموا هم أيضاً مقاومة عنيفة جيوش القياصرة، ولا سيما في العشرينات من القرن التاسع عشر. كما أيدوا المريدين وعلى العموم فإن كل ما قيل عن الشيشان والأنغوش يمكن تكراره عن هذين الشعبين التركيين الصغيرين))[8]. وحديثاً كان لهم دور مشرف في حوادث أبخازيا عام 1978م، وفي حرب الأبخاز التحريرية عام 1992.

---

(1) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي، ص121- قتلة الأمم، ص57.
(2) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي، ص121.
(3) قتلة الأمم، ص57 - ص59.
(4) قتلة الأمم، ص57 - ص59.
(5) مجلة (العربي) الكويتية العدد 368 تموز 1989م، ص134.
(6) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي، ص135.
(7) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي، ص121.
(8) قتلة الأمم، ص58.

4. **في الداغستان:** في جمهورية الداغستان ذات الحكم الذاتي قوميتان همـا الكوميك والنوغاي[1]، وينطبق عليهما شأن باقي القوميات الأخرى فـي الداغستان، التي تعود للعائلة الايبيرية القوقازية.

إن معرفة العربية الشائعة في الداغستان كما يقول المستشرق بارتولـد، وكـان للإسلام فضل بذلك، وكذلك للطريقة النقشبندية الصوفية، وللعلمـاء الداغسـتانيين الذين درسوا بجوار الكعبة في شتاء عام 1884-1885م[2].

وهذا بالطبع كان له الدور الهام في استعمال الأحـرف العربيـة فـي الكتابـة بالداغستان، وكانت العربية لغة رسمية في منطقة الإمام شامل الذي قاد المدافعين عن أرضهم ضد الروس. أما الطبقة المثقفة فكانت تتكلم اللغة التركية الأزيريـة التي كانت لغة ثانية دارجة في الداغستان[3].

أسباب ذلك كثيرة منها دخول الإسلام من قبل العرب عام 641م في عهد عمـر بن الخطاب، ومن أسباب انتشار التركية يعود أيضاً بسبب تابعيـة الداغسـتان لأتابكية أذربيجان من عام 1136م إلى عام 1230م ودخول التتار الداغسـتان عام 1394م، ومجيء الأتراك للداغستان بين عـامي 1645-1700م، وقـدوم الأخشار التركمان بين عامي 1738-1794م، وأولئك من الشعوب التي تـتكلم التركية.

حديثاً وبعد ثورة تركيا الفتاة 1908م، غض الروس النظر عـن جلـب الأدب السياسي والكتب المدرسية والنشرات الدورية والمدرسين، وعن إكمـال التعلـيم العالي في تركيا[4]. وذلك أولاً لنسيان الأحرف العربيـة، وكانـت النتيجـة أن استبدلت بها الأحرف اللاتينية، حيث كتبت خمس لهجات داغسـتانية بـالأحرف اللاتينية، ثم استبدلت بالروسية عام 1938م كما حدث في باقي بلاد الشركسـة

(1) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي، ص122.
(2) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي، ص125.
(3) محاضرة (اللغات الداغستانية) بدر الدين أواري الداغستاني.
(4) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي، ص239.

وباقي بلاد المسلمين التي كانت تابعة للاتحاد السوفييتي سابقاً.

إن اللهجة الكوميكية والنوغائية كانتا من اللغات الأدبية عــام 1936م، وحاليــاً تعتبر من اللغات الأدبية الكوميكية، بعد أن خفضت روسيا الشيوعية من اللهجات الأدبية في الداغستان من /11/ لهجة إلى /8/ لهجات، ويدرس بالكوميكية مــن بين أربع لهجات في جامعة مختش قلعة.

وفي إحصاء 1979م أعلن 99.1% من الكوميك و84.4% من النوغاي. بــأن لغتهم الخاصة هي لغتهم القومية الأولى، وفي عام 1933م كانت سبع صــحف بالكوميكية، وواحدة بالنوغائية تصدر في الداغستان[1].

([1]) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي، ص126.

المبحث الثالث: واقع اللغة ذات المنشأ الإيراني

1. **أصل لغتهم:** القوصحة، القوشحة هكذا يسمون الشراكسة الأوسيتين وهم جاؤوا إلى القفقاس من جهات إيران[1]، ولغتهم تعتبر من المجموعات اللغوية الإيرانية. وهم أحفاد اللان القدماء. أسلموا من جهة الشرق على يد الداغستانيين والشيشان ومن الغرب على يد القبرطاي، ولكن الإسلام لم يشملهم كلهم. وقبيلة الديغور هي فقط التي أسلمت، ويقطنون الجزء الغربي من أوسيتيا الشمالية، وهم على المذهب الحنفي[2]. والأوسيت يتألفون من ثلاث قبائل هي بالإضافة إلى الديغور قبيلتا الايرون في شرق أوسيتيا الشمالية وقبيلة التوال في أوسيتيا الجنوبة.

جمهورية أوسيتيا الشمالية ذات الحكم الذاتي تتبع روسيا حالياً، وأما مقاطعة أوسيتيا الجنوبية ذات الحكم الذاتي تتبع جورجيا و قد أعلنت استقلالها من جانب واحد.

2. **تعليم لغتهم:** لهجات اللغة الأوسيتية ثلاث لهجات مختلفة عن بعضها قليلاً، واللهجة الإيرونية هي أساس اللغة الأدبية الأوسيتية وتكتب بالأحرف الروسية[3]، ويقول البروفسور آيتك ناميتوق ((إن اللغتين الأوسيتية والشركسية تقدمان نقاط تشابه مثيرة للاهتمام سواء من وجهة النظر المورفوجية (تشكل اللغة) أو من وجهة نظر المفردات))[4].

أما عن تطور اللغة الأوسيتية فهو مشابه لجاراتها. فقد كانت النسبة 19% للتلاميذ الذين يتعلمون باللغة الأوسيتية في عام 1958م[5]، وكانت بالنسبة للذين يعتبرون أن لغتهم الأوسيتية لغة أم لهم نسبتهم 97.9% حسب إحصاء 1926م

---

(1) تاريخ القوقاز، ص88.
(2) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي، ص146 - 147.
(3) المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفياتي، ص146 - 147.
(4) أصل الشركس، ص87.
(5) قتلة الأمم، ص184.

وقلت إلى 89.1% عام 1959م وإلى 88.6% عام 1970م[1].

أما بالنسبة للتعليم المدرسي ففي عام 1958م كان التدريس باللغة الأوسيتية في الصفوف الأربعة الأولى من التعليم الابتدائي وفي عام 1970م أصبح لا يعلم باللغة الأوسيتية أي صف ولا في دور الحضانة[2].

أخيراً حينما نفي الشيشان والأنغوش من قبل ستالين عام 1943م ((ضم الجزء الرئيسي من جمهورية شيشان أنغوشيا مقاطعة غروزني الجديدة، مع شريط غربي مؤلف من معظم أنغوشيا تلحق بجمهورية أوسيتيا الشمالية))[3].

والجدير بالذكر أنه ما زالت مقاطعة (مزدوك) الشركسية مضمومة لأوسيتيا الشمالية.

([1]) القوميات والدولة السوفياتية، ص121.

([2]) القوميات والدولة السوفياتية، ص127.

([3]) القوميات والدولة السوفياتية، ص95.

الفصل الثالث

قواعد اللغة الشركسية

البحث الأول: الحروف والكلمات

1. **حروف الأبجدية:** ذكرنا ما قاله المؤرخ المسعودي عن أمة الكشك. هذه العبارة المأخوذة من اللغة الأوسيتية، الذين هم أحفاد الآلان التي كانت على صلة ببلاد فارس والإسلام، ومعناها بهذه اللغة (القارئون)، والمقصود بأمة الكشك هم المعروفون بالشراكسة في البلاد العربية، والذي كان موطنهم ما بين بحري قزوين والأسود[1].

إذاً لقب الشراكسة (بالقارئون) وهذا يدل بلا شك على معرفة بالقراءة التي تتطلب استعمال الأحرف.

اللغة الشركسية تحوي جميع الأصوات بدرجاتها المختلفة وتحوي كلمات كثيرة[2]. هذه الحروف التي لها مخارج صوتية لا يمكن تصويرها بالحروف الموجودة لدى الألسنة الشرقية أو الغربية، ويصعب كتابتها بأحرف تلك الألسن مثل الكلمات الشركسية الدالة على البحر والناب والصوف وغيرها[3]. وبالتالي يصعب كتابة بعض الكلمات الشركسية التي يشبه صداها أصوات الطيور، بأحرف لغة أخرى.

إن مخارج أصوات الأحرف أدى مع الزمن لدى الشراكسة إلى اختلافها حسب المناطق[4]. وتبلغ ثمانية أصوات وأدى إلى زوائد في نهاية الكلمات. مثل النطق بالشام يختلف عن النطق بها في مصر. ولكن لدى الشراكسة نرى زيادة في

([1]) عاد وثمود، ص22.
([2]) شركسي يتحدث عن قومه، ص11.
([3]) الحلقة المفقودة، ص7.
([4]) تاريخ القوقاز، ص158.

الأحرف ببعض اللهجات لتناسب تلك الأصوات الجديدة، وعلى وجود زوائد في نهايات الكلمات لدى بعض اللهجات تختلف عن غيرها.

هذه الاختلافات في بعض الكلمات موجودة لدى قبيلة أو قبيلتين ولكن لكون روسيا عملت لكل فخذ من الشراكسة أبجدية واعتبرتها لغة أدبية مستقلة عن باقي أخواتها. أدى إلى تصوير أشكال أحرف لدى البعض غير موجودة لدى اللهجات الشركسية الأخرى[1]. وكان يجب أن لا ترسم تلك الأحرف التي أصبحت عقبة ((دون وحدة الأشكال والأصوات للألف باء الشركسية بين قبائل الأديغية))[2].

بالعودة إلى أصل الحروف البسيطة في اللغة الشركسية نجدها لا تتجاوز الخمسة والعشرين حرفاً، وباقي الأحرف المستعملة الآن هي عبارة عن حروف مضاعفة[3] أو دمج حرفين معاً، أو عبارة عن أصوات مفخمة للحروف البسيطة بمثل التشديد للحرف أو تخفيف شديد للحرف، وبالتدقيق نجد الأصوات الشركسية الرئيسية في اللغة الشركسية أقل من الأصوات في اللغات الإنكليزية والفرنسية الألمانية[4] والعربية، وغيرها من اللغات ونجد الأصوات المضاعفة والمعدلة والمفخمة والمركبة قليلة الاستعمال في اللغة، والكلمات التي تحويها في القواميس قليلة جداً[5]. وكان يجب عدم رسمها بأحرف مستقلة. مثال ذلك الكلمة التي معناها باخرة بلهجة القبرطاي ترسم بستة أشكال الأربعة الأولى عبارة عن حرف واحد والاثنان الآخران حرف والأربعة الأولى تعني حرف باللهجة القبرطايية، كما ذكرنا الكلمات الأصلية التي تحويها في القاموس عبارة عن بعض كلمات فقط. أليس من الصعب رسم تلك الأشكال لحرف واحد لتكون في

---

(1) اللغات القفقاسية، ص14.
(2) مذاكرات اللجنة اللغوية، ص7 - ص5.
(3) مذاكرات اللجنة اللغوية، ص7 - ص5.
(4) مذاكرات اللجنة اللغوية، ص3.
(5) مذاكرات اللجنة اللغوية، ص6.

بضع كلمات فقط في مجال تعلم اللغة.

من أمثلة الأحرف المدغومة باللغة الشركسية والتي ترسم بشكل معين تعني حرفاً ما باللغة الشركسية حرف ناتج عن دغم التاء والسين معاً بالكلمة الشركسية التي معناها بالعربي إنسان. وكذلك دمج الخاء مع الهاء في الكلمة التي معناها مجلس، وكذلك الهمزة إذا تقدمها حرف باء ساكن تلفظان مدغومتان كما في الكلمة الشركسية التي معناها باللغة العربية فراش[1].

هناك أحرف أخرى باللغة الشركسية عبارة عن دمج حرفين مع بعض مثل الدال مع الجيم، والشين مع الهمزة، الغين المشددة، الدال مع الزاي، الهمزة مع الضم، الياء مع الواو، والياء مع الألف.

وكذلك هناك أحرف ترسم بشكل حرفين، لكنها تعني حرفاً باللغة الشركسية مثل الحرف الأول من الكلمات التي معناها بالعربي القلب، عربة، بيض، اذهب، رجل، دم، كبش، كلب، اسم.

لهذه الأسباب تجد حين السؤال عن عدد أحرف اللغة الشركسية اختلافاً في الأجوبة لدى الأشخاص وحسب اللهجات الشركسية أيضاً.

وكما ذكرنا الأصوات الأصلية عددها خمسة وعشرون صوتاً أما حين إضافة الحروف المدغومة والمشددة والمخففة وغيرها تظهر أصوات مختلفة وتجد اللهجات الشركسية غنية جداً بتلك الأصوات المختلفة التي أصبحت كحروف في الألف باء تصل إلى ((84 صوتاً لدى الوبيخ و82 صوتاً لدى بعض اللهجات الأبخاز و66 صوتاً لدى الأديغة))[2] وكلها فروع للشركس.

كما رسمت أبجدية المدرسة الشركسية بالقنيطرة عام 1927 بـ/51/ شكلاً[3]، مع العلم بأن اللغة الشركسية خالية تماماً من الأحرف العربية الستة: ((العين

(1) تاريخ القوقاز، ص160.
(2) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السادس، ص42.
(3) مدخل إلى تاريخ الشراكسة، ص158.

والذال والثاء والضاد والصاد والهاء))[1] وقد يؤدي الحرف الواحد معـــان: ((ولا يمكن فهم القصد منه إلا بالقرينة))[2] والحروف ((الصـــامتة باللغـــة الشركســـية تتجاوز أحياناً الأربعين حرفاً))[3].

اللغة الشركسية غنية بالأصوات الساكنة[4] وفقيرة بالحركات، ونظام الحركـــات الأساسية هي الفتحة الممدودة (الألف) والفتحة الخفيفـــة والكســـرة الخفيفـــة[5]. والنظام الصوتي بحركتين أو ثلاثة لدى الشراكسة[6]. والنبرة – التي تعني تغير معنى الكلمة بالتشديد عند النطق على مقطع معين – تجده لدى الأبخاز والأباظة حيث تلعب دوراً للتميز بين الجنسين[7].

أخيراً من المحال لمن لا يجيد اللغة الشركسية من الصغر أن يتقنها أو يقف على فصاحتها ودقة مدلولها[8].

2. **الكلمات:** إن الكلمات الشركسية قد تكون مركبة من مقطـــع أو مقطعـــين أو أكثر[9]. وبعض الكلمات ((ما هي إلا كلمات مركبة من كلمتين أو أكثـــر، وهـــذا يدل فعلاً على أن اللغة قديمة، وقديمة جداً، وأنها غنية بمادتها وبتعبيراتها، وإن أجدادنا اجتهدوا في وضعها، وتهذيبها حتى جاءت كافية للإعراب تماماً عما في ضمائرهم))[10]. وكذلك وضع كلمتين أو ثلاث كلمات بسيطة إلى جانب بعـــض يعطي معان مختلفة[11].

الكلمات الموجودة في القواميس الشركسية تجد بعضها يحوي علـــى /10/ آلاف

([1]) تاريخ القوقاز، ص161.

([2]) الشركس، ص16.

([3]) مدخل إلى تاريخ الشراكسة، ص36.

([4]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السادس، ص43، شركسي يتحدث عن قومه، ص11.

([5]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السادس، ص43.

([6]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السادس، ص42.

([7]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السادس، ص44.

([8]) الشركس، ص16.

([9]) شركسي يتحدث عن قومه، ص11.

([10]) تاريخ القوقاز، ص161.

([11]) تاريخ القوقاز، ص163.

كلمة، وبعضها على /20/ ألف كلمة، وإذا تم حساب الكلمات بما فيها الكلمات ذات الأصل العربي أو الروسي أو التركي نجدها تصل إلى حوالي /33/ ألف كلمة[1].

حديثاً بعد أن أعطيت بعض الحريات للجمهوريات في روسيا عمد الباحثون الشراكسة في جمهورية الأديغي لوضع قاموس شركسي يشمل جميع الكلمات التي يحويها اللسان الشركسي، ووصل لديهم عدد الكلمات إلى /115/ ألف كلمة، إلا أنه يعتقد بعد الجمع الصحيح وإلى نهاية طبع القاموس الجديد الذي سيحيط بجميع الكلمات يتوقع أن تصل الكلمات إلى /200/ ألف كلمة[2].

هذا التوقع يذكرنا بكلمات المرحوم كوبا شعبان ((الكلمات الجديدة التي تظهر كثيرة))[3]. كما أن القاموس الجديد سيحوي الكلمات التي أصلها غير شركسي لكن أصبحت مستعملة باللسان الشركسي حيث يلاحظ ((أنها لم تبقَ مُحافظة على لفظها الدقيق لأنها تعرضت إلى قلب لفظ بعض الحروف وبما يتناسب مع قواعد الشركسية وواقعها))[4].

أهم صفاتها أنها ((لا توجد في اللغة الشركسية كلمات نابية، فالشراكسة لا يتشاتمون ولا يعيبون بعضهم بأقبح النعوت – ولعل الشراكسة – من شعوب الأرض المعدودة التي لا تحوي لغتهم على ألفاظ الشتائم وعبارات السُباب الدنيء إلا فيما ندر))[5].

---

(1) إذاعة مايكوب باللغة الشركسية في 1994/4/2م.
(2) إذاعة مايكوب باللغة الشركسية في 1994/4/2م.
(3) جريدة (غوازا الشركسية) ـ عدد نيسان 1994م، ص3.
(4) مجلة (الجيل) ـ عدد نيسان 1986م، ص54.
(5) شركسي يتحدث عن قومه، ص9.

المبحث الثاني: أنواع الكلمة

الأفعال: إن وضع الفعل في الشركسية متطور جداً[1]. و((الفعل في لغات شمال غرب القفقاس يشتمل على الدلائل الشخصية، بينما في لغات شرق القفقاس – عدا القليل منها – يشتمل على العلامات النوعية. الفعل في لغة الأبخاز (لغة شمال غرب القفقاس) يشمل في تصريفه على الدليل الشخصي والنوعي في نفس الوقت، وبهذا فهي تشكل نقطة وصل بين النموذجين من الأفعال))[2]. ونجد الفعل يشمل الدلائل الشخصية التي تساهم في الحدث سواء كانت هذه الدلائل شخصية أو نوعية[3].

اللغة الشركسية في باب التصريف تُعد من أغنى اللغات وتصريف كثير من الأفعال يكاد يكون سماعياً. إلا أنه في الجملة هين سهل، ولإفادة معنى المستقبل يزاد في آخر الكلمة مقطع (شت) في لهجة الأديغي و(نس أو نص) في لهجة القبرطاي[4]. ونجد في اللغة الشركسية أفعال ماضية وحاضرة ومستقبلية بالإضافة إلى فعل الأمر والأفعال المساعدة[5]، والفعل الوجوبي[6].

يقسم الفعل باعتبار معناه إلى قسمين مبهم ومعين[7]. و((تمييز فاعل الفعل اللازم عن فاعل الفعل المتعدي، وبوفرة أفعالها مع ضم مزيدات إليها تعبر بوضوح وسعة فائقة عن المعاني المختلفة المعتادة))[8].

إن صوغ اسم المصدر من الأفعال يكون بزيادة (غه) في آخره[9]. وفي ((الصيغة الفعلية المعرفة تشمل عدا العنصر المركزي (المصدر) عدة عناصر

([1]) مجلة (النشرة الثقافية) بدمشق ـ العدد السادس، ص44.
([2]) مجلة (النشرة الثقافية) بدمشق ـ العدد السادس، ص43.
([3]) مجلة (النشرة الثقافية) بدمشق ـ العدد السادس، ص43.
([4]) تاريخ القوقاز، ص167.
([5]) تاريخ القوقاز، ص167.
([6]) تاريخ القوقاز، ص167.
([7]) تاريخ القوقاز، ص167.
([8]) مدخل إلى تاريخ الشراكسة، ص36.
([9]) تاريخ القوقاز، ص168.

منها بادئات وفاصلات، ولاحقــات ضــرورية أو اختياريــة))[1]. وأخيــراً أداة المصدر في الأفعال هي (إينْ) (أنْ) (أونْ) تضاف إلى آخر الكلمات[2].

3. **الأسماء:** يقع الاسم مجروراً أو مفعولاً به أو مضافاً له أو مفعولاً فيــه ((وفي الأحوال الثلاثة الأخيرة يكون على صيغة واحدة فــي الغالــب، وينتهي بحرف الميم))[3].

الصفات باللهجات الشركسية تنتهي غالباً بأدوات (خه)، (غه)، (خى)[4]، والصفة تتأخر عن الموصوف، وأداة الجمع تلحق بآخر الصفة دون الموصوف، وعلامة الجمع تلحق بالموصوف دون الصفة[5].

المضاف إليه يتقدم على المضاف[6]، إذا كانت الإضافة بمعنى اللام أي بمعنــى المُلك مثل (أحمد م يونه) أي بيت أحمد، وكذلك الأمر في الإضافة البيانية إلا أنه في هذه الحالة لا تستعمل أية أداة (تجن قامه) أي خنجر فضة[7].

((كل مسند (خبر) يشمل بالضرورة على علامات لجميع المشاركين في الحديث المعبر عنه بالعنصر المركزي (المصدر) عدد هذه العلامــات يتعلــق بمفهــوم التعدي أو اللزوم للحدث، ومع هذا لا يتعد هذا العدد إلى أكثر مــن ثلاثــة فــي الصيغة الفعلية التي لا تدل على السببية. وبالرغم من أن كل مسند (خبر) يمكن أن يقوم بدوره كعبارة قائمة بذاتها... والمسند (الخبر) يمكــن أن يشــمل عــدة مساهمين))[8].

الدلائل (الضمائر) الشخصية تكون عائدة أو محددة، بأسماء مستقلة وخارجة عن

---

(1) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السادس، ص44.
(2) تاريخ القوقاز، ص166-167.
(3) تاريخ القوقاز، ص165-166.
(4) تاريخ القوقاز، ص165.
(5) تاريخ القوقاز، ص166.
(6) تاريخ الشركس، ص16.
(7) تاريخ القوقاز، ص166.
(8) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السادس، ص44-45.

المسند (الخبر) هذه الأسماء تتميز بعلامات الإعراب في لهجة الأديغي الشركسية وفي اللهجة الوبيخية حالة مباشرة وغير مباشرة[1].

الوصف المنسوب للأعداد (مثل الأول والثاني و...) تكون بإضافة (الراء) إلى نهاية الأعداد و((أسماء الأعداد تأتي دوماً بعد المصدر خاصة باللغة الشركسية إلا أنه يصادف مثل ذلك في اللغة الفرنسية العامة))[2].

إن نظام الإعراب للاسم غير متطور في لغات شمال غرب القفقاس، حالتان في اللهجات الشركسية وهي غير متوفرة في لهجة الأبخاز والأباظة[3]. وتتميز الأسماء بعلامات الإعراب[4] حيث نبدل نهاية الأسماء حسب إعرابها[5].

يوجد في لهجة الأباظة فقط ثلاث أنواع من الأسماء هي أسماء مذكرة ومؤنثة وأسماء حيادية.

أما باقي اللهجات الشركسية فهي خالية من هذا التقسيم فلا توجد علامات تذكير أو تأنيث[6].

الجدير بالذكر أن اللغة الشركسية غنية بالأسماء ((ولا أدل على سعة هذه اللغة وغزارة مادتها من أسماء أعضاء جسم الإنسان، فإنك تجد اسماً لكل جزء حتى اسم أصغر الأعضاء))[7]. وبالطبع لا تشمل اللغة الشركسية أسماء الاختراعات الحديثة، وذلك يعود لأسباب شرحناها سابقاً.

3ـ الأدوات المساعدة: في اللغة الشركسية أدوات انتهاء. تغير معنى الكلمات بدخولها أو إضافتها وفيما يلي بعض الأمثلة:

«1. حرف (ش) إذا أضيف لكلمة (قوه) التي معناها ابن تصبح (قو ش) بمعنى أخ.

---

(1) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السادس، ص45.
(2) تاريخ القوقاز، ص166.
(3) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السادس، ص42.
(4) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السادس، ص45.
(5) مدخل إلى تاريخ الشراكسة، ص36.
(6) تاريخ القوقاز، ص165.
(7) تاريخ القوقاز، ص161- 162-165.

2. (جو) معناها (قلب) إذا أضيفت عليها لفظة (نشه) تصير (جونشه) فيصبح معناها عديم القلب أو عديم الإحساس.

3. (زه) أداة ابتداء إذ دخلت على كلمة (بي) التي معناها (عدو) تصبح (زه بي) فيصبح معناها بعضهم لبعض عدو.

4. (بزى) أداة انتهاء أو تأنيث إذا أضيفت على كلمة (شي) ومعناها الحصان تصير (شي بزى) بمعنى الفرس...» [1].

عند الجمع نضيف للمفرد (خه) فتدل على الجمع[2]. أم النفي كما هو في لهجة الأديغي الشركسية يكون بإضافة حرف (ب) إلى نهاية الكلمة، وفي لهجة الأباظة والأبخاز تكون وظيفة كل ضمير في الصيغة الفعلية محددة عن طريق وضعه في الصيغة الفعلية[3]. وأخيراً لا توجد أداة تعريف في اللغة الشركسية[4].

ولكن حرف الراء الذي يضاف إلى نهاية الكلمة ألا يمكن اعتبارها مثل أل التعريف وعلى هذا أل التعريف فهو حرف الراء الذي يضاف إلى الكلمة التي يراد تعريفها وتحديدها.

(1) تاريخ القوقاز، ص161 - 162 - 165.
(2) تاريخ القوقاز، ص161 - 162 - 165.
(3) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السادس، ص45.
(4) تاريخ القوقاز ص165، شركسي يتحدث عن قومه، ص11.

المبحث الثالث: لغة كتابية

كنت أرغب أن أخصص هذا البحث للتكلم عن قواعد اللغة الشركسية، ولكن ذلك بحث طويل شاق يتطلب الرجوع إلى مراجع غير متوفرة لديّ، فآثرت أن يكون هذا البحث لاستدراك ما نقص وللتكلم بشكل عام عن اللغة الشركسية ((ومما لا شك فيه أن الشراكسة كانوا في الأزمنة القديمة يكتبون ويقرؤون ويتخابرون كتابةً، والبرهان على ذلك أن لغتهم شملت كلمات تدل على فعل القراءة والكتابة، وعلى أسماء للقلم والورق، وورق الخطابات، وكلمة التاريخ وما إلى ذلك من الكلمات الدالة على الثقافة. والمنطق لا يجوز وجود الدال من غير وجود المدلول))[1] ولذلك نجد باللغة الشركسية قواعد صرف[2]، وقواعد نحو[3].

إن اللغة الشركسية ما تزال على بساطتها القديمة الأولى مع غناها، ونجدها ذات هجاء واحد وتصريفها بسيط[4] غير معقد، وتعتبر لغة ابتدائية. وأقصد بذلك بأنها لم تضيف إليها تعابير جديدة للمصطلحات والاختراعات والموجودات الجديدة التي ظهرت للوجود ومن أسباب ذلك تفرقهم في عدد من الدول، وعدم وجود مجمّع لغوي لهم، ولكنها ليست لغة ضعيفة، وقد وصف ب. ك. أوسلار الباحث الشهير في شؤون القفقاس اللغات القفقاسية قائلاً: ((لقد لاحظت حقيقة أن جميع المؤلفات المكتوبة باللغة الروسية يمكن ترجمتها وبسهولة إلى اللغات القفقاسية، فالذين يظنون أن اللغات القفقاسية لغات ضعيفة هم مخطئون، والذين يظنون ذلك هم الذين لا يعرفون هذه اللغات، وحتى أعمق الأفكار يمكن ترجمتها إلى اللغات القفقاسية بسبب كون قواعد اللغات القفقاسية غنية))[5].

([1]) تاريخ القوقاز، ص161.
([2]) تاريخ القوقاز، ص165.
([3]) تاريخ القوقاز، ص168.
([4]) معيار اللغات، ص20.
([5]) اللغات القفقاسية، ص4.

المبحث الرابع: لمحة عن القواميس

للقواميس أهمية كبرى للباحثين والأدباء والكتاب والمؤلفين والمترجمين، ولها أنواع مختلفة للقواميس ودورها في حفظ اللغة الصحيحة، وفي تطويرها ولإتقان الكتابة الصحيحة، وسهولة التأليف.

للقواميس أنواع مختلفة فهناك القواميس اللغوية الصرفة، ولدى الشراكسة أكثر من اثني عشر قاموساً لغوياً صرفياً، ثنائي اللغة – شركسي روسي – أو – روسي شركسي – وبينهما قاموسان بلغات ثلاث، وقاموس (أديغي) شركسي شركسي يتم شرح الكلمات الشركسية باللغة الشركسية وبالإضافة يُذكر مقابل معنى الكلمة بالروسي أيضاً. وهناك معاجم تبحث في صحة الكلمات وأحوالها واشتقاقاتها ومترادفاتها[1].

توجد قواميس ومعاجم غير لغوية وهي اختصاصية وهي مختلفة الأنواع أيضاً. وتعالج هذه النوعية موضوعات كثيرة يستلزمها طلاب العلوم المختلفة ومنها الأسماء والمواقع الجغرافية، والأعلام والأسر، ومعاجم صحية علمية وصناعية، ومعاجم تبحث في أنواع المزروعات والنباتات. ومثل هذه المعاجم متوفرة أيضاً، وهي غالباً يكون الشرح فيها باللغة الشركسية بجانب الكلمة المبحوثة وربما يضاف اسمها بالروسية، لأن أغلبها تم طباعتها في روسيا.

أغلب القواميس المتوفرة تمت طباعتها في روسيا، ومما طبع خارج روسيا قاموس يحوي ألف كلمة طبع في اليابان تم وضعه من قبل بعض الطلاب اليابانيين وأهدوه للدكتور عادل عبد السلام كما أفاد مرة خلال أقواله وفي العام 2002م صدر قاموس شركسي عربي للدكتور عادل عبد السلام، كما يوجد قاموس قديم طبع في لندن.

بداية وضع القواميس الشركسية يعود إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر حيث تم وضع ثلاثة منها. طبع الأول في أوديسا في عام 1846 تم وضعه من قبل

([1]) محاضرة (القواميس والمعاجم الأديغية)، الدكتور عادل عبد السلام.

السيد (لوله)[1]. وطبع الثاني في لندن. أما الثالث بقي مخطوطاً ومحفوظاً لأسباب كثيرة وطبع أخيراً عام 1956 في نالتشيك عاصمة جمهورية القبرطاي الشركسية.

إن نشر القواميس والمعاجم تم في بلاد الشراكسة الأم، والقليل منها خارجه، مع وجود مخطوطات قواميس في المهجر أيضاً.

بصورة عامة ظهر أكثر من أربعين قاموساً شركسياً[2] ومختلفة الأنواع نذكر من القواميس على سبيل المثال بالإضافة إلى ما ذكرنا:

1. قاموس بلهجة القبرطاي الشركسية (قبرطاي – روسي) وضعه لوبايتسكي وطبع في مدينة تفليس عام 1904م، ونشر هذا القاموس في بلاد الشراكسة بالقفقاس لدرجة ما[3].

2. قاموس أبخازي روسي طبع عام 1925م.

3. قاموس روسي أبخازي طبع عام 1928م[4].

4. قاموس روسي شركسي لواضعيه بوباقردن وأصلان بيشؤه والمطبوع عام 1955م[5].

5. القاموس التاريخي في لغة الأستين المجلد الأول طبع عام 1958م[6].

6. قاموس أديغي – أديغي مع مرادف الكلمات باللغة الروسية، وطبع في مايكوب عام 1960م.

7. قاموس لغة الأوبيخ طبع في أوسلو عام 1963م.

8. القاموس الأباظي الروسي طبع تحت إشراف توكوف عام 1967م[7].

في سوريا أصدر الدكتور عادل عبد السلام أول قاموس شركسي عربي سنة

---

(1) محاضرة (القواميس والمعاجم الأديغية)، تاريخ القوقاز ص234.
(2) محاضرة (القواميس والمعاجم الأديغية).
(3) تاريخ القوقاز ص235.
(4) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس ص20-21.
(5) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس ص5.
(6) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس ص20.
(7) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس ص19-23.

2002م كما نوهت سابقاً.

وفي القفقاس ألفت لجنة في مايكوب لجمع جميع الكلمات في اللسان الشركســـي ويتوقع أن تصل الكلمات إلى /200/ ألف كلمة[1].

([1]) انظر البحث الأول من الفصل فقرة الكلمات.

الفصل الرابع

الأدب الشركسي

كان الأسيتين يسمون جيرانهم الشراكسة (تشـــكون) و(كشـــك) وهـــذه التســـمية للشراكسة ذكرت في كتب المؤرخين الأوائل، وبعض المؤرخين والرحالة العرب القدماء. هذه الكلمة أطلقت على الشراكسة والتي في لغة مطلقيها الأستين تعنـــي (القارئ والقارئون)[1]. إذاً كان من القديم للشراكسة أدب معروف. إن أمة تتصف بالقراءة يعني لديها أدب غزير.

ذكرنا ما قاله الباحث الشهير ب.ك. أوسلار عن غنى اللغة الشركســية والتـــي يمكن الترجمة لها من أي لغة[2]. ولكن أين كان يتم التعلم؟

سوق عكاظ في بلاد العرب الذي كان يحتفل فيه سنوياً للمباريات بين الشـــعراء والأدباء، ونجد للشراكسة في كل مدينة أو قرية مهما صغرت المضـــافة يقبـــل عليها الغريب وأهل القرية أو المدينة دائمو السهر فيها إلى الصباح، استماع إلى الأدب والشعر والأخبار، ووضع البرامج والخطط والتكلم بالمعتقـــدات والـــدين، وذكر الأساطير وحكايات الانتصارات وأسباب الهزائم، وذكر الأمثال والحكـــم والمواعظ، وتمجيد الرجال وتخليد ذكر الأبطال. وهذه كانت الوسيلة للشراكســـة للمحافظة على موروثهم الثقافي والعرفي الغني، ولنقل التقاليد والعادات من جيل إلى آخر، ويتم ذلك عن طريق الاستماع الدقيق. حيث من عاداتهم وقـــوانينهم لا يجوز التكلم بشكل جماعي أو فوضوي، وكل من أراد أن يفتح حديثاً جانبياً كان يُنهر، بل كان يتكلم أحدهم والباقي يصغي له، وإذا انتهى تكلم شخص غيره، وإذا احتاج الأمر تم مناقشته. وهؤلاء الموجودون في المضافة ينقلون مـــا ســـمعوه

---

(1) تاريخ القوقاز، ص162.
(2) اللغات القفقاسية، ص4.

لغيرهم في قراهم ومدنهم، وإلى القبائل الأخرى أيضاً. ((لقد كانت المضافة هي مكان تعلم الشعر والتاريخ والرواية))[1].

التراث الشعبي والفلكلور الشركسي غني جداً، يعود بأصوله إلى عهود قديمة وعميقة ((ويتألف بصورة رئيسية من:

1. الأناشيد، 2. الحكايات والقصص،

3. الأمثال، 4. الألغاز والمجازات،

5. القصائد الشعرية، 6. اللغة الدارجة للعوام))[2].

لفت نظري في معرض الكتاب الشركسي الذي أقيم ما بين 8 - 15 أيلول/1991م بدمشق. والمعروضات كانت عبارة عن ما جمعه شخص واحد فقط. حيث عرض أكثر من /1300/ كتاب أو مجلة أو وثيقة تاريخية وبأكثر من ثلاث عشرة لغة مختلفة، وتم عرض خرائط تاريخية ورسومات وصور فوتوغرافية وكاسيتات (شرائط تسجيل) عن الفلكلور الشركسي أيضاً. والمعروضات كلها كانت عن الشراكسة تاريخياً وجغرافياً وعن شخصيات مختلفة وعن اللغة وغيرها من المواضيع المختلفة.

المعروضات كتبت بأكثر من ثلاث عشرة لغة. ألا يعني أن يُكتب باللغات المختلفة عن الشراكسة بأن لهم مكانة ما في هذا العالم!.

([1]) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص73.

([2]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص103.

المبحث الأول: الأدب النثري

1. **الملاحم والأساطير:** قلما تخلو ثقافة أي شعب قديم من الأساطير والملاحم، حيث تناولها الإنسان الأول و((يمكن القول أن الأساطير والحكايات بمحتواها الموضح للجوانب الإيجابية والسلبية للسلوك من وجهة نظر الشركس. قد لعبت دوراً كبيراً في انتشار ثقافتهم بين الشعوب الأخرى))[1].

واحتفظت اللغة الشركسية بلهجاتها ((بكثير من الروايات والأساطير القديمة الخاصة بأمتنا والتي تحدثنا إلى يومنا هذا بوقائع العصور والأزمنة الغابرة))[2].

هذه الأساطير التي حوت الكثير من قصص النارتيين الذين هم أجداد الشراكسة. مثل قصص ساوسروقة وستناي وتليبش وشباتنيقو وديخيناغو واليدج واشيميز وتتارشاو وغيرها.

قد تُسرد الأسطورة بشكل نثر قد يتخللها غناء وشعر وفيها الحكم الشعبية وتحثُ على الفضيلة، وعمل الخير، وعدم اقتراف أعمال السوء.

بحث الكثير من الشراكسة وغيرهم في القفقاس وخارجه، حول الملاحم التي عرفت باسم الأساطير النارتية الشركسية من كتّاب قدماء وحديثين. فكان أول الباحثين السيد خان جري عام 1846م، تلاه المؤرخ الشهير نوغمه شورى. وبدأت أولى الكتب التي تضم هذه الأساطير تظهر في القفقاس من عام 1940م حيث صدرت مجموعة في مايكوب عاصمة جمهورية الأديغي الشركسية بإشراف الكاتب الكبير كراشة تيمبوت، وفي نفس العام صدر في دمشق كتاب تحت عنوان (الشعر الشركسي) ضم العديد من نصوص الملاحم. وفي عام 1945م في مدينة نالتشيك عاصمة جمهورية القبرطاي الشركسية. صدر كتاب أساطير النارتيين، وفي نفس المدينة أيضاً في عام 1948م صدرت دراسة بعنوان (أسطورة سوسروقة النارتي) وفي عام 1951م صدر كتاب (النارتيون).

([1]) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص109.
([2]) موجز تاريخ الأديكة (الشركس) القديم، ص40.

أكبر مؤلَف موسوعي يصور ملاحم نارت، هو ما أصدره الباحث البارز حداغاله أسكر، والذي بلغ سبع مجلدات صدرت ما بين عامي 1968-1971 بعد أن أمضى عشرين عاماً في جمعها وإعدادها للنشر[1].

يرجح البعض كالعالم (ج. دوميزيل) بأن النارتيين عاشوا في زمن يصعب تحديده من الماضي. ويعزو (ك. ج. نار) إلى أنها تعود إلى بدايات العصر الحجري القديم أي حوالي /100/ ألف عام قبل الميلاد. أما (بلايش شتايز) يصل في تقديراته حتى زمن الحثيين ويتوقع العالم (جيزان) بأن يعود المنشأ إلى بضع آلاف من السنين قبل الميلاد. ويكتب (ي. ساركيسيانز) بأن الأساطير النارتية الشركسية نشأت في الألف الأولى قبل الميلاد مع تطورها بعد الميلاد أما تقديرات (ابابيف) بأن تطور الأساطير بلغ أوجه في القرن الثامن قبل الميلاد. ويعود التوقيت الذي قدره عالم الآثار السوفييتي (كروبنوف) ويعتقدها ديغائلة بأنهم شعب الميوت الذي سكن شواطئ البحر الأسود حوالي /400/ قبل الميلاد[2].

أما حدغاله فيؤرخ الأساطير بالفترة ما بين المائة الثامنة والسابعة قبل الميلاد.

2. **الحكايات والقصص:** شخصيات الأساطير عديدة ومن ضمنها الآلهات التي تتكلم وتقوم ببعض الأعمال مع ذكر للحيوانات الناطقة التي تنصح صاحبها.

أما في الحكايات والقصص وهي مرحلة ثانية من تطور الأدب. كان اهتمام الشركس في بداية هذه المرحلة منصب على إنطاق الحيوانات في القصص التي تعبر عن آراء الكتاب والتي قد يرمزون بها إلى أناس ذوو سطوة وقوة لتجنب غضبهم. وكان للقصة والحكاية نفس الدور في تقويم المجتمع الذي كانت تقوم به الأساطير والملاحم[3]. حيث يتم فيها إيضاح طريق السعادة وإلى أين يؤدي

([1]) ملاحم نارت الشركسية ـ دراسة وترجمة ممدوح قوموق، ص5-6.
([2]) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص89 - 90 - 91.
([3]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص104-107.

طريق الشر. وغالباً ما تنتهي القصص بهزيمة الشر. ووصف مكسيم غــوركي بأن قصة الأرنب والثعلب والذئب – التي هي من أمثلة الحكايات الشركس عــن الحيوانات – بأنها ممتعة جداً. والقصص الشركسية كثيرة جــداً وذات مغــزى ((ويمكن تقسيم القصص والحكايات الشركسية إلــى المجموعــات التاليــة: 1. حكايات عن الحيوان، 2. حكايات خرافية، 3. حكايات تهدف إلى مغــزى، 4. حكايات يجري فيها سؤال أحاجي وألغاز والإجابة عنها))[1].

من القصص الشركسية المترجمة إلى العربية: دوي الرعد، آخر الراحلين، حرب بزيقوه في جزئين، بانتظار الفجر، الحدوة المكسورة في جــزئين، الأم الثانيــة، دوي أصواتهم فيهم، وصية شيشاني إلى أخيه، عبر دروب الجبال، ومســرحية الريح والجبال. كما كتب في مصر السيد راسم رشدي قصة جان. وفــي الأردن كتب ناظم قاسم قاردن قصة نارت سوسرقوا الجزء الأول. وكتب كتاب عالميين قصص عن الشراكسة وبطولاتهم وشخصياتهم ترجم بعضها إلى اللغة العربيــة منها قصة (أسير القفقاس) و(غارة) للكاتب ليف تولستوي. وقصة (بطل من هذا الزمان) تأليف ميخائيل ليرمونتوف والقصة القصيرة (القوقاز) تأليف ايفان بونين وقصتي (القوزاق) و(الحاج مراد) للكاتب ليو تولستوي.

نجد كتاب عرب كتبوا قصص عن الشراكسة منهم جرجي زيدان كتب قصــتي (المملوك الشارد) و(استبداد المماليك) وللسيد خليــل ســعد قصــة (الشركســية الحسناء) وللكاتبة ألفت الأدلبي قصة (حكاية جدي) وللدكتور عبد السلام العجيلي قصة (السيف والتابوت) والكاتب والشاعر ممدوح عدوان قصة (الأبتر).

3. **الأمثال والحكم:** الحكم والأمثال كثيرة جداً، لدى الشركس، وهي مرآة صالحة لأخلاقهم ولعاداتهم، وقد تسرد بشكل أحاجي وألغاز فتكتسب جاذبية خاصة وقــد تحمل آثار العصر الأسطوري و((تكون الأمثال فرعاً خاصاً من الابتكار الشعبي

([1]) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص109.

الشركسي))[1].

توجد في القفقاس كتب عديدة تحوي الأمثال والحكم الشركسية، ولكن لم تتـــرجم إلى العربية أي منها بشكل كتاب كامل، بل توجد أمثال عنها في كتب متفرقـــة، ومنها الأمثلة التالية:

1. دار لا ضيف فيها، لا بورك فيها.
2. الحر من ثبت قوله.
3. لا تسل مُسناً بل سَل المجرب[2].
4. فكر قبل أن تنطق، ولا تجلس في مجتمع قبل أن تعرف مكانك.
5. من اعتمد على ميراث أبيه، لا يعتبر رجلاً.
6. دلال الأم للأولاد مضيعة لهم[3].
7. الشمس تنير كل الكون، والمعرفة تنظمه.
8. أشباه الرجال كُثر، أما الرجال حقاً فهم قلة.
9. الشجاع يموت، ولكن الجبان يندثر[4].
10. رغم قوة الثور الهائلة يوضع تحت النير.
11. لا تثرثر كثيراً، ولا تذم فرداً يحتاج إليه المجتمع.
12. يكفي المرء حظاً أن يعرف تاريخ أمته[5].
13. ما سيجلبه الأحمق لنفسه أقسى مما سوف تعاقبه به.
14. أن تكون خادماً للعاقل خيرٌ من أن تكون سيداً للأحمق.
15. من لم يشاهدك وأنت جالس لن يشاهدك إذا وقفت[6].
16. لن تميز الخير ما لم تواجه الشر.

([1]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية ص108.
([2]) تاريخ القوقاز، ص236.
([3]) الشركس، ص78.
([4]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد 4 صفحات، ص22.
([5]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد 5 صفحات، ص82.
([6]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد 6 صفحات، ص99.

17. ساعد الملهوف ولو كان عدوك.
18. البحر يلفظ الغريب[1].
19. إنك ماهر في عمل مرنّت نفسك عليه.
20. العمل الذي لم يباشر به يسكنه ثعبان.
21. إن الملآن والناقص لا يعرفان بعضهما[2].
22. لا تتعلق بفرع لا يحملك ولا تبدأ في أمر لا تتمه.
23. إذا كلفت الصغار بعمل فاذهب وراءهم.
24. التوفيق في العمل لا السرعة فيه[3].
25. يضحي بالنفس ليصون الكرامة.
26. من أنكر أصله وقومه فلا أصل له.
27. لا تُمنِ فتاتكَ بجلد الدب الذي ليس في يدك ولا تصارع الدب اعتمــاداً على رفيقك[4].

---

(1) مجلة (النشرة الثقافية) ـ العدد السابع، ص104.
(2) الألف باء الشركسية لواضعه بله ناوباتوق، ص21-22.
(3) شركسي يتحدث عن قومه، ص21-22.
(4) مقتطفات من المجتمع الشركسي ـ تأليف محمد خير التدوقا، ص37-38.

المبحث الثاني: الأدب المنظوم

1. **الأغاني:** المغنون يسمون (وَرَدِؤه) وهم متنقلون بين القرى والمدن يغنون الأغاني في المضافات العامة[1]. وتأليفُ الأغاني كانَ يتم من قبل أشخاص يسمون (جه جواكؤه) أي الشعراء[2]. وكانت الأغاني يحفظها الكثير عن ظهر قلب[3]. والأغاني تضاءلت بعد دخول الشراكسة في الإسلام. اتباعاً لما فيه من النهي عنها[4]. وبفضل الأغاني القديمة احتفظت لغتنا بدور هام للبحث التاريخي واللغوي عند الشراكسة، حيث أن تلك الأغاني تحدثنا إلى يومنا هذا بوقائع العصور والأزمنة الغابرة. كما أن للأغاني فضل حفظ الجوانب الجمالية في اللغة والتعبير[5]، ومن أهم المناسبات التي تغني فيها الأغاني هي الأعياد والأفراح.

هؤلاء المغنون هم ضمير مجتمعهم يصورون واقعهم وحياتهم، ولهم الصلاحية التامة بذلك، وكان يعمل حسابهم من قبل المجتمع. ويقول (لابينسكي): ((هؤلاء المغنين المبجلين كانوا مرهوبي الجانب وكانوا محترمين في نفس الوقت. وكان كل عمل جيد أو سيء وكل بطولة أو جبن وكل تضحية أو أنانية وكل كرم أو بخل وكل جمال أو حب تجد في هؤلاء المغنين قضاة صارمين وكانوا يتغنون بحكمة القدماء وبطولاتهم وقصصهم الرائعة))[6].

وللأغاني الشركسية أنواع حسب موضوعها، ويمكن حصرها ضمن قسمين: الأغاني المبهجة السعيدة والأغاني الحزينة (غبزة) أي المرثيات.

تحت القسم الأول يمكن حصر الأغاني التي تتضمن حكمة القدماء والتي فيها النصح للجيل المستمع ليتعظ، ولتكون عبرة ودروس لهم، وكذلك هناك الأغاني الغنائية للطرب، وكذلك لحفلات الزواج وما يصلح للرقص. ولا ننس الغناء

---

(1) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص81-82.
(2) تاريخ القوقاز ص229، شركسي يتحدث عن قومه، ص20.
(3) تاريخ القوقاز ص229، شركسي يتحدث عن قومه، ص20.
(4) تاريخ القوقاز، ص230.
(5) موجز تاريخ الأديكة (الشركس)، القديم ص40.
(6) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص81.

الخيالي، والذي يُذكر فيها الأبطال النارتيون. هذه الأغاني تحوي الخيال والتـــي تعتبر انعكاساً للطابع القومي لسكان شمال القفقاس[1]. وهناك أغاني تحوي مـــع الخيال بعض النكات والنوادر المسلية المضحكة[2].

الأغاني الغرامية التي يُعبر فيها عن الشوق والحب[3]، والتـــي لا يـــذكر فيهـــا الأسماء غالباً، تتخذ الطابع والشكل العام.

نجد في الأغاني القديمة قسم منها طقوسية، كانت تتعلـــق بالاحتفـــالات الدينيـــة القديمة ونجد هناك أغاني للحراثة والحصاد[4].

الجانب الأهم من الأغاني تلك: هي التاريخية[5] والتي تعتبر من أهـــم الوثـــائق وخاصة للتاريخ القديم، هذه الأغاني التي ((يحفظها الشيوخ عن ظهر قلب لمـــا فيها من التفصيلات عن أعمال أجدادهم وهي في الحقيقة تكون تاريخهم القـــديم وتبين أسباب تلك الحروب ومواقعها، والذين برزوا فيهـــا بشـــجاعتهم وقـــوتهم والذين جبنوا وأظهروا عجزاً وتقصيراً))[6].

هذا النوع من الأغاني هي مصدر هام لتاريخ الشراكسة القديم لكثرة ((ما احتوته وسجلته من الحوادث الهامة وأنباء الوقائع الحربية في التاريخ الشركسي))، وهي من الأغاني القومية[7].

يمكن أن يصنف في هذا القسم أيضاً الأغاني البطولية الحربية التي تـــذكر فيهـــا البطولات والأمجاد الرائعة للشركس، حيث كان المغنون يشاركون في المعارك لبثِ روح الحماس والشجاعة في المقاتلين من خـــلال القصـــائد التـــي يلقونهـــا

(1) تاريخ القوقاز، ص229 - شركسي يتحدث عن قومه، ص20 - رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص104.
(2) تاريخ القوقاز، ص229 - شركسي يتحدث عن قومه، ص20.
(3) تاريخ القوقاز، ص229 - رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص103 - شركسي يتحدث عن قومه، ص20.
(4) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص103.
(5) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص103.
(6) تاريخ القوقاز، ص229.
(7) شركسي يتحدث عن قومه، ص20.

بالإضافة إلى ذلك لتسطير البطولات الفردية والجماعية والوقائع الحربية بتفصيلاتها، لتغنى في المضافات فيما بعد. كما سطر الذين قبلهم وقائع الحروب التي يعود تاريخها إلى زمن الحثيين كواقعة (نارينا) التي تعيد الذكريات المحزنة المؤلمة[1].

القسم الثاني من الأغاني هو ما يسمى بلغة الشركس (غبزة) وهي عبارة عن مرثيات لشهداء الحروب والمقتولين قهراً، أو الذين قضوا نحبهم في حب الوطن، ولا يسع سامعها إلا التأثر العميق وذرف الدموع والطموح إلى الأخذ بالثأر))[2]. وهي أغاني حزينة جداً وجنائزية[3]. تحوي معاني رقيقة في تعداد مناقب الأبطال الشهداء[4]. وتدعو إلى الحماس للدفاع المستمر والسير على طريق النصر أو الشهادة.

2. **الشعر:** نجد ((للشعراء منزلة خاصة ويحاطون بكل أنواع التقدير والاحترام، وكثيراً ما أعطيت لهم الجوائز تقديراً وتشجيعاً))[5]. ويطلق على الشعراء (جه جواكؤه) أو (وساكئوه)[6] والرجال والنساء من الممكن أن يكونوا من الشعراء[7]. والشعر يكون منظوماً بدقة.

القصائد الغنائية هي أدبيات الشراكسة كانت تلقى كالأغاني في المضافات أو ساحة القرية وفي محل إقامة الشعراء عادة، وقد ينتقل الشعراء إلى القرى والمدن المجاورة لنظم أشعارهم حسب الظروف. ونجد بعد أن اعتنق الشراكسة الإسلام وما فهموا من أن تعاليم الدين الحنيف لا يحبذ الغناء، حدث تحول للشعر أكثر

---

(1) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة ص81-82، تاريخ القوقاز ص229. شركسي يتحدث عن قومه ص20، رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية ص103.
(2) تاريخ القوقاز ص229، رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية ص103.
(3) تاريخ القوقاز ص229، رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية ص103.
(4) شركسي يتحدث عن قومه ص20.
(5) شركسي يتحدث عن قومه ص20.
(6) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة ص81.
(7) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة ص81.

من الغناء لأن الإلقاء الشعري لا يصاحبه آلات موسيقية. كتب العالم الألماني (ف. بودنشتدت) ما يلي: ((بالنسبة للشركس فإن الشعر في الوقت نفسه مستودع كل الحكمة الشعبية، وحاضر للأعمال النبيلة، والفيصل أو الحكم الأعظم على الأرض، ويملأ الشعر الشركسي الرغبة لعمل الخير ويمنعهم من اقتراف الأعمال الدنيئة وهنا يلعب الدور نفسه الذي كان يلعبه في حياة اليونان القدماء، والعرب وأجدادنا، وعموماً جميع الشعوب التي ترغب في التطور))[1] وقد فرق (تروبينسكوي) بين أربع أنواع من الشعر الشركسي المعروفة، ولكن دون أن يضع حدوداً واضحة بينها وهي:

أ. الأشعار القديمة (محتواها غالباً في الأمور السامية والمثل العليا).

ب. أشعار الأفراد.

ج. أشعار الهجاء.

د. أشعار جماعية ذات محتوى لماح ساخر[2].

وفيما يلي سأذكر معاني أغنية (شمس اليوم الجديد) حسب ما جاء بالترجمة التي نقلت عنها:

((إن السعادة هي بمثابة حاجب لوطننا
والرقص بأفراحنا من تقاليدنا...
هيا دعونا نباشر الرقص على صوت التصفيق المنهمر
حتى تتطلع على وجه وطني الغالي...
تشرق الشمس
وطننا ما هو إلا أغنية تعبر عن الحياة الجميلة
أثناء الصباح.. تنظم يدي بعملها المتواصل الأشعار
لأشعة الشمس.

(1) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية للشراكسة، ص104.
(2) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص82-83..

******

عمري كله مكرس لخدمة وطني الجميل
فأنا سأعمل على تحسين وطني بالعمل من أجله
فهو الذي أعطاني طبيعتي المحببة
حياتي التي أعيشها سأكرسها لمدح هذا الوطن

******

وطني الذهبي اللون... وجهه أبيض كالثلج النظيف
سلاحك هو.. الصدق... والحقيقة
سماؤك سكنية اللون... أرضك خضراء
أثناء الصباح.. تنظم يدي بعملها المتواصل الأشعار
لأشعة الشمس))[1].

---

(1) مهرجان الأغنية الشركسية ـ عمان ـ نيسان 1992.

الفصل الخامس

لهجات اللغة الشركسية

البحث الأول: اللغة الشركسية واحدة

تفيد المصادر التاريخية بأن سكان شمال القفقاس – أي سكان بلاد الشراكسة بين بحري قزوين والأسود – ينتمون في أصولهم إلى قبائل الشركس. وهذا الأمر فيه بعض الاختلاف[1].

وقرابة لهجات قفقاسيا الشمالية فيما بينها لم تعد بحاجة إلى إثباتات، فقد أصبحت واضحة جلية لدى علماء اللغة[2]. ((ولقد أكد هذا الأمر الأساتذة والباحثون في معهد التاريخ واللغة والأدب في ماختشكالا وهم: د. حجي حمزاتوف مدير المعهد، ود. أمري شيخ سعيدوف، ود. تيمور ايديروف، ود. أمير خان ايساييف، ومحمد حبيف (نائب مدير المعهد)، عندما قالوا: إن الاكتشافات تشير حتى الآن إلى أنه في قديم الزمان كانت هناك لغة واحدة للشعب القفقاسي ثم حصل الافتراق))[3]. والكل مجمع على أنه في القديم كانت لغة واحدة في القوقاز[4].

قبل أربعة آلاف سنة كانت لهجة الأبخاز والوبيخ والأديغة – وهي لهجات شركسية – لغة واحدة[5]. وأثبت أن اللغة التي كتبت بها المكتشفات الأثرية في مايكوب عاصمة جمهورية الأديغي الشركسية، والتي سميت باللغة الأشوية من قبل مكتشفها. وهي اللغة الأم لمجموعة اللهجات الأديغية والأبخازية والأباظية

([1]) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 337 كانون الأول 1986، ص75.
([2]) مدخل إلى تاريخ الشراكسة، ص36.
([3]) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 337 كانون الأول 1986، ص76.
([4]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السادس، ص199.
([5]) جريدة غوازا ـ عدد نيسان 1994، ص4.

والأوبيخية، وأن التباعد الحاصل أمر طبيعي بمرور آلاف السنين، وخاصة لهجة الأبخاز الذين كانوا في القسم الجنوبي في نهاية وخلف جبال القفقاس[1]. وتؤكد المكتشفات بأنه بين القرنين الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد. كانت هناك لغة واحدة تستخدم كتابة واحدة على مساحة كبيرة تمتد من سوخومي وهي عاصمة أبخازيا ومايكوب وهي عاصمة جمهورية الأديغي الشركسية[2].

ويؤكد ذلك الخريطة التي وجدت على أحد الوعائين الفضيين المكتشفين في مقبرة مايكوب الشهيرة العائدة لمنتصف الألف الثالث قبل الميلاد[3]. وأكد ذلك (س. م آشخاتساطا) بأن الأديغة والأبخاز كانا فيما مضى في وحدة كاملة كبيرة من حيث اللغة والحضارة. ((ويؤكد بعض العلماء أن اللغة الأصلية التي تكلم بها أجداد الأديغة والأبخاز هي اللغة الأوبيخية))[4].

والأغلب على اتفاق بأن لهجات الأديغة والأبخاز (أباظة) والوبيخ أصلها لغة واحدة استخرجت في التاريخ القديم من اللغة التي تكلم بها النارتيون في بلاد الشراكسة[5]. وهذا ما يؤكد القول بأن الزيخ، وهم أجداد الوبيخ قاموا عام /500/ للميلاد ((بتوحيد كامل قبائل شمال غرب القفقاس ضمن اتحاد فيدرالي مستقل للقبائل الممتدة من أبخازيا إلى شبه جزيرة تامان إلى دولة زيخيا، وأثناء ذلك أصبحت لغة الوبيخ لغة مؤثرة في جميع مناطق شمال غرب القفقاس[6]. ومما يؤكد وحدة لهجات الوبيخ والأبخاز والأديغة هو التشابه الواضح في جميع المستويات في نظام مخارج الأصوات وفي قواعد النحو والإعراب، والغني بالأصوات الساكنة والفقيرة بالحركات[7]. ونجد لهجات قبائل شمال القوقاز

---

(1) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس، ص6.
(2) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس، ص25.
(3) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس، ص25 - اللغات القفقاسية، ص15.
(4) محاضرة (تاريخ الشركس القديم).
(5) اللغات القفقاسية، ص11.
(6) اللغات القفقاسية، ص17.
(7) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق - العدد السادس، ص43.

التالية: الأبــزاخ، البــزه دوغ، والحــاتوقواي، والكميركــوي، والآدامــه ي، والموخوش، والشابسيغ، والناتخواج، والوبيخ، وهي لهجة ((تكاد تكون واحدة بلا كبير فرق، ولا تمييز وهي نفس اللهجة التي كان يتكلم بهــا قــدماء الشراكســة الهاتي خه))[1]. بين لهجة القبرطاي والأديغي اختلاف في ما يقارب من خمسين كلمة وهي كلمات معناها واحد يمكن كتابتها وقراءتها مختلفة بين اللهجتين ومن تلك الكلمات التي معناها بالعربي: التكلم – المزح بالكلام – ســن – جنــاح – فارة[2].

توجد رواية ((تجعل كل الشركس ما عدا الأبخاز عائلة واحدة تتكلم في القديم لغة واحدة، وتقيم في مكان واحد بالقرب من البحر))[3]. ولكن وإن وجــدت حاليــاً بعض الاختلافات عن باقي اللهجات الشركسية، فإن علماء اللغة يقولون بوحــدة اللهجتين الشركسية والأباظية[4].

ويؤكد (ج. كليموف) على أن التشابه في النموذج البنائي اللغوي بينهما في مجال الأسماء والأفعال، ولكن التطابق المحسوس يوجد في عدد قليــل مــن المقــاطع والكلمات[5]، من كل ذلك يتضح بأن اللهجات الأديغيــة والأبازيــة والأبخازيــة والوبيخية هي لهجات شركسية أصلها واحد وإن وجد بعضه متخالف أو متمايز، فالاختلاف في العناصر الصوتية، وتعتبر لهجة الوبيخ لهجة وسط بين لهجــات الأديغة والأبخاز ويقول الدكتور عمر شابسيغ: ((بعد أن توصلت إلى قناعة عن الوحدة اللغوية لكل الأديغة. بمن فيهم الأبخاز، فبدأت أسأل الأصدقاء والشيشــان عن عديد من الكلمات وكيفية لفظها لديهم، فإذا بأكثر من 80% منها تشبه مــن قريب أو بعيد مثيلاتها لدى الأديغة. وهذا قد يكون دليلاً على الوحدة اللغوية لكل

---

(1) تاريخ القوقاز، ص158.
(2) اللغات القفقاسية، ص14 ـ جريدة غوازا، عدد نيسان، ص4.
(3) أصل الشركس ـ تأليف: آيتك ناميتوق، ص25.
(4) عاد وثمود، ص70.
(5) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص11.

سكان شمال القفقاس بين البحر الأسود وبحر قزوين))[1].

وفيما يتعلق بالوحدة اللغوية لكل سكان بلاد الشركس يقول الأستاذ آيتك ناميتوق: ((وإننا إذ نقول بأنه مهما استطعنا أن تظهر لنا مختلفتين عن بعضهما البعض في الوهلة الأولى فإن اللغتين الأوسيتية والشركسية تقدمان نقاط تشابه مثيرة للاهتمام سواء من وجهة النظر المورفولوجية – تشكل اللغـــة – أو مـــن وجهـــة نظـــر المفردات))[2].

(1) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس، ص6.
(2) أصل الشركس، ص87.

المبحث الثاني: السعي لتوحيد اللهجات

تعليم اللغة الشركسية والكتابة بها والجرائد التي تصدر بهـا، تسـتخدم إحـدى لهجتين للكتابة الأدبية في القفقاس. حيث يكتب الأديغة الغربيون بأحرف أبجديـة معتمدة على لهجة (تشميرجوري) أساساً لها واللهجات الشرقية تعتمد على لهجة (جيلاخستني) وفي الحقيقة في أي من الأبجديتين لا يوجد ما يشكل مانعًا لتحقيق توافق بين أسسها[1].

إن اللهجات الأخرى اضمحلت واندمجت ضمن هاتين اللهجتين، وأغلب الفروع الشركسية اتجهت نحو توحيد اللهجات فالوبيخ حالياً في تركيا يتكلمـون لهجـة الأديغة[2]. وكذلك الأسر القليلة المتواجدة في سورية والأردن وأيضاً في القفقاس. كما نجد الأبخاز في تركيا يستعملون لهجة الأديغة وفي سورية والأردن أغلـبهم يتكلمون اللهجة الأديغية وكذلك القوشحة (الأوسيتين). هـذا بالإضـافة إلـى أن بعض الشيشان والداغستان والقرشاي وخاصة الكبار في السن يعرفـون الـتكلم بالأديغة «الشركسية»، أو على الأقل يفهمونها وذلك لتعايشهم مع أخوتهم الأديغة «الشركس» في بيئة معينة واحدة، والنظر إلى الجميع على أنهم شركس.

إن أهم شيء رغم تكلم الشراكسة باللهجات المختلفة ((فإنهم إن سئلوا عن لغتهم أجابوا جميعاً بأنهم يتكلمون لغة الأديغة))[3] أي الشركسية. وهذا يتطلب الإسراع في توحيد حروف الأبجدية الشركسية لفظاً وكتابة والسعي لتوحيد اللهجات ليـتم على أساسها الكتابات الأدبية في المستقبل سواء في القفقاس أو في دول المهجر. وسبق في سورية عام 1927–1929م أن درس موضوع اللغة الشركسية، وفي حينه تم الاتفاق على الأحرف اللاتينية كأساس لكتابة اللغة الشركسية[4]. كما أنه في القفقاس كما ذكرنا في عام 1930م دعت لجنة الأبجدية الجديدة بالقفقاس إلى

(1) اللغات القفقاسية، ص14.
(2) جريدة غوازا ـ عدد نيسان 1994، ص4.
(3) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص13.
(4) مذاكرات اللجنة اللغوية، ص7.

مؤتمر ((حول الوحدة اللغوية، وقد قرر توحيد الأديغية والقبردينية والشركسية والشيشانية والأنجوشية والقرتشايية والبالقارية والداغستانية والأبجديات الأخرى))[1].

([1]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص102.

المبحث الثالث: وجهة نظر للتوحيد

يقول الكاتب (داود جعفر): ((يجب إعادة توحيد لغة الأمة))[1]. ولكن كيف يتم ذلك؟.

إن المثال الذي يضرب على توحيد اللهجات هو للغتين الروسية والألمانية، حيث كل منهما كانت عبارة عن لهجات مختلفة من الصعب جداً التفاهم بين متحدثيها بالإضافة إلى ذلك لم تكن هناك لغة كتابية مشتركة لكل منهما ولكن بتجميع العناصر المتشابهة بين اللهجات الأساسية، وطرح الفروقات التي ظهرت بينها، وبمرور الزمن، وإثر بحوث لغوية عديدة تمكن كل من الروس والألمان من الوصول بلغتيهما إلى مستواهما الراهن[2].

إن اللجنة اللغوية الشركسية التي أصدرت مقرراتها عام 1928م، اطّلعت على تجربة تطوير اللغة الألمانية ((وبما أن اللغة الألمانية التي تحولت من الأحرف الغوتية إلى الأحرف اللاتينية في القرن العشرين بعد أن كانت لها مكتبات تحوي الملايين من الكتب المطبوعة الثمينة نظراً لما للأحرف اللاتينية من الفوائد الجمة والمحاسن الخطية والعملية. فضلت إفادة الأصوات البسيطة بحرفين أو ثلاث أحرف مركبة على إحداث أشكال مخصوصة لتلك الأصوات ووضعها بين الأحرف اللاتينية المعروفة... وذلك رغم براعة رسامي الألمان الذين بوسعهم تصوير أشكال بديعة وبالرغم من استعداد الحكومة الاقتصادي لتأسيس مطابع جديدة))[3].

لذلك كانت مقرراتها استعمال الأحرف اللاتينية لكتابة اللغة الشركسية. وبمثل هذه التجربة في القفقاس تم أيضاً كتابة الشركسية باللغة اللاتينية، قبل تقرير الروس الشيوعيين استبدالها بالأحرف الروسية (السلافية) الحالية. وعلى كل حال يجب

([1]) مجلة (المستقبل العربي) - عدد ايلول 1992، ص43.
([2]) اللغات القفقاسية، ص3.
([3]) مذاكرات اللجنة اللغوية، ص4-5.

الإسراع لتوحيد اللغة الشركسية التي ستؤدي إلى الإسراع في توحيد المؤلفات وطبعها. وهذه الناحية لها دورها الهام في الناحية الاقتصادية ((التي تعود ولا بد على الأمة بأضرار اقتصادية عظيمة، فيما إذا أخطأ السهم مرماه أصر أو تمرد كل فريق بما لديه من الآراء البعيدة عن الحقائق العلمية غير الناضجة في الموضوع))[1]. هذا بالإضافة إلى أن أي توحيد يجب أن يشمل بحثه والاتفاق عليه في القفقاس مع الشراكسة في الدول التي تم تهجيرهم إليها، ومن قبل اللغويين الاختصاصيين.

كنت قد كتبت بعض الأسطر عام 1992م في مقالة اسمها (العائدون) جاء فيها حول توحيد اللهجات الشركسية ما يلي:

أ. **توحيد اللغة:** باعتبار اللغة ذات أهمية كبرى وتعتبر من أهم مقومات أي قومية لأية أمة وكانت الوعاء الذي يحوي حضارة الأمم، ونرى أن بعض الأمم وحدت أو طورت وحتى أحدثت واخترعت إن صح القول لغة كتابية جديدة لها. وللسعي لإنهاء الخلافات بين اللهجات الشركسية المختلفة سواء في الوطن الأم، أو في الأماكن المهجر إليها الشراكسة نرى السعي إلى إنشاء لغة واحدة والعمل لإنشاء قاموس للمفردات الشركسية كلها وقاموس لغوي يمكن اتباع ما يلي كخطوات لذلك:

1. اعتماد الكلمة التي حروفها الكتابية أقل من أية لهجة كانت.
2. إذا كانت في لهجة كلمة تعني شيئاً ما مثل البطة في لهجة القبرطاي. أخذت هذه الكلمة، وتم اعتمادها على كلمة البطة في لهجة الأبزاخ التي هي مشتقة من الدجاج والتي ترجمتها الحرفية تعني دجاج الماء.
3. في حال عدم وجود مفردات مختلفة غير مشتقة لدى اللهجات الشركسية لشيء واحد، يمكن استعمالها كلها مع تخصيص لفظ كل لهجة لنوع من

---

(1) مذاكرات اللجنة اللغوية ص2، من النقد العلمي على الأحرف اللاتينية الموضوعة في الجمهورية الأديغية.

الشيء المقصود. مثل كلمة السطل يمكن استعمالها حسب لهجة الأبزاخ للسطل الكبير أو الحديدي مثلاً، وكلمة السطل حسب لهجة القبرطاي للسطل الصغير أو البلاستيكي مثلاً.

4. في حال وجود كلمات دخيلة وجديدة من لغات أخرى تستعمل لشيء واحد، اعتماد إحداها التي تكون الأقرب انسجاماً مع اللغة الشركسية.
5. المحاولة من تقليص أحرف الأبجدية الشركسية السلافية المستخدمة حالياً – إذا لم يعتمد غيرها – وخاصة الأحرف المركبة التي تصل بعضها إلى أربعة أشكال. مع العلم أن الكلمات التي تحويها هذه الأحرف قليلة جداً، وببعض لهجات الشركس فقط.
6. بعد ذلك القيام بوضع قاموس شركسي موحد لجميع الشراكسة والقيام بطبع الكتب المدرسية والتعليمية، وكتابة الصحف، وكافة المطبوعات بالأحرف الموحدة واستعمالها على النطاق الإعلامي في الندوات والمؤتمرات والإذاعة والتلفزيون.

ب. **الناحية الإعلامية:** حتى يتم إنجاز توحيد الحرف واللغة الشركسية من قبل المختصين اللغويين، باعتبار ما يكتبه المهتمون باللغة هي وجهات نظر، وإنما الحكم الفصل لذلك هم أصحاب الاختصاص. وحتى ذلك الحين لنتكلم عن وجهة نظر للناحية الإعلامية.

1. نلاحظ حينما يكتب كاتب مقالة حسب لهجة الأبزاخ، ويرسلها إلى جريدة تصدر وفق لهجة القبرطاي مثلاً. نجدها كُتبت بالجريدة حسب لهجة القبرطاي، وأرى أنه يجب كتابة أي موضوع حسب لهجة الكاتب وليس نقلها وترجمتها للهجة القبرطاي كما في المثال وذلك للتقريب بين اللهجات.
2. السعي لوصول المطبوعات الشركسية إلى أماكن تواجد الشراكسة خارج وطنهم الأم.

الباب الثالث

كتابات حول اللغة الشركسية

الفصل الأول

لمحة عن الجرائد والمجلات

1. **في قفقاسيا:** تصدر في روسيا وفي كل جمهورية أو مقاطعة ذاتية الحكم صحف باللغات القومية الموجودة في الاتحاد الروسي. وفي القفقاس تصدر بعض الصحف باللغات واللهجات الشركسية للساكنين ما بين بحري قزوين والأسود.

هذه الصحف غالباً تصدر باللغة القومية، وتصدر مترجمة إلى لغات أخرى وخاصة الروسية. ففي مدينة قراطشايسك مثلاً تصدر مجلة بخمس لغات هي القراتشاي، الشركسية، الروسية، الأبازية، والنوغاي أي كافة اللهجات الموجودة بالمقاطعة[1] وكذلك في أبخازيا كانت قبل تحريرها تصدر صحيفة محلية بلهجتها[2] وتصدر أيضاً في الداغستان والشيشان والقبرطاي والأديغي صحف بلهجاتها.

تلك الصحف هي محلية غالباً لا تحوي سوى الأخبار والأنشطة المحلية والتي كانت تمدح النظام الشيوعي، والأخ الروسي الأكبر، وأخبار الجمعيات الزراعية وغيرها.

على سبيل المثال نذكر أسماء بعض الصحف والمجلات التي صدرت في القفقاس في سنوات مختلفة:

([1]) مجلة (العربي) الكويتية ـ عدد 368 تموز 1989، ص139.
([2]) مجلة (العربي) الكويتية ـ عدد 361 كانون الأول 1988، ص83.

- مجلة (القفقاس) كانت تصدر عام 1846م[1].
- جريدة (أديغة ماق) كانت تصدر في باخسان بالقفقاس عام 1918م[2].
- جريدة (أديغه بسه وج) كانت تصدر في العشرينات[3].
- مجلة (الثقافة القفقاسية) صدرت في الثمانينات[4].
- جريدة (المجتمع الشركسي) صدرت في مايكوب عام 1990م[5].
- جريدة (أديغة ماق) تصدر في ماكوب أيضاً[6].

وحالياً تصدر بالقفقاس وفي أماكن تواجد الشراكسة الجرائد التالية:

- (النارت) تصدر باللغة الروسية 10.000 نسخة.
- (شأن غوازا) باللهجة القبرطايية 20.000 نسخة.
- (لسان الأديغة) تصدر في جمهورية القبرطاي 6700 نسخة.
- (بلاد الشركس) تصدر في مقاطعة شركيسيا 4500 نسخة.
- (صوت الأديغة) تصدر في جمهورية الأديغي 7000 نسخة.
- (غوزاة) تصدر في جمهورية الأديغي 2500 نسخة[7].

2. **في تركيا:** صدرت جرائد ومجلات مختلفة وسأقتصر على ذكر ثلاث منها للإيجاز:

أ. **جريدة غوازا:** والتي تعني الدليل وتطلق أيضاً على نجمة القطب صدرت في الأستانة وباللغتين الشركسية والتركية العثمانية في بدايات هذا القرن، وقبل الحرب العالمية الأولى، وبعد إعلان الدستور التركي زمن خلافة السلطان

([1]) ملاحم نارت الشركسية ص5 - ص6.
([2]) ملاحم نارت الشركسية، ص5 - ص6.
([3]) مذاكرات اللجنة اللغوية، ص1 من النقد العلمي على ترتيب الأحرف اللاتينية الموضوعة في الجمهورية الأديغية.
([4]) اللغات القفقاسية، ص15.
([5]) مجلة (المستقبل العربي) - عدد أيلول 1992، ص44.
([6]) مجلة (المستقبل العربي) - عدد أيلول 1992، ص44.
([7]) جريدة (غوازا) - عدد نيسان 1994، ص4.

عبد الحميد وبعد تشكيل الحكومات الدستورية بتركيا حيث سمح بنشر وكتابة اللغة الشركسية.

هذه الجريدة كانت تنشر كل ما يتعلق باللغة الشركسية وكل ما فيه فائدة للأمة الشركسية ثم كانت سياسة التتريك، ومنع التكلم بأية لغة غير التركية، وبالطبع ألغت أية مجلة أو جريدة أو كتابة أو لباس قومي لأي من الشعوب المقيمة في تركيا، وشملت تلك الإجراءات العرب أيضاً حيث أنهم منعوا العرب من لبس الحطة والعقال، وبالتالي كان عليهم استبدالها بالبرنيطة أي القبعة الأوروبية[1].

ب. بعد عام 1948 حيث قام نظام تعدد الأحزاب في تركيا. سمح لبعض القوميات ممارسة بعض النشاطات وإحياء فولكلورهم والسماح لبعض أبناء القوميات بدخول المدارس العليا. وتم إصدار مجلة (القفقاس) الشهرية، وفضَّل مصدروها الطابع التركي لها، رغم اسمها الدال عليها، ولم يستمر الأمر طويلاً حيث في الخمسينيات من هذا القرن عاد وضع شراكسة تركيا إلى الإحتداد بشكل خفيف كما سبق أن ذكرنا[2].

ج. دار دولاب الزمان أيضاً وأعيد إصدار مجلة (قفقاسيا الجديدة) في استانبول التي كانت تصدر عام 1958.

3. **في سوريا:**

أ. كانت تصدر في مدينة القنيطرة جريدة اسمها (مارج) ما بين عامي 1928-1932. وكانت تصدر باللغات الشركسية والعربية، والتركية، والفرنسية، وكانت تستعمل في كتابتها باللغة الشركسية الأحرف اللاتينية حسب مقررات اللجنة اللغوية عام 1927م وهي لسان حال الشراكسة[3].

([1]) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص42 - تاريخ القوقاز، ص235 - مدخل إلى تاريخ الشراكسة، ص56 - شركسي يتحدث عن قومه، ص35 - ملاحم نارت الشركسية، ص5 و6.

([2]) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص46.

([3]) مدخل إلى تاريخ الشراكسة، ص56 - ملاحم نارت الشركسية، ص16 - مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد السادس، ص18 - مذاكرات اللجنة اللغوية، ص2 و3 من النقد العلمي على ترتيب

ب. بعد قيام ثورة الثامن من آذار تم إصدار مجلة غير دورية بدمشق اسمها (النشرة الثقافية) تصدرها جمعية المقاصد الخيرية الشركسية. صدرت منها ثلاثة أعداد عام 1966م. ثم توقفت إثر حرب حزيران ونزوح الشراكسة من محافظة القنيطرة. وأعيد إصدارها بدءاً من عام 1990م وعدل اسمها إلى البروز.

4. **في الأردن:** في الأردن صدرت مجلة (الواحة) وهي تتكلم عن الشراكسة وفولكلورهم. وحالياً عندهم مجلة الإخاء ومجلة نارت.

5. **في أمريكا:** تصدر مجلة في أمريكا من قبل الجالية الشركسية هناك.

الأحرف الموضوعة في الجمهورية الأديغية - أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشاركسة، ص14.

الفصل الثاني

بعض الكتابات حول اللغة الشركسية

1. **في قفقاسيا:** ظهرت في قفقاسيا كتابات تتعلق باللغة الشركسية وقواعدها، كما برع من الشراكة كُتاب لغويين أذكر منهم على سبيل المثال البروفسور حسن تسوخونه أستاذ في القفقاسية، وكذلك البروفسور محي الدين قومافه، كما ذكرنا في الأبحاث الماضية غيرهم، وسيتم ذكر آخرين ضمن أسماء الأدباء الشراكسة.

ومن بعض الكتابات حول اللغة الشركسية:

أ. في عام 1840م وضع المؤرخ الشركسي شورانو غموقه حروف الهجاء الشركسية وألف كتاباً حول قواعد الصرف في اللغة الشركسية.

ب. في عام 1846م قام السيد لوله وهو غير شركسي بوضع كتاب القواعد الصرف الشركسية مع قاموس في اللغة الشركسية وطبعهما في أوديسا.

ج. في عام 1860م كتب السيد حاتو قشوقه – وهو شركسي – كتاب الهجاء الشركسي[1].

د. في عام 1885م وضع الأستاذ يو بيرسي كتاباً لدراسة اللغة والأدب الأديغي (الشركسي) وكان يُدرس في مدرسة ستافربول الثانوية[2].

ه. في عام 1887م ألف أوسلار كتاب (اللغة الأبخازية) وطبع في تفليس.

و. في نفس العام ألف أوسلار أيضاً كتاب (حول لغة الأوبيخ – ملحق حول أجناس القفقاس) طبع في تفليس[3].

ز. في عام 1891م نشر الأستاذ لوباتنسكي كتاباً في مختصر قواعد اللغة

([1]) تاريخ القوقاز، ص234.
([2]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص101.
([3]) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس، ص21.

القبرطايية[1].

ح. في عام 1904م ظهر كتاب في مبادئ اللغة الشركسية، وقاموس للهجة القبرطايية لواضعه لوباتينسكي طبع في تفليس[2].

ط. في عام 1954م ألف لومتابتدزه كتاب (اللهجة الأشخادية ومكانتها ضمن لهجات الأبخاز والأباظة) طبع في تفليس[3].

ي. في عام 1961م ألف شاكيرل كتاب (الملحقات الابتدائية على كلمات اللغة الأبخازية) طبع في سوخومي.

ك. في عام 1964م طبع في تفليس كتاب (لهجة بزيب لدى الأبخاز).

ل. في عام 1968م طبع في سوخومي كتاب (قواعد لغة الأبخاز).

م. في عام 1972م طبع في كيسك كتاب (نهايات الأفعال في لهجتي الأبخاز والأباظة)[4].

طبعت كتب أخرى حول اللغة في القفقاس منها كتاب (لغة الأباظة) وكتاب (آثار كتابات ولغات شعوب القفقاس وشرق أوروبا) تأليف تورتشانينوف. وكتاب (لغة الأوبيخ) وكتاب (علاقة اللغة الأبخازية باللغة اليافتية)[5].

لا ننسى أنه ظهرت مجموعة كتب صغيرة عن مبادئ اللغة الشركسية والمكتوبة بحروف عربية وتلك تعود إلى العهد القيصري[6].

2. **في تركيا:** بعد عام 1908م وحسب المشروطية الثانية، حيث أعيدت بعض الحريات للشركس وغيرهم من الأقليات، طبع كتاب تعليم مبادئ اللغة الشركسية تأليف مصطفى بتبا، وتوطدت العلاقات مع شراكسة القفقاس، وظهرت جهود

---

(1) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص101.
(2) تاريخ القوقاز، ص235.
(3) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس، ص20.
(4) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس، ص19 - 20- 21- 22.
(5) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس، ص19 - 20- 21- 22.
(6) تاريخ القوقاز، ص235.

اللغوي تساغونوري وغيره، وأنشئت المدارس لتعليم اللغة الشركسية[1].

أُلف عام 1985م كتاب (الحقائق القفقاسية) للكاتب بيجيوا عمر وهو أول المؤلفات في تركيا حسب المصادر القفقاسية، طبع في استنبول[2].

من الباحثين والدارسين للغة الشركسية في تركيا، والذي يعتبر الوحيد هو السيد بيجيوا عمر من أبخاز تركيا، حيث وبعد عشرين عاماً من الإمعان والتمحيص، كتب ونشر أربعة كتب بهذا الخصوص[3].

3. **في فرنسا:** في الثلاثينيات قام البروفسور جورج دو ميزيل المتخصص بالقفقاس – من جامعة السوربون – ببحث موضوع الأوبيخ (وهم من الشركس) ولغتهم لعدة سنوات، وألف خمس كتب تتعلق بقاموس اللغة الأوبيخية، وألف كتاب القواعد اللغوية للغة الأوبيخ، وألف كتاب التاريخ والأقوال[4].

قام الأستاذ آيتك ناميتوقه بكتابة مواضيع مختلفة تتعلق بالقفقاس ولغاتها، وهو من أصل شركسي من القفقاس، وآخر منصب شغله قبل نزوحه من وطن الأجداد ممثلاً لحكومة شعوب شمال القفقاس الجبلية في الكوبان، وحضر مؤتمر باريس للسلام عضواً في الوفد الذي مثل شعوب شمال القفقاس، وأهم كتبه المترجمة إلى العربية وتمت طباعته في سورية (أصل الشركس)[5]. وقد طبع باللغة الفرنسية في باريس عام 1939م.

وفي عام 1970م طبع في باريس كتاب (الفعل الأوبيخ)[6].

4. **في ألمانيا:** صدرت في ألمانيا وباللغة الألمانية كتب تتعلق بالقفقاس ومن الكتب المترجمة إلى العربية كتاب (الشيشان) تأليف الدكتور برونو بليتشكه وكتاب (تاريخ الأديكة – الجركس – القديم) الذي ترجمه إلى الألمانية الأستاذ

([1]) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص42.
([2]) اللغات القفقاسية، ص16.
([3]) اللغات القفقاسية، ص7.
([4]) اللغات القفقاسية، ص18.
([5]) اللغات القفقاسية ص17.
([6]) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس، ص19 - ص22.

آدولف برجه.
صدر كتاب (لغة الأوبيخ) في لايبزيغ عام 1927-1928م[1].
وفي عام 1978م أعد الدكتور شوكت جبجوقه وهو من شراكسة الأردن كتاباً باسم (حول قواعد اللغة الشركسية) تم نشره باللغة الألمانية[2].
5. **في كولومبيا:** في عام 1959م صدر كتاب (شعوب ولغات القفقاس في جامعة كولومبيا).
6. **في هولندا:** في عام 1974م صدر كتاب حول اللغة الشركسية للكاتب الدكتور يكس سميث من جامعة ليدن.
7. **في الأردن:** قام المرحوم كوبا شعبان أثناء مروره بالأردن بتطوير أبجدية شركسية تعتمد على الأحرف اللاتينية بأسلوب الحركات في الأحرف السلافية[3].
8. **في سورية:** أهم ما تم عمله حول موضوع اللغة الشركسية في سورية، كان بين عام 1927-1929م، حيث شكلت لجنة لغوية، وتم حسب مقرراتها اعتماد الأحرف اللاتينية لكتابة اللغة الشركسية، والكتب حول اللغة التي صدرت في سوريا أغلبها كتيبات أصدرها السيد بله وقوه باتوق هارون مثل مذاكرات اللجنة اللغوية في جمعية التعليم والتعاون الشركسية بدمشق الذي طبع عام 1928م، وكذلك (الألف باء الشركسية) الذي طبع عام 1929م وغيرها.
من اللغويين المختصين باللغة الشركسية ومن الجولان حصل الدكتور نياز باتوقوه من جامعة السوربون على درجة الدكتوراه في علم اللغات حيث كان موضوع بحثه للحصول على درجة الدكتوراه (اللغة الشركسية ـ الأبزاخ) عام 1982م[4].

---

(1) اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس، ص19 - ص22.
(2) اللغات القفقاسية، ص7.
(3) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص11-15.
(4) اللغات القفقاسية، ص8.

الفصل الثالث

لمحة عن الجمعيات الشركسية

في ختام هذا الباب لا بد من ذكر لمحة عن الجمعات الشركسية، سواء التعاونية أو الثقافية لأن أغلب النشاطات السابقة الذكر من إصدار الجرائد والمجلات والكتب التي تبحث عن اللغة والتاريخ والفولكلور كانت تتم عن طريق تلك الجمعيات.

لعبت الجمعيات دوراً بارزاً في تقديم فقرات من الفولكلور الشركسي في كافة المناسبات والأعياد بأنواعها من رقص وأغاني، ولها فرق فنية كبيرة. كما ساهمت الجمعيات في إنشاء نوادي رياضية، ففي الأردن مثلاً نادي الأهلي والجيل وفي مصر شكل طلبة البعثة الشركسية بجامعة الأزهر فريق لكرة القدم، وهي أولى الفرق الرياضية التي تشكلت في الأزهر الشريف.

(أما نادي الأهلي المصري فقد كان الوزير جعفر والي – شركسي – من مؤسسيه وكان رئيساً له لعدة سنوات إلا أننا لا نعرف شيئاً عن بقية مؤسسيه ورؤسائه فيما إذا كانوا شراكسة أم لا)[1].

في سورية للجمعية الشركسية لجنة رياضية تقوم بإجراء سباقات رياضية مختلفة وقد حاز عدد من الشراكسة على بطولات على مستوى الجمهورية والدول العربية، وشاركوا في الفرق الجماعية مثل كرة القدم للبطولات العربية والآسيوية والعالمية. ويوجد لهم نادي رياضي في قرية بريقة المحررة.

([1]) محاضرة (الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا).

المبحث الأول: في قفقاسيا وروسيا الاتحادية

توجد في جمهورية الأديغي الشركسية الجمعية الأديغية، وتوجد في جمهورية القبرطاي جمعية اشمز وجمعية قبردينا وجمعية رودينا والجمعية الأديغية الثقافية، وتوجد جمعية شركسية في مقاطعة قرشاي شركيسيا، وفيها أيضاً جمعية للأبازة، وتوجد جمعية شركسية في منطقة الشابسوغ، وتوجد جمعيات شركسية أيضاً ضمن روسيا الاتحادية في موسكو ولينغراد ومدينة كراسندار. كما توجد جمعية في جمهورية أبخازيا المحررة.

إلا أن أحدث جمعيتين في القفقاس هما:

1. **جمعية شعوب القوقاز الجبلية:** هي جمعية أنشئت في نالتشيك مقراً لها في عام 1989م، ومن شعوب القفقاس الجبلية التالية: الأبازيين، الأبخاز، الأديغة، الأنجوش، القباردية، الشركس، الشيشان.

مبادئها ومنطلقاتها كما جاء في اجتماع الجمعية الأديغية الثقافية بنالتشيك في 1989/5/25م ما يلي: «انطلاقاً من وعينا لوحدة أصولنا القومية والتاريخية والروحية، وروابط الأخوة التي تجمعنا منذ قرون عديدة، والتي ترسخت عبر النضال المشترك في كافة مراحل تاريخنا البطولي والمأساوي مقتنعين بوحدة وتعاون وتآخي شعوبنا... هذه الوحدة التي كانت هدفاً للسياسة الهمجية القيصرية، والستالينية، والبربرية والقوى الرجعية الأخرى».

2. **الجمعية الشركسية العالمية:** أعلن عنها في أيار عام 1991م في مدينة نالتشيك عاصمة جمهورية القبرطاي الشركسية، وأعضاؤها هم ممثلوا الجمعيات الشركسية في العالم ومما جاء في قانونها: (الجمعية الشركسية العالمية ستعمل على اتحاد وتماسك الشراكسة، ومدى مصداقيتهم، وستعمل على تحقيق الأهداف المشتركة وعلى حفظ الثقافة والعمل الجاد لنشرها والمساعدة على جمع كل ما يتعلق بتاريخهم. لأجل تحقيق ذلك ستعمل الجمعية الشركسية العالمية على:

- تأكيد الرغبة على وجوب ارتباط الشراكسة بموطنهم القديم.

- العمل على رفع مستوى حياة الشراكسة وثقافتهم ورفع معنويات العاملين على ذلك، وتقدير أعمالهم ومساعدتهم.
- ضرورة تعلم الشراكسة للغة الأم.
- التفكير بطريقة لإيجاد لغة كتابية موحدة للشراكسة.
- تأمل حل المشاكل الاقتصادية والثقافية والاتجاهات الدينيـــة والمعيشـــية لعنصرهم وتأمل حل المشاكل المستعصـــية التـــي تواجـــه الجمعيـــات الشركسية.
- إعادة وتجميع كل ما يتعلق بالشراكسة بالثقافة والتاريخ الشركسي إلـــى الموطن الأصلي.
- تجميع كل ما كتب ويتعلق بالشراكسة فـــي مكتبـــة خاصـــة للجمعيـــة الشركسية العالمية.
- التعاون بين الشراكسة في البلدان المختلفة والتشجيع على تبادل الزيـــارات بينهم، والتقاء وتعارف الأقرباء فيما بينهم، وتعارف الشبان والأولاد علـــى بعضهم[1].

([1]) جريدة (شأن غوازا) الشركسية العدد 6 عام 1991م.

البحث الثاني: في تركيا

أكثر الشراكسة موجودون في تركيا، وهم موجودون في /702/ قرية أو مدينة. وبالطبع ذلك يعني كثرة الجمعيات الشركسية في تركيا، ومن النادر خلو المناطق أو المدن من الجمعيات.

توجد هذه الجمعيات في استنبول، وأنطاكيا، وقيصري، وصمصون، وبورصه. وسأتحدث عن جمعيتين فقط وهما:

1. **الجمعية التعاونية الشركسية:** عام 1908م حينما أعيدت الحريات للأقليات في تركيا، ومنهم الشركس، تم تأسيس أول جمعية شركسية على أرض تركية هي الجمعية الثقافية الشركسية ومقرها في استنبول. وكان من مؤلفيها السيد تساغونوري وكان المرحوم جاويد باشا عضواً فيها وهو الذي ألف كتيب مطبوع عن الحروف الشركسية وبدأ الجمعية في تقوية نشاطها وتقوية الحس القومي، وكانت تجمع شمل الشراكسة وتشرف على شؤونهم وقامت بما يلي:

- إصدار مجلة (الدليل) باللغتين الشركسية والتركية.
- طبع كتاب تعليم مبادئ اللغة الشركسية لمؤلفه مصطفى بتبا.
- توطيد العلاقات مع الوطن الأم.
- عودة بعض المعلمين وعلى رأسهم تساغونوري إلى القفقاس وفتح مدارس شركسية هناك.
- افتتاح مدرسة بنات للشراكسة في استنبول سميت المدرسة النموذجية الشركسية.
- طبع ونشر الأدب الشركسي الشعبي.

إلا أنه بعد اختتام حرب التحرير التركية، واتباع سياسة التتريك، تم إغلاق الجمعية في 1923/12/10م وحظر نشاطها وأحرق ما أمكن مصادرته من مطبوعاتها واعتقل أعضاءها، وأدينت مديرة المدرسة النموذجية السيدة الفاضلة

سيزابوخ من قبل محكمة الاستقلال بتهمة خيانة الوطن[1].

2. **جمعية شمال القفقاس الثقافية:** مقرها أنقرة، وقد أقامت أول أسبوع ثقــافي للشراكسة في العالم ما بين 10/21 إلى 1989/10/28م ودعت إليها الجمعيات الشركسية من كافة العالم، وكان بمناسبة مــرور /125/ عامــاً علــى تهجيــر الشراكسة، وكانت بداية جديدة وكانت السبب في إنشــاء الجمعيــة الشركســية العالمية.

(1) أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ص14، 42، 45 - تاريخ القوقاز، ص235 - شركسي يتحدث عن قومه، ص35.

المبحث الثالث: في باقي الدول الأجنبية

1. **في ألمانيا:** توجد ثمان جمعيات شركسية في ألمانيا، موزعة على أماكن تواجد الشراكسة فيها، وهي موجودة في المدن، التالية: بريمن، هامبورغ، فبرتال، تسفنغنييرج، كولن، نورتبيرج، ميونيخ، برلين.

2. **في فرنسا:** كانت للجالية الشركسية في فرنسا الجمعية الشركسية في مدينة باريس وشغل المرحوم أمين سمكوغ أمانة سرها لمدة عامين خلال وجوده في باريس لتلقي العلم، والجمعية عملت على تعزيز الروابط الثقافية بين الجاليات الشركسية المختلفة في فرنسا[1].

3. **في هولندا:** في هولندا (الجمعية الثقافية الشركسية) وكان لها دور في وضع بنود مبدئية، واقتراح إنشاء الجمعية الشركسية العالمية في القفقاس.

4. **دول أخرى:** توجد جمعيات شركسية في كاليفورنيا بأمريكا وجمعية في يوغسلافيا وجمعية في بلجيكا.

([1]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السادس 1992م، ص17.

البحث الرابع: في سورية

1. **جمعية التعليم والتعاون الشركسية بدمشق:** كانت هذه الجمعية موجودة في العشرينات بدمشق، وهدفها كباقي الجمعيات الشركسية التعاون وتقديم المساعدة للشراكسة بحيث لا يكون أحد منهم محتاجاً.

أهم عمل قامت به تشكيل لجنة لغوية درست تطور اللغات وواقع اللغة الشركسية ووضع حروف أبجدية شركسية باستعمال الحروف اللاتينية، وكان من أعضاء هذه اللجنة السادة: بله ناو باتوق هارون، والسيد حابراصوه إدريس، والسيد غوتوق رفعت، والسيد جانكات لامع[1].

2. **الجمعية الأدبية الشركسية:** أسسها المرحوم أمين سمكوغ في 1935/8/17م أسس فروعاً للجمعية في عدد من القرى الشركسية منها العدنانية والخشنية[2].

3. **نادي الاتحاد الأدبي الشركسي:** أنشئت في مدينة القنيطرة عام 1928م وهي كانت مكتبة عامة المنتسبين إليها يتعهدون بدفع الاشتراك المقرر الشهري لغاية اليوم العاشر من كل شهر.

4. **جمعية المقاصد الخيرية الشركسية:** الجمعيات السابقة كلها لم تعد موجودة في الوقت الحالي، أما جمعية المقاصد الخيرية الشركسية فهي الموجودة حالياً ومقرها دمشق، ولها فروع في مدينة حمص وأخرى في مدينة حلب.

تأسست الجمعية عام 1948م بإمكانات محدودة جداً بل تكاد لا تذكر وكان أول رئيس لها هو المرحوم المحامي (صلاح الدين تاموخ) الذي بذل مع رفاقه جهوداً كبيرة لدفع الجمعية إلى الأمام، وبدأت الجمعية تمارس بعض نشاطاتها بتبرعات تقدم بها العديد من شبابنا في دمشق والجولان، وإلى أن استطاعت الجمعية استئجار مقر لها في البحصة وتأثيثها عام 1952م ولعل من المناسب أن نشير إلى فضل السيد (جلال أمين) الذي كان رئيساً للجمعية في حينه...

---

(1) الألف باء الجركسية، ص35-36 - مذاكرات اللجنة اللغوية، ص2.
(2) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد السادس 1992م، ص18.

وفي عام 1959م انتقلت الجمعية إلى مقر جديد تم استئجاره بحي العفيف، وفي عام 1963م تم شراء مقر لها في حي الفواخيري وكان رئيس الجمعية آنذاك المرحوم الحاج إسماعيل ياور، وفي أواخر عام 1964م تم بيع المقر وشراء المقر الحالي[1]. وهو موجود عند موقف آدم في حي ركن الدين بدمشق. وعدل اسمها أخيراً إلى الجمعية الخيرية الشركسية.

جاء في نظامها الداخلي في المادة /2/ ما يلي:

أهداف الجمعية: خدمة الشراكسة وجميع المواطنين من الناحية الثقافية والصحية والاجتماعية.

من الناحية الثقافية:

أ. تقديم المساعدات الثقافية في جميع مراحل التعليم لأولاد الشهداء، والأيتام، والنجباء من أولاد الفقراء.

ب. فتح أو تبني مدارس داخلية.

ج. إصدار صحيفة ومجلة لتحقيق أهداف الجمعية من الناحية الثقافية والصحية والاجتماعية.

من الناحية الصحية:

أ. تقديم المساعدات الصحية للفقراء والمحتاجين ضمن إمكانيات الجمعية.

ب. تأسيس صناديق إسعاف في القرى، وتزويد هذه الصناديق بأدوية إسعافية.

ج. إدخال الفقراء إلى المشافي والعناية بهم، وغيرها من الأعمال الخيرية ضمن إمكانيات الجمعية.

من الناحية الاجتماعية:

أ. إيواء وإسعاف الفقراء والعائلات المستورة، وتعيين مخصصات شهرية للعجز.

([1]) جريدة (النشرة الثقافية) دمشق ـ عدد تشرين الأول 1992م، ص4.

ب. إيجاد عمل لمن تتوفر فيهم شروط العمل ليكسبوا معيشتهم عن طريــق شريف.

ج. العمل لرفع المستوى الاجتماعي والعائلي بالطرق المختلفــة وبواســطة عضوات الجمعية.

د. رعاية أمور الرياضة.

ه. رعاية الأمور الفنية وتشكيل اللجان والفرق اللازمة لذلك[1].

(1) نظام جمعية المقاصد الخيرية الشركسية.

البحث الخامس: في باقي الدول العربية

1. **المملكة الأردنية:** توجد في الأردن الجمعية الخيرية الشركسية، ومقرها مدينة عمان ولها فرع في صويلح وفرع في وادي السير، وفرع في نـــاعور، وفــرع الرصيفة، وفرع الزرقاء، وفرع جرش، والفرع النسائي ويتبع الفــرع مدرســة ثانوية شركسية خاصة في عمان (مدرسة الأمير حمزة) ومن أهــداف الجمعيــة مساعدة الفقراء ونشر الثقافة[1].

في عام 1993م أنشئت جمعية جديدة سميت جمعيــة أصــدقاء شراكســة القفقــاس الأردنية[2].

2. **فلسطين المحتلة:** رغم قلة الشراكسة فيها توجد جمعية شركسية لهم.

3. **مصر العربية:** في مصر أنشئت جمعية (الإخاء الشركســية) عــام 1932م بالقاهرة وكان هدفها نشر الثقافة والتعاون الأدبي والاجتماعي بــين الشراكســة ولمساعدة الضعفاء والمحتاجين منهم، وكان مؤسسها المرحوم عبد الحميد بــك غالب وهو مترجم كتاب تاريخ القوقاز وكان من أعضائها أخوه أحمــد غالــب خوست والأديب المهندس محمد طاهر لاسين والوزير جعفر والي باشا والســيد راشد رستم[3].

كما أنشئت جمعية الشبيبة الشركسية بالقاهرة عام 1934.

وتوجد جمعية خاصة بالأباظة في مصر اسمها (جمعية النشأة الأباظية)[4].

---

(1) أســاطير النــارتيين والتــاريخ الحـديث للشراكســة، ص15 - الشـركس، ص136 - شركســي يتحدث عن قومه، ص36 - مجلة نارت الأردنية العدد 79، ص3.

(2) مجلة (غوازا) الشركسية مايكوب عدد تموز 1994، ص1.

(3) شركسي يتحدث عن قومه، ص39 - ملاحم نـارت الشركسية، ص17 - محاضـرة الشراكسـة في مصر منذ عهد محمد علي باشا.

(4) محاضرة (الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا).

الباب الرابع
أدباء الشراكسة

الفصل الأول
في قفقاسيا

المبحث الأول: أدباء وكتب

1. **آبتة خازر:** أديب شركسي، يطلب البحث عن سر الخلاص القومي في كتاباته[1].

2. **إبراهيم تسي:** (1895-1936م) كان في تركيا، حث على التعلم باللغة الشركسية عاد إلى وطنه في القفقاس وهو قانوني وشاعر كبير، وكتب عن الأساطير الشركسية، وألف روايات تمثيلية، ومن رواياته (كوخاس) تحكي قصة بطل قاوم الروس أثناء غزوها لشركيسيا، وله رواية أوزيشخو – السوط العظيم – يتحدث فيها عن حياة الشراكسة، وله قصائد، وأشعار من أرفع ما عرف في تاريخ الشعر، وهو أول من نظم المعهد المسرحي الأديغي (الشركسي)، والمسرح الدرامي في كراسندار عام 1929م، وله شعبية واسعة ونشر له قصائد بباريس في فرنسا باللغتين الشركسية مع ترجمتها إلى اللغة الفرنسية مع شرح لها عام 1940م، وكتب مقدمة ذلك الكتاب وزير المعارف الفرنسية تقديراً منه للشعر الراقي والفن الرفيع وكان رحمه اللَّه وطنياً عظيماً، كرس حياته لنشر الثقافة بين أبناء شعبه في جمهورية الأديغي في الشركسية[2].

---

(1) مجلة المستقبل العربي عدد 1992/9 ص44.

(2) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية ص104 - شركسي يتحدث عن قومه ص20.

3. **أبو زر عبد الحكيم أيدميرو:** كاتب شيشاني حديث من كتبه (الليالي الطويلة – في سبيل الحرية – الشمس تشرق من (الجبال) الشمال، ومن كتبه المترجمة إلى العربية وصية شيشاني لأخيه – عبر دروب الجبال، وكتاباته تتأثر بأقوال ونظرة الشيوعيين).

4. **قاض أتازوخين:** جامعي يعتبر من الجيل الأقدم من كتاب الشركس، وله كثير من القصص، وأعطى أهمية للقصص النارتية، وهو مترجم، حيث ترجم عدة كتب إلى اللهجة القبرطايية[1].

5. **اتسقان روسلان:** شاعر شاب له عدة قصائد شعرية، زار بعض البلاد العربية وله قصيدة بعنوان (البحر الميت)[2].

6. **أحمد خاتقو:** من الجيل الأصغر من الكتاب الشراكسة ولد عام 1902م، وألف أناشيد وقصص تاريخية، ونال جائزة الأولمبياد «للقفقاس الشمالي» للفن الوطني عام 1935م[3].

7. **آدم غوت:** مرشح في العلم وباحث في معهد أبحاث اللغة والتاريخ والاقتصاد والفولكلور الشركسي بمدينة نالتشيك. وفي عام 1979م وتحت إشرافه مع آخرين صدر باللغتين الروسية والشركسية كتاب «الفولكلور الشركسي»[4].

8. **آدم شوفنسوك:** من الجيل الأصغر من كتاب الشراكسة وهو شاعر وقصاص صدرت له عام 1948م دراسة في نالتشيك بعنوان «اسطورة سوسروقة النارتي»[5].

9. **اسلام بارون:** من الجيل الأصغر أيضاً، وهو شاعر وقصاص[6].

10. **اشخاقسان:** من الكتّاب المفكرين الأبخاز[1].

([1]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص101، 103، 111.
([2]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد الخامس، ص12.
([3]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص113.
([4]) ملاحم نارت الشركسية، ص6، 13.
([5]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص116 ـ ملاحم نارت الشركسية، ص6.
([6]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص116.

11. **الدكتور الأستاذ اشـــخامان:** من الذين اشتغلوا في العصور السوفياتية بجمع وتصنيف قصص النارت[2].

12. **اشن مزرت:** من الكتاب والأدباء الشركس[3].

13. **إلماس أولادين:** كاتب شركسي معاصر كتب حول الأساطير الشركسية القديمة[4].

14. **أمرخان صومان:** شاعر شركسي زار بعض البلاد العربية ولـــه قصـــيدة عنوانها «قتلة الأطفال» ألفها بعد مشاهدته لما خلفته غارة إسرائيلية على قريـــة **(بحر البقر)** في عام 1970م[5].

15. **أميرهان خافباشي:** ولد عام 1882م، وهـــو شـــاعر معـــروف بالقصـــائد الهزلية[6].

16. **باغرات شـــينكوبا:** ولد عام 1917م وهو كاتب من أبخازيا المحررة صدر له أول ديوان عام 1938م، يجمع بين الكتابة شعراً ونثراً. والعمل العلمي فـــي مجال الفولكلور والتاريخ. له عدة كتب وأعمال أدبية. حائز على وســـام بطـــل العمل الإشتراكي بمناسبة بلوغه السبعين من العمر تقديراً لعطاءاتـــه الإبداعيـــة وروايته **(آخر الراحلين)** مترجمة إلى العربية[7].

17. **بانشو سفر:** كاتب شركسي مهتم بنشر سلسلة من المقالات عن الســـلاطين الشراكسة الذين حكموا في مصـــر كجـــزء مشـــترك بـــين تـــاريخي العـــرب والشراكسة[8].

---

(1) مجلة (الجيل) عدد تشرين الثاني 1993، ص38.
(2) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص104.
(3) مجلة (المستقبل العربي) العدد التاسع 1992، ص33.
(4) مجلة (الجيل) عدد نيسان 1986، ص55.
(5) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد 5، ص12.
(6) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص111.
(7) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد الخامس، ص96 ـ آخر الراحلين تأليف باغرات شينكوبا.
(8) مجلة المستقبل العربي العدد التاسع ـ 1992، ص43.

18. **ب. تامبي:** (1825–1891م) كان من المهتمين بجمع ودراسة الأساطير النارتية وتعاون بهذا المجال مع ل. ليوباتنيسكي[1].

19. **بشينوكو:** من الذين اهتموا أيضاً بالأساطير النارتية وتصنيفها[2].

20. **بكميرزاباشاشوغتسوك:** (1854–1936م) شاعر اهتم بجمع وتصنيف قصص النارت الشركسية[3].

21. **ب. كوبل:** ولد سنة 1902م وهو من الجيل الأصغر للكتاب الشراكسة في القفقاس ومن أهم مؤلفاته القصيدة التاريخية (خيسماد) التي تعود حوادثها إلى الهجوم الروسي على القفقاس[4].

22. **بورسن ياكوف:** أديب مهتم بقضايا أمته مرشح في الفلسفة[5].

23. **تسوفوه جعفر:** من الكتاب الشراكسة في القفقاس من أقواله (البحر يلفظ ما ليس منه)[6].

24. **تسوغ يتوشيخ:** هو من الذين حولهم الحزب الشيوعي إلى مرتبة كأعظم القصاصين البروليتاريين ومع أنه لم يعرف الكتابة كان ماهراً في سرد القصص عن المغامرات وجميع آثاره كتبت بناءاً على تعليمات الحزب الشيوعي التي أصدرها م. قسطانوف وهو السكرتير الشخصي لستالين[7].

25. **ت. شاكوه:** شاعر يعتبر من الجيل الأصغر من الكتاب الشراكسة[8].

26. **ت. كاجيجيف:** من كتاب القفقاس والمهتمين بالأساطير الشركسية وله أبحاث في ذلك[9].

(1) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص103.
(2) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص104.
(3) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص104-111.
(4) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص114.
(5) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد الخامس، ص14.
(6) مجلة (المستقبل العربي) عدد أيلول 1992، ص44.
(7) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص117.
(8) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص116.
(9) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص103.

27. **تمبوت قراشيف:** صدر تحت إشرافه كتاب «الأغاني الشركسية القديمــة» وكتاب الموروث والأغاني الشركسية وكان من المهتمين بقصص النارت القديمة وله قصص تاريخية، ويبدو في كتاباته أنه ذو نزعة روسية ومن قصصــه فــي زمن ستالين العاصفة، مهداة لتحرير المرأة من الشريعة وله قصة طريق السعادة وترجمت إلى الروسية عام 1948م، والكتاب منح جائزة ستالين مــن الدرجــة الأولى[1].

28. **جان قرميز:** أديبة شركسية لها قصص مما يرويه ويتناقله الرجــال عــن الأجداد[2].

29. **حاتو قشونة:** من الكتاب القدماء في عام 1860م وضع كتاباً في الهجــاء الشركسي بحروف روسية وتم طباعته[3].

30. **حاده غال عسكر:** من أفضل مؤلفي الموسوعات، جمع نصوص أســاطير النارت في مجموعة مجلدات أصدرها من عام 1948م إلى عام 1971م وكــان قد أصدر في عام 1967م كتاب «نارت ملحمة بطولــة والجــذور» بالروســية ويؤكد بالكتاب المذكور وبالأدلة الدامغة على أن ملاحم نارت هي مــن إبــداع قدماء الشراكسة، وأصدر عام 1976م كتاب «الفولكلور الشركســي» بــاللغتين الروسية والشركسية والكاتب زار سورية أكثر من مرة، وكتب قصــيدتين عــن قرية «تل عمري» بمحافظة حمص حينما زارها، والثانية عن مدينــة بيــروت اللبنانية[4].

31. **حسين اندرخاي:** شاعر شركسي منح لقــب بطــل الاتحــاد الســوفييتي، واستشهد في الحرب العالمية الثانية أثناء المعارك[5].

---

(1) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص104-113 ـ ملاحم نارت الشركسية، ص6 ـ مجلة النشرة الثقافية العدد السابع، ص21.
(2) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد السادس، ص132.
(3) تاريخ القوقاز، ص234.
(4) ملاحم نارت الشركسية، ص7 ـ مجلة النشرة الثقافية دمشق العدد الخامس، ص13.
(5) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص113.

32. **حكيم تيونوف:** من الذين كتبوا حول التقارب الشركسي الروسي، له كتاب مترجم إلى العربية وإسمه «الأم الثانية» والقصة تدور حول ابن قتل أبـوه فـي الحرب الألمانية تبناه صديق والده الروسي ورباه في موسكو[1].

33. **حمزة تساوسا:** من المبدعين الشعراء في داغستان وهو والد الأديب رسول حمزاتوف[2].

34. **حميد بن يحيى برتار:** ولد في 1931/7/9م. تابع دراسته العليا في موسكو وفي كلية الصحافة، وتخرج منها عام 1958م، وحصل علـى الـدكتوراه فـي التاريخ عام 1970م، وكان مستشاراً للأدب الشركسي في جامعة موسكو وهـو شاعر بارز. وكانت بداية كتابات قصائده عـام 1949م ومجموعتـه الشـعرية (الفجر) هي أولى مجموعاته صدرت عام 1957م، أعقبهـا ديـوان «حـديث الربيع» عام 1960م، ومجموعته (شعاع الشمس) عام 1965م، ومجموعة أغنية المهد نشرت عام 1975م ومجموعة (الحب الوحيد) نشرت عـام 1977م ولـه مسرحيات صدرت تحت عنوان (مسرحيات) وله كتاب عنوانه «إسلامي» ترجم إلى الروسية عام 1965م، وقام بترجمة كتب إلى الشركسية أيضاً[3].

35. **حميد قرموقه:** كاتب شركسي، قام بدراسـة قيمـة عـام 1974م حـول الأساطير الشركسية في كتابه «الكاتب والعصر»[4].

36. **خان جري:** وهو من الكتاب القدماء، ويعتبر أول من بدأ في نشر ملاحـم نارت الشركسية، وكان ينشرها في مجلة (ققفاس) عام 1846م، وتحت عنـوان «أساطير الشركس»[5].

37. **خ. تيموت:** من الشعراء والقصاصين الشركس، ومن الجيل الأصغر مـن

---

(1) الأم الثانية: تأليف حكيم تيونوف ترجمة وديع بشكور.
(2) مجلة «العربي» الكويتية العدد 337 كانون الأول 1986، ص83.
(3) مجلة «الأدب الأجنبية» دمشق العدد 27 أيار 1981، ص81-82.
(4) ملاحم نارت الشركسية، ص7 ـ مجلة النشرة الثقافية دمشق، ص23.
(5) ملاحم نارت الشركسية، ص5.

الكتاب[1].

38. **خ. تيونوف:** ولد عام 1912م شاعر وكاتب لغوي من قصصه (أهل الجبل) والتي كتبها بأمر من الكرملين. فيها المدح للروس والحمل على الأمراء ومن ثم على الشعوب التي تم نفيها من القفقاس، ويصفهم بأنهم هم سبب البلاء، ويحاول تبرير أعمال البلاشفة في تصفية هذه الشعوب[2].

39. **خوازيف:** كاتب روائي شركسي[3].

40. **فوست بلقر:** ولدت عام 1932م، وهي من شاعرات الشركس، وبدأت أعمالها بالظهور عام 1946م، وجمعت أشعارها في دواوين، وتحت أسماء عديدة منها «أطراز السماء» عام 1997م و«أشعة الشمس أصبحت آلتي الموسيقية» عام 1970م[4].

41. **داوود أخيما:** من الشعراء والقصاصين الشركس ومن الجيل الأصغر من الكتاب[5].

42. **داور جعفر:** من الكتاب الشركس وهو من الداعين إلى إعادة توحيد لهجات الشركس في لغة واحدة[6].

43. **داوود تسي:** من الشعراء والقصاصين الشراكسة[7].

44. **رسول حمزاتوف:** من الشعراء والأدباء البارزين في الداغستان وله بعض القصائد مترجمة إلى اللغة العربية وكذلك كتابه (بلدي) وصدر بأكثر من طبعة[8].

([1]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص116.
([2]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص114.
([3]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص116.
([4]) مجلة «الأداب الأجنبية» العدد 27 أيار 1981، ص78-79.
([5]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص116.
([6]) مجلة (المستقبل العربي) عدد أيلول 1992، ص43.
([7]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص116.
([8]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد السابع، ص21.

45. **ر. ميركيكي:** من الأدباء الذين اهتموا في كتابة قصص أساطير النارت[1].

46. **رئيسة أخمانوفا:** شاعرة شيشانية من كتاباتها «منذ القديم والقرويون الجبليون في بلدي يعتبرون أن الوطن يبدأ دائماً عند عتبة باب البيت، واليوم يقولون أن الوطن يبدأ عند عتبة الباب ولكنه لأي سبب كان قد لا ينتهي هناك»[2].

47. **ز. مجيدوف:** شاعر وقصاص[3].

48. **سانتياتا نوح المرتوقي:** درس في الأزهر، ويعتبر من رجال الدين له «رسالة في الرد على عبده فيما أبداه من إنكار جواز التقليد وتكفير أهله» وله كتاب (مجمع الحسان)، وله كتاب (نور المقابس في تواريخ الشراكس) وهو مكتوب باللغة العربية وآخرها مطبوع عام 1912م[4].

49. **سلطان خان غويري:** عالم أجناس بشرية وكاتب نشر أساطير شركسية وخرافات من أغاني النارت[5].

50. **سليمان سنالسكي:** من الأدباء الذين تم صنع تمثال له تخليداً لذكراه[6].

51. **شعبان كوبا:** أستاذ جليل عالم باللغة والأدب الشركسي وشاعر بارع عمل في التدريس بالكليات التربوية والمسرحية والزراعية، وعمل في المعهد المسرحي «لوناتشارسكي» بموسكو وعمل في معهد الأبحاث الأديجية (الشركسية)، وشغل رئيس فريق من العلماء الذين تولوا البحث والجمع للفلكلور الشركسي، وتنقل في عدد من البلدان ومر بسورية والأردن، وانتهى في أمريكا من كتبه: (الأبجدية للأطفال طبع في كراسندار عام 1927م، قراءة للصديق طبع

---

(1) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص104.

(2) مجلة (العربي) الكويتية العدد 342 أيار 1987، ص151.

(3) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص116.

(4) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد السادس ص52، وكتاب نور المقابس في تواريخ الجراكسة.

(5) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية ص103.

(6) مجلة (العربي) الكويتية العدد 337 - كانون الأول 1986 ص83.

في موسكو عام 1927م، تقويم "كاليندار" طبع في موسكو عام 1924م، القواعد المدرسية العلمية في النحو في جزئين العرف والإعراب طبع في كراسندار بروسيا عام 1930م، عمل الإملاء في اللغة الشركسية في أربعة أجزاء طبع في مايكوب عاصمة جمهورية الأديغي عام 1930م، مجموعة قصائد شعبية شركسية قديمة طبع في مايكوب، رواية "قطيع الخيول" طبع في مايكوب، الأبجدية الأديغية (الشركسية) طبع في مايكوب أيضاً، القراءة الأدبية طبع في كراسندار، الأبجدية لمدارس الكبار طبع في كراسندار، القراءة الأبجدية في ثلاثة أجزاء طبع في كراسندار بروسيا، تاريخ عمان باللغة الشركسية طبع في بيروت لبنان عام 1952م، الكتاب الإبتدائي للأطفال طبع في عمان الأردن عام 1952م، قصص وحكايات أديجية (شركسية) طبع عام 1953م، المرآة وقصيدة باللغة الأديجية (الشركسية) طبع في بيروت عام 1953م، شعر باللغة الشركسية طبع في بيروت لبنان عام 1954م، الأغاني الشركسية القديمة طبع في دمشق سورية عام 1954م، العدد الأول من سلسلة أديغة فولكلور طبع في باريس بفرنسا عام 1959م، العدد الثاني من سلسلة أديغة فولكلور طبع في نيويورك أمريكا عام 1963م، وله روايات عن الحرب الروسية والقفقاسية، تقاويم عديدة، وله العديد من المؤلفات التي أعدها للطبع، ولم تطبع وهي مجموعة عن الفولكلور وقصص وحكايات وروايات وأشعار وقاموس[1].

52. **شكا ماشه خمسة:** أديب شركسي، في زيارته لسورية وإطلاعه على النكت الحمصية نقلها إلى القفقاس في مجموعة قصصية فكاهية، لاقت رواجاً هناك[2].

53. **شورا بكمزا نوغموقة:** (1794-1844م) هناك رواية تقول أن مولده كان عام 1801م، لغوي ومؤرخ، تعلم العربية والفارسية والتركية والروسية، إلى جانب لغته الأم الشركسية، أصبح رئيساً دينياً للمقاطعة عام 1829م، ثم معلماً

([1]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص104، 111، 113، ملاحم نارت الشركسية، ص9.
([2]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد الخامس، ص13.

في مدرسة الأمانات في نالتشيك، وبدأ بوضع أبجدية للغة الشركسية مستخدماً الأحرف الروسية من عام 1825م. وفي عام 1843م وضع قواعد للهجة القبرطايية الشركسية، وعرضه على (سه غره. ن) عضو المجمع العلمي الروسي في بطرسبورغ، وهذا الأثر ضاع قبل الطباعة حسب ما أشار إليه هو في كتابه ومؤلفه التاريخي، ومع القصائد الشركسية، وأعاد صياغتها، وجمع الأساطير الشركسية وكتب بالروسية أساطير شركسية عام 1843م، وكتب (الخوخو) بأسلوب شعري، وتم نشر كتابه (تاريخ الأديغة الشركس) بعد وفاته. كان ميالاً للروس، وهذا يتضح من المناصب والأعمال التي مارسها أثناء الحرب الروسية القفقاسية، حيث خدم في كتيبة الحرس الملكي الخاص للقيصر الروسي في مدينة بطرسبورغ من 10 نيسان عام 1830م ورفع إلى رتبة نقيب مرافق في شهر أيار 1835م ونقل إلى الجيش القفقاسي الروسي في مدينة تفليس، وما بين عام 1839-1843م عمل سكرتيراً للمحكمة العسكرية في نالتشيك. وبعد أن أنهى خدماته العسكرية ما لبث أن عاد إلى بطرسبوع حيث توفي فيها في العاشر من حزيران عام 1844م[1].

54. **شورتن اسكربي:** من كتاب الشراكسة الكبار ليس له أثار مترجمة للعربية حالياً[2].

55. **شيكي خاشيف:** شاعر وروائي، له قصائد موجهة ضد رجال الدين مثل (العنكبوت والذبابة) و(الملا العجوز) وغيرها على نمطها[3].

56. **عسكر ايفنخ:** كسابقه من حيث مضمون كتاباته، ألف العديد من القصص والحكايات مثل (أخي الأكبر) و(مهمة ممتازة) و(بسبابي أول) و(في

([1]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص103، 111 - تاريخ القوقاز، ص229، 234 - ملاحم نارت الشركسية، ص5 - مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد السابع، ص30-33.
([2]) ملاحم نارت الشركسية، ص6 ـ مجلة (المستقبل العربي) عدد أيلول 1992، ص33.
([3]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص113.

قريتنا)[1].

57. **علي شوجن تسوكو:** من مواليد 1900م، شاعر وكاتب له أشعار ودواوين نشرت باللغة الشركسية والروسية ومن قصصه (البطل الصغير)[2].

58. **عليم كيشكوف:** شاعر وأديب روائي وسياسي عزف على نفس أوتار كتاب زمن الشيوعية فأصبح نائباً في مجلس السوفييت الأعلى، وعضواً بارزاً في اتحاد الكتاب السوفييت، وروايته (بزوغ القمر) التي صدرت بموسكو عام 1978م بالروسية كرسها للقضية الفلسطينية، وطبعت في نفس العام ثلاثة مرات وله قصائد بعنوان (عند أسفل الجبل) صدرت عام 1941م، وله رواية (الهلال الأزرق) باللغة الشركسية وهي من رواياته التي كتبها بالشركسية وترجمت للغة العربية، رواية (بانتظار الفجر) التي غنى فيها للحياة الجديدة بعد ثورة 1917م، وله رواية (الحدوة المكسورة) في جزئين مترجمة للعربية من الروسية وتدور أحداثها خلال تواجد القوات الألمانية في القفقاس[3].

59. **فيزيغ أنانيتكو:** كاتب ومؤرخ من الداعين إلى مساندة الشابسوغ في نضالهم من أجل استعادة منطقتهم الخاصة ذات الحكم الذاتي[4].

60. **كاكابازاد:** شغلته القضية الأبخازية وكتب عنها عام 1921م[5].

61. **غورتوف:** شاعر قصاص من الجيل الأصغر من الكتاب الشراكسة[6].

62. **كوستا:** شاعر من الأستين (القوشحة) يعتبر من شعراء الحرب الروسية القفقاسية، حيث كتب الكثير من الأشعار عن تلك الحروب، واضطهد، ونفي

---

(1) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص116.

(2) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص114 - مجلة (الأداب الأجنبية) دمشق العدد 27 أيار 1981، ص75.

(3) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص114 - مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد الخامس، ص12 - الحدوة المكسورة تأليف عليم كيشوكوف، ص5 - بانتظار الفجر تأليف عليم كيشوكوف، ص7.

(4) مجلة المستقبل العربي عدد أيلول 1992، ص43.

(5) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص116.

(6) مجلة الجيل عدد تشرين الثاني 1993، ص38.

وسجن مراراً، ومات مريضاً عام 1898م بعد أن ألهــب شــعور القوقــازيين بقصائده الحماسية[1].

63. **ل. لوباتنكسي:** كان مدرساً للشركسية في ثانوية نالتشيك، ونشر كتاباً فــي مختصر قواعد اللهجة القبرطايية عام 1891م، وجمع بالتعاون مع ب ــ تامبي قصص النارت ووضعها دراسة عنها[2].

64. **ل. لينكو:** شاعر وقاص شركسي[3].

65. **ماشباش اسحق:** مواليد عام 1931م، شاعر وروائي متخرج من المعهــد العالي للآداب في موسكو عام 1956م، عمل في جريدة محلية كمحرر في عــام 1962م أصبح عضواً في اتحاد كتاب الشراكسة، ثم في اتحاد الكتاب في الاتحاد السوفييتي السابق، تلقى وسام الأدب من قبل الدولة، ووسام الصداقة بين الشعوب لإغناء الأدب الروسي، ولأفكاره التي تدعو إلى الصداقة، له أكثر من خمســين كتاباً، وديوان شعر وكتب بالروسية والشركسية. وبعد مشاهدته لسوق الحميديــة بدمشق، كتب قصيدة عنها، ومن كتبه الشركسية المترجمة إلى العربيــة روايــة **(حرب بزيقوه)** في جزئين[4] و**(حجر الرحى)**[5].

66. **م. باداونوف:** كاتب مقالات[6].

67. **محمود خوازيف:** شاعر وقصاص[7].

68. **ميخائيل لأخفينتسكي زكريا أجوق:** كاتب معروف، كتب عن الصداقة بين الشعوب له حوالي عشرين كتاباً، قاتل ضمن القــوات الروســية **(الســوفييتية)**

---

(1) شركسي يتحدث عن قومه، ص33.
(2) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص101، 103.
(3) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص116.
(4) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد الخامس، ص13 - (مجلة الجيل) عدد نيسان 1986، ص55 ـ حرب بزيقوه الجزء الأول، ص4 ـ مجلة المستقبل العربي عدد أيلول 1992، ص33.
(5) حجر الرحى.
(6) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص116.
(7) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص116.

المسلحة في بلدان مختلفة مثل رومانيا وبلغاريا ويوغسلافيا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وبأسلحة مختلفة بحرية وبرية وإنزال جوي وبمدافع هاون، ومدافع رشاشة، وعمل سائقاً بالجيش، ونال وسام الحرب الوطنية من الدرجة الأولى، وعلى أعلى الأوسمة من أسطول البحر الأسود، ومشاة البحرية، بعد تركه الجيش أكمل دراسته في كلية اللغة بتفليس وشغل منصب رئيس لفرع اتحاد الكتاب الجورجيين الذين يكتبون بالروسية، أما كتبه فله مجموعة قصصية **(**لقاء على الدروب**)** نشر عام 1955م، وكتاب **(**طلقة بندقية في ميتخنا**)** و**(**دوي الرعد**)** وهي مترجمة إلى العربية طبع في دمشق[1].

69. **تال بيف:** شاعر وروائي، كتب بالمشاركة مع شيكي خاشيف مأساة كوريجات التي مثلت على مسرح نالتشيك عام 1934م[2].

70. **نيلي تاربا:** شاعرة أبخازية وهي أول شاعرة أبخازية قدمت إلى الشام[3].

71. **قسطانوف:** شاعر وقصاص[4].

72. **بوبيرسي:** درس الشركسية في مدرسة ستافربول الثانوية ونشر كتاباً لدراسة اللغة والأدب الشركسي عام 1885[5].

73. **يوسف لوستان:** من الأدباء والكتاب الشراكسة[6].

74. **يوليوشين:** شاعر وقصاص شركسي[7].

([1]) دوي الرعد تأليف ميخائيل لاخفينتسكي، ص113-115.
([2]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص113.
([3]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد الرابع، ص8.
([4]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص116.
([5]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص101.
([6]) مجلة (المستقبل العربي) عدد أيلول 1992، ص33.
([7]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص116.

المبحث الثاني: الطابع العام للمواضيع

لابد من التمييز بين عصرين، عصر الحرب القفقاسية القيصرية، وعصر ما بعد قيام الحكم الشيوعي، بالنسبة للعصر الأول، وعن آثاره الأدبية فهي قليلة بشكل عام، ومن جهة أخرى يمكن أن تصنف إلى فئتين. أدب مع الشعب يرفض الاحتلال الروسي، وهذا الأدب طُمس كله بعد قيام الشيوعية، حيثُ إظهار أو بيان أو إعادة كتابة أي شيء منها ضد الروس مرفوض، ولا يوجد أي أثر لتلك النوعية، إلا بعض القصائد التي حُفظت بالقلوب ومن جيل إلى جيل، مثل قصائد الشاعر كوستا[1]، وكذلك بعض ما كتبه الأجانب من رحالة أو المشاركين مع الروس في الحروب وبالنسبة للأدباء الشراكسة في القفقاس الذين كتبوا عن تلك الفترة، وأعيد ذكرهم أو كتاباتهم، فهم الذين كتبوا عن اللغة مثلاً، وقواعدها أو عن الأساطير القديمة.

عصر قيام الاتحاد السوفييتي السابق، فالطابع العام للأدب كان يختلف نهائياً، فهنا نجد محظورات ومن مهام الأدباء هو كتابة التاريخ بشكل مشوه، فلا يسمح بذكر أي سوء عن الروس الذين هم حماة الحرية والديمقراطية وهم الذين أبقوا هذه الشعوب غير الروسية وحافظوا عليها، أو تناول موضوع وقائع عن المرحلة القيصرية، والتي هي عدو للشيوعيين حيث «الأمر يتغير حين يتعلق بقضية السيطرة على القفقاس، فليس في الرواية ذكر للمجازر الوحشية ولا لإحراق القرى والغابات والزرع والمواشي، ولا للإبادة الجماعية للسكان أو إجبارهم على إخلاء أرضهم، ولا للاتفاق مع الإمبراطورية العثمانية على تهجيرهم[2]».

وكمثال على قلب الحقائق ما تجده في رواية الحدوة المكسورة[3] التي كرسها عليم كيشوكوف للكتابة عن فترة دخول جيوش ألمانيا إلى القفقاس، حيث أظهرَ

---

(1) شركسي ـ يتحدث عن قومه، ص33.
(2) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد الخامس، ص99.
(3) الحدوة المكسورة، ص5.

الحرب بأنها حرب وطنية عظمى للشعوب السوفييتية ضد الفاشية الهتلرية، وذكر تكاتف الشعوب والقوميات، والكل انضم للروس، وقـاتلوا العـدو دون إظهـار الأهداف الاستقلالية للقفقاس، وكما سبقَ أن حدث حينما شارك القفقاسيون الروس الحمر ضد الروس البيض كثمن اعترافهم بدولة شمال القوقـاز والتـي قضـى الروس عليها.

إن الشيوعيين حولوا البعض من أمثال توسع يتوشيخ[1] الذي لا يعـرف حتـى الكتابة ولكنه كان يروي الحكايات والمغامرات بإتقان ومهارة إلى مرتبة كاتـب كبير، وجمع كل ما قاله ورواه في كتب وبأمر وتعليمات الحزب التي أصـدرها م. قسطانوف، وهو سكرتير ستالين الخاص، ومعروف ما فعلـه سـتالين فـي القفقاس مع تغير خارطتها وإبادة بعض المناطق وحرقها، وتنويع التعذيب فـي معتقلاته، وتهجير ونفي إلى سيبيريا دون السماح بنقل أي شيء وضمن ظروف قاهرة شديدة، ودون مكان يأوون إليه بالمنفى[2].

قصة (أهل الجبال) للكاتب خ. ثيونوف «وقد كُتبت بناءً على أمرٍ خـاص مـن الكرملين، وتبدأ حوادثها في القرية التي هي موطن المؤرخ واللغوي القبردينـي المشهور شوار نوغمرت ثم بعد ذلك في سان بطرسبورغ، وإيران، ومرة أخرى في شمال القفقاس»[3]. والذي يحمل فيها الكاتب على الأمراء الشركس، وبـأنهم سبب دمار الشراكسة، ناسياً المؤامرة التي اتفق الروس والأتراك بصورة رئيسية على تهجير الشراكسة.

باختصار يجب أن لا يحفظ عن الماضي إلا السوء «وهكذا طلب من القوميـات غير الروسية أن لا تحفظ من ماضيها إلا ما ساهم منه في تقريبها إلى روسـيا وبعد حرمانها من ماضيها الخاص لم يعد لها إلا أن تتماهى تاريخياً مع الشـعب

---

(1) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص117.
(2) مقالة (الشيشان تفاؤل وقلق).
(3) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص114.

الروسي، كما دعاها إلى ذلك باغيروف: إن القوة الموجهة التي تجمع شعوب بلدنا، وتلحم ما بينها وتهديها السبيل، هي أخونا البكر، الشعب الروسي العظيم، فهو بفضائله أهل للثقة والاحترام والحب من قبل سائر الشعوب»[1].

الواجب على الكتاب أيضاً النيل من الأمور الحسنة والإيجابية الناتج عن كون الشراكسة مسلمين ولهم علاقة بالعربية، فكان يجب «القول بأنه تحالف مع الرجعية المحلية لقمع النضال الجماهيري التقدمي وبما يتناسب مع إيديولوجية ذلك البعض، أو نتيجة جهل بالعربية وتاريخها، كما يظهر في كتاب ماشباشه إسحق (حرب وادي بزيقوه)[2]».

كان من واجب الأدباء الشراكسة أيضاً الكتابة بأن الأمراء مارسوا نفوذاً مُطلقاً، وهم خونة، ودخلوا بتحالف مع تتار القرم، وتركيا، وجل عملهم ضد إرادة شعوبهم[3].

الواجب يقضي أيضاً، نعت رجال الدين، وقادة الدفاع ضد المعتدي بصفات كثيرة سيئة، وحتى صفات غير أخلاقية، فانظر إلى ما تقول إحدى الشخصيات عن الإمام شامل: «عندما دخلت لوضع الوعاء الذي توضأ به تناولني، وبقدرة قادر تمكنت من الإفلات من يديه، وجئت إليك فراراً».

وتقولُ أيضاً «لقد هددني بأنه سيوعز بقتل والدي، إن أنا أفشيتُ بما حصل «وعندها من سيسدد الثأر ومن سيصدقني»، وعلى لسان الإمام شامل قائد المدافعين عن القفقاس في صباح اليوم التالي: «إذا تلفظتِ بكلمة، عما حدث مساء أمس، سأوعز بقطع رأسكِ، ورأس أبيكِ، وسأدمر قريتكم هذه فلا تتشجعي لأنكِ تمكنتِ من الإفلات مني مساء أمس، وعندما يعود والدك، سآخذك لنفسي»[4].

([1]) القوميات والدولة السوفياتية، ص25.
([2]) مجلة (الجيل) عدد نيسان 1986، ص55.
([3]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص114.
([4]) عبر دروب الجبال تأليف أبو زر . أ. ايدميروف، ص179، 180.

السبب في كل ذلك بالطبع محاربة الشركس للروس دفاعاً عن أرضهم، ولذلك على الكتاب في رواياتهم عن تلك المرحلة يجب أن يقولوا: «أخطأتم لأنكم حاربتم الروس، ولأن السلطان قد حكم في ذلك، وخرجتم من وطنكم، لأنكم كنتم أغبياء، أو لأن قادتكم كانوا خونة، وأنتم أبناء هؤلاء، لقد انتهى كل شيء»[1].

يجب على الراوي بالطبع أن لا ينسى دور الإنكليز والفرنسيين، وعملائهم في القفقاس، ولولا دور روسيا لقضى هؤلاء الطغاة على الشركس[2].

يجب أيضاً أن لا ينسى دور الشعب الشركسي الذي يدافع عن أرضه لطرد هؤلاء الأعداء، وبالطبع هم غير الروس حتماً[3].

تُعزز الكتابات عموماً التطرف الروسي[4]، والملهم والهادي هو الأخ الأكبر، والشعب الروسي العظيم[5] ويجب خلق شخصيات دافعت حتى عن الأطفال، ونجد في قصة (الأم الثانية) كيف أن الروسي ليونيد بتروفيتش صديق كورغوقا وهو والد أحمد الشركسي تبناه بعد مقتل والده في الحرب، ورباه في موسكو، وتولى تعليمه، إنه محسن وكريم أيضاً[6]. وأيضاً المدح إلى الحروف الروسية، اقرأ قولَ إحدى الشخصيات في رواية تقول: «أعطني الحروف التي جلبتها معك، ولا أريد منكَ شيئاً آخر» وتقول أيضاً «أي حرف هذا الذي يشبه فتاة ذاهبة إلى الماء وعلى كتفها عصا علق في طرفيها دلوان»[7].

لقد قال ك. ب كانديلاكي في بحثه (السياسة الوطنية للكرملين في القفقاس) أمام المؤتمر الرابع لمعهد الدراسات السوفياتية عام 1954م. بعد أن أوضح ما يكتبه الأدباء بأنه منذ وقت مضى والشمس لا تشرق ولا تغرب إلا على أراضي

([1]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد الخامس، ص96، 97.
([2]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص115.
([3]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص114.
([4]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص117.
([5]) القوميات والدولة السوفياتية، ص25.
([6]) الأم الثانية تأليف حكم تيونوف.
([7]) بانتظار الفجر، ص166.

روسيا، ونعت الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي بأنه الـنجم أو الكوكب الهادي للبشرية يقول: «عندما تنشر هذه المؤلفات حسب المصادر السوفييتية بهدف خدمة مشروع السنوات الخمس الثاني بـ/119/ لغة بالإضافة إلى الروسية في /134/ مليون نسمة فإن المرء يتملكه الخوف ليس فقط على المؤلفات العلمية، والفنون العائدة لهذه الشعوب غير الروسية، بل أيضاً على روسيا ككل، والبشرية برمتها، لأن هذا الكلام بمجموعه ليس إلا دعاية شيوعية من أوله إلى آخره»[1].

يأتي بعد ذلك واجب الإيضاح بأن الاتحاد مع روسيا له أهمية إيجابية، حيث صان الروس الشركس من الأتراك، والقرم ومن الدمج الإجباري معهم، والإبادة الجسدية من قبلهم للشركس، ويجب الإيضاح بأن الفضل للروس في إنهاء النزاع الداخلي، وفتح طريق السعادة والتطور والرقي بكافة جوانبه[2]. ولإظهار ذلك كان لا بد من أن تحوي القصص أبطال روس، ذلك الأخ الكبير الذي مد لأخيه الصغير يد العون وكان ممثلاً فريداً، ودون أنانية منه لتعيش الشعوب غير الروسية حياة مزدهرة راقية[3].

كذلك لا بد للكاتب أن يتغنى بالحياة الشيوعية الجديدة التي نقلت الشعوب من الظلام إلى نور الاشتراكية[4].

ولا بد من الكتابة بأن ما حدث من نفي لبعض الشعوب مثل الشيشان بأنهم هم الذين جلبوا المصائب لأنفسهم وعلى الشعوب الأخرى الساكنة في شمال القفقاس، ولا بد من إظهارهم بمظهر الكراهية، وبالتالي تبرير أعمال البلاشفة في تصفية هذه الأقوام[5].

([1]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص121، 122.
([2]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص115.
([3]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص116، 117.
([4]) بانتظار الفجر، ص7.
([5]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص116.

كذلك لابد من الفخر بالحياة الاشتراكية، فهم يجدون الخبز أما في أمريكا الرأسمالية كثيرون لا يجدون الخبز الكافي، كما جاء على لسان رئيس إحدى الكولخوزات بقصة (في قريتنا)[1].

في تلك الروايات في عهد الشيوعيين الشيء الحسن الوحيد فيها هي بأنه سمح لبعضها بالكتابة باللغة القومية، وبذلك تمت المحافظة على بعض الكلمات، وطريقة المحادثة السليمة.

كذلك صدور الصحف باللهجات المحلية. كان كل ذلك يمكن اعتباره إنجازاً لولا أنها كانت خاضعة كلياً للحزب الشيوعي وسياسته، بحيث أصبح الشركس لا يتمتعون بلغتهم الخاصة واستقلالهم وخاصة الاستقلال الفكري[2].

([1]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص116.

([2]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص121.

الفصل الثاني

في تركيا

من الكتاب الشراكسة في تركيا:

1. **أحمد راسم:** كاتب شركسي الأصل، يكتب القصص الطويلة، ويلاحظ في قصصه اهتمامه بالشراكسة.

2. **أحمد مدحت:** من أوائل كتاب القصة الطويلة في الدولة العثمانية، توفي عام 1913.

3. **اسماعيل حبيب صفوقه:** شغل منصب عضو في البرلمان التركي، وهو كاتب وناشر أيضاً.

4. **توفيق فكرت:** شاعر معاصر كبيرة ومشهور في تركيا وله ديوان اسمه (القيثارة المكسورة).

5. **حسن فهمي:** من أصل شركسي أيضاً، وهو قانوني، جمع وكتب عن أربعمائة من الوزراء في تركيا.

6. **حمد اللّه صبحي:** من شعراء الأتراك الشركس، ومن أفضل قصائده: (سوء حظ الأم)[1].

7. **جاويد باشا:** في عام 1885م وضع كتيباً عن الحروف الشركسية[2].

8. **راتب طاغور بوراك زيوس راكي:** كاتب وفنان[3].

9. **شرف الدين الداغستاني:** عالم صوفي كان ذو نفوذ[4].

---

(1) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص109- 110.
(2) تاريخ القوقاز، ص235.
(3) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص109.
(4) أعلام تونسيين، ص165.

10. **شميلا غوة عيسى:** كاتب مسرحي.

11. **عبد الحق حامد:** شاعر له قصيدة صور فيها التهجير التعسفي للشراكسة من القفقاس[1].

12. **عمر بيقوه:** شاعر من أصل أبخازي[2].

13. **عمر سيف الدين:** (1884–1920م) قاص له قصص طويلة منها: (الشعر الأبيض، القنبلة، المعبد السري، الشعب النبيل، الربيع والفراشة، الزنبقة البيضاء، تجارب الخجل[3]).

14. **محمد ظلي أفندي:** المعروف بأوليا جلبي (1020–1090ه) بينما كان يتلو القرآن الكريم في جامع آيا صويا، أعجب السلطان مراد الرابع به، فطلبه إلى قصره، ولكن لحبه للحرية لم تعجبه حياة القصر. وبعدها طاف لوحده أو مع وفود رجال السياسة، أو الجيوش وساح بالأرض وزار أكثر بلاد الأناضول والروملي والقفقاس وجزيرة كريت وإيران والنمسا وألمانيا وهولندا وبولونيا وروسيا، ورجع إلى استانبول وكتب عشر مجلات يصف فيها ما شاهده خلال هذه السياحة[4].

15. **الدكتور محمد علي بشيمالوق:** أديب، كتب أحرف هجائية ونحوية وبعض القصص والأشعار خاصة لتعليم الصغار[5]، وله كتاب (عاد وثمود) مترجم إلى العربية كما له كتاب عن تاريخ الحضارة درس في الجامعة الأمريكية في بيروت وله كتاب (محمد والأديان)[6].

16. **مصطفى صبري:** عالم ديني من كتبه (موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين).

---

(1) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص110.
(2) اللغات القفقاسية، ص7 ـ اكتشاف وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس، ص13.
(3) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص109.
(4) جولة آثرية تأليف أحمد وصفي زكريا، ص11.
(5) مدخل إلى تاريخ الشراكسة، ص56.
(6) عاد وثمود.

17. **ملك نامي توقا:** مؤلفة[1].

18. **يعقوب قادر قره عثمان أوغلو:** يعتبر من أفضل كتاب القصة في تركيا في العصر الحاضر، وكتب عن أمته الشركسية أيضاً[2].

19. **يوسف عزت باشا:** كاتب ومؤرخ وباحث، كتب عــن أصــل الشــركس، وتاريخ القفقاس والبوسفور، من كتبه المترجمة إلى العربية **(**تاريخ القوقاز**)**[3].

([1]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص110.
([2]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص110.
([3]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص110 ـ ملاحم نارت الشركسية، ص17.

الفصل الثالث

في المغرب العربي (تونس)

خير الدين التونسي: تولد 1810م كان يتقن اللغات العربية والتركية والفرنسية، شغل عدداً من المناصب الهامة منها، وزير الحربية في تونس، وبقي مدة ست سنوات، ورئيساً لمجلس الشورى، وعين رئيساً للفرع التنفيذي للجنة الدولية لإدارة الواردات، وفي عام 1873م عين رئيساً للوزراء بتونس لمدة أربع سنوات عمل خلالها على «إصلاح التعليم في جامع الزيتونة، وتعزيز مطبعة الحكومة، وتوسيعها وإنشاء مكتبة وطنية، وتأسيس مدرسة الصادقية» واستدعاه السلطان عبد الحميد، وعينه صدر أعظم للدولة العثمانية الكبرى[1]، وله كتاب (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) وهو كتاب مشهور[2].

رستم باشا الجركس: وصل إلى مرتبة السلطنة في تونس وقال عنه شيخ الإسلام في عصر «التقي النقي الكامل رستم باشا الجركسي التونسي الفاضل العفيف والنصوح المؤتمن تعلم القرآن الكريم والعقائد، والعبادات أو التجويد والنحو والحساب والهندسة واللغة الفرنسية والتركية» وأصبح وزيراً للداخلية والحربية[3].

عطاء باشا الجركس: إمام جليل في الفقه ومجتهد[4].

محمد باي خير الدين: (1872–1922م) مفكر متصوف نشأ في تونس، زار

([1]) مجلة (العربي) الكويتية العدد 278 كانون الثاني 1982، ص127-128.

([2]) فلسفة التاريخ العثماني تأليف محمد جميل بهيم، ص178.

([3]) نور المقابس في تواريخ الجراكس، ص12 ـ مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد السادس، ص55-56.

([4]) نور المقابس في تواريخ الجراكس، ص12 ـ مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد السادس، ص56.

بلدان مختلفة تركيا وفرنسا والجزائر والسعودية، شغل منصب مدير لجريدة (شاهراه)[1].

مصطفى آغة: (1871–1946م) شاعر فيلسوف، وكتب الشعر بنفسية المتنبي ونبرات الشريف الرضي، ومن مرح أبي نواس[2].

صلاح الدين شروخ: حالياً يعمل في جامعة التكوين المتواصل – عنابة بالجزائر كاتب قصص قصيرة، وله أبحاث حول القفقاس وآدابها، يكتب في عدد من المجلات المكتوبة باللغة العربية، ونال درجة الدكتوراه من جامعة القديس يوسف عام 1982م عن تربية المماليك الشراكسة، وله كتاب (الأصول والتكييف في تاريخ المحاربين المسلمين أيام دولة المماليك البرجية)[3].

([1]) أعلام تونسيون. تأليف الصادق الزمرلي، ص159 - 168.
([2]) أعلام تونسيون، ص237-241.
([3]) مجلة المستقبل العربي عدد أيلول 1992، ص33.

الفصل الرابع

في مصر

البحث الأول: زمن السلاطين

1. **مدح للعصر:** نقصد بالعصر، عصر حكم سلاطين الشراكسة، أو ما يسمى بالمماليك، وقد أطلقت عليه أيضاً تسميات أخرى مثل الدولة البحرية، الدولة البرجية، الدولة الجركسية، وغيرها. وأما حول التسمية وأصل حكامها وسبب مقدمهم للبلاد العربية[1]، وسأذكر باختصار بعض ما كتب عن ذلك العصر.

يقول الدكتور حسين مؤنس: ((تألقت القاهرة كعاصمة كبرى لعالم العرب والإسلام، وقام بالحكم فيها مماليك كانوا جنوداً عظاماً، قاموا بواجبهم العسكري خير قيام، فاستنقذوا الشام من أيدي التتار، وحموا بقية عالم الإسلام من بلائهم الشديد، وفي ذلك القرن ازدهرت كذلك دمشق وبقية عواصم الشام، وزخرت كالقاهرة بالعلماء من كل صنف، وبلغ العصر الذهبي الثاني لعلم التاريخ عند العرب أوجه))[2].

إذا قرأنا فتوى شيخ الإسلام ابن تيمية (1263-1328م) في كتابه (الفريضة) نجد ((مصر والشام يحكمها المماليك وهم يدافعون عن بلادهم وعن المجتمع الأكثر علماً بالإسلام والأكثر قرباً من تعاليمه - بالقياس إلى غيره من مجتمعات المسلمين))، وقال ((إنهم أحقُ الناس دخولاً في الطائفة المصورة التي ذكرها النبي ﷺ بقوله في الأحاديث المستفيضة عنه: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة**». وأدخلهم في (أهل الغرب) الذين عناهم الرسول ﷺ عندما قال: «**لا يزال أهل الغرب**

---

(1) انظر كتاب حقيقة المماليك للمؤلف.

(2) محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني ـ تأليف الدكتور عمر موسى باشا نقلاً عن مجلة (العربي) الكويتية ـ عدد شباط 1967م.

ظاهرين».

وقال ابن تيمية أيضاً: «إنهم كتيبة الإسلام، وعزهم عــز الإســـلام، وذلهــم ذل الإسلام. فلو استولى عليهم التتار لم يبق للإسلام عز ولا كلمة عالية، ولا طائفة ظاهرة عالية يخافها أهل الأرض تقاتل عنه»[1].

في ظل دولة السلاطين الشركسية ((قامت في مصر حركة علمية زاهرة ارتفعــت فيها العلوم والفنون ومن خلالها العديد من المراكز العلمية التي وجدت فيهــا))[2].

وكما يؤكد صاحب كتاب الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكســة، بعد أن استعرض كثيراً من الأدلة والإثباتات عن الحياة العلمية المتطورة ((وهكذا، فإن الحركة العلمية في مصر في ظل دولة المماليك الجراكســة، كانــت حركــة نشطة، بثتها فيها مراكز علمية مرموقة، وكان لها ما ساعد على نموها من عوامل الازدهار، وما امتازت به من سمات أصلية، وهو ما ينفي قول (جاستون فييت)... وقول أحد الباحثين العراقيين))[3] وهو الدكتور محمد صالح داود القزاز.

وجاء في كتاب تاريخ القومية الجزء الأول منه لمؤلفه المؤرخ والكاتب عبــد الرحمن الرافعي في فضل دولة الشراكسة في الحفاظ على العربيــة وآدابهــا ((وإليهم يرجع الفضل في إنقاذ اللغة العربية من غزوات المغول التي كانــت تقضي على العلوم والآداب العربية في الشرق، فكانت مصر ملجــأ لنـــاطقين الضاد ممن فروا أمام التتار))[4].

يكتب الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ((وهناك حقيقة أجمع عليها العلمـــاء ولا جدال فيها، هي إن الحياة الفنية في الإسلام بلغت أسمى درجات الرقي والروعة

([1]) مجلــة (العربــي) الكويتيــة - العــدد 284 - تمــوز 1982، ص26-27 - الحــديث الأول رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والدارمي وابن حنبل، والحديث الثاني رواه مسلم والقول الأخير لابن تيمية من كتابه الفتاوي الكبرى ج4، ص345-347.

([2]) الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة ـ تأليف الدكتور محمد كمال الدين عز الدين، ص10.

([3]) الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة، ص101-102.

([4]) مصر والشراكسة ـ تأليف راسم رشدي، ص131.

على عصر سلاطين المماليك))[1].

قال عميد الأدب العربي الأستاذ الدكتور طه حسين ((ومن الناحية الفنية، كان هذا العصر من أزهى العصور الإسلامية، ويكفي أن يذهب إلى الآثار التي خلفها، فنجد فيها رقة الفن وروعته))[2].

إن مصر في تلك الأيام كانت تشع بأشعة المعرفة إلى كافة الأنحاء وكانت مصر دولة حضارية كبرى ((واكبتها نهضة حضارية ضخمة امتدت آفاقها لتشمل شتى جوانب الحياة الفكرية والتعليمية والاجتماعية والفنية... وغيره حتى لقد أطلق بعض الباحثين على ذلك العصر اسم عصر النهضة الثانية في الإسلام))[3].

2. **أسباب الازدهار:** يمكن أن توضع أسباب لتلك النهضة الكبرى منها:

أ. التشجيع المستمر والقوي من قبل السلاطين الشراكسة وأمرائهم، ومشاركتهم في النشاطات العلمية ورعايتهم لها[4].

ب. إقبال العلماء والأدباء والباحثين والفنانين ومهرة الصناع من كافة أنحاء العالم، وخاصة الإسلامي إلى مصر[5].

ج. الأمن والاستقرار الذي وفره حكم السلاطين العادل، ففي أي تقدم بالعلوم والحضارة يجب أن يوفر للعاملين عليها وللعلماء مناخاً هادئاً يشعر الجميع فيه بالأمن والطمأنينة والاستقرار[6].

---

(1) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 281 نيسان 1982، ص70.

(2) محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني ص5 نقلاً عن مجلة (المصور) - العدد 221 نيسان 1969.

(3) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 281 نيسان 1982، ص66 - مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد الخامس، ص9.

(4) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد الخامس، ص42 - الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة، ص42 - الموجز في تاريخ الدولة الإسلامية وعهودها في بلاد فلسطين - تأليف مصطفى مراد الدباغ ج2، ص107.

(5) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد الخامس ص43 - مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 281 نيسان 1982، ص67.

(6) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد الخامس، ص43 - مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 281 نيسان 1982، ص67.

د. الموارد الاقتصادية التي لا بد من توفرها ليتم التقدم الحضاري، إذ للمادة دور هام في استمرار النشاط الحضاري ولتفي بأسبابه، وتشجع القائمين عليها من العلماء والفنانين والباحثين. بما تقدمه لهم من رواتب أو مساعدات لنشر أبحاثهم. وساعد في ذلك كون دولة السلاطين من أغنى دول ذلك العصر، وكانت تطبع العملة الذهبية الخاصة بها[1].

ه. المدارس: وكانت من أهم الأسباب في نشر العلم والتقدم الحضاري[2].

هذه الأسباب وغيرها جعلت عصر السلاطين عصر النهضة الثانية، فنجد ((المدن المصرية – وخاصة القاهرة – موضعَ دهشة وإعجاب من الرحالة الأجانب، والمسلمين الذين زاروا مصر في ذلك العهد)).

فالرحالة جيهان تنود قال: ((إن القاهرة تبلغ ثلاثة أضعاف مدينة باريس وإنها تفوقها في العظمة والتقدم))[3].

اعتبر آخرين أن عصر السلاطين الشراكسة ((آخر عصر حافظت فيه الشخصية العربية الإسلامية – إن صح هذا التعبير – على وجودها، وتمتع العرب فيه بقسط وافر في إدارة دقيقة وعملية وأداروها بكفاءة تامة))[4].

فقد خصص الشراكسة للعرب قسماً كبيراً من الوظائف الهامة، وخاصة ما يتعلق بالأمور الداخلية من إدارية وفنية وقضائية.

3. **مقارنة مع العثمانيين:** أغلب الكتاب والباحثين يصف عصر السلاطين الشراكسة بالنور، وعصر العثمانيين بالظلام. وفي مقابلة مع عميد الأدب العربي الأستاذ الدكتور طه حسين أجريت معه في مهرجان القاهرة الألفي عن عصر السلاطين: ((ما يقال من أنه كان عصراً مظلماً.. هذا السخف بعينه، فهو من

([1]) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 281 نيسان 1982، ص67 - النظام النقدي المملوكي ـ تأليف الدكتور حمود بن محمد بن علي النجيدي.

([2]) الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة، ص46.

([3]) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 281 نيسان 1982، ص68.

([4]) دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين ـ تأليف أكرم حسن العلبي، ص6.

أزهى العصور الإسلامية.. فلم يكن هذا العصر مظلماً بحال من الأحوال... إنما العصر المظلم هو عصر الترك العثمانيين في مصر، والسبب في غاية البساطة هو أن الترك لم يفعلوا شيئاً.. ماذا صنع الترك العثمانيون بالمجدّين من العمال في مصر؟ أخذوهم.. وماذا صنعوا بما في المساجد من الكتب أخذوها، وماذا فعلوا بهذه الكتب؟ أخذوها إلى المكتبات وأغلقوا عليها، فإن أردنا الحصول على هذه الكتب وجدنا صعوبة))[1]. كانت سياسة العثمانيين مختلفة، لم يكونوا حضاريين، كانوا متعصبين للغتهم التي جعلوها الرسمية بدل اللغة العربية[2]. ولا أدل على عدم كونهم حضاريين من التخلف الذي حدث بسببه بالبلاد العربية بعد الازدهار الذي كان قبل قدومهم حيث ((لم تكد تمضي فترة وجيزة على دخول العثمانيين دمشق، حتى تدنت الحركة العلمية فيها تدنياً ظاهراً بسبب تعصب العثمانيين من جهة، ونضوب الموارد المادية للتعليم من جهة أخرى))[3].

يصف الشاعر بدر الدين الزيتوني الحال حين دخول العثمانيين:

نبكي على مصر وسكانها ... قد خُرِبَت أركانها العامَرةْ

وأصبحت بالذُلِّ مقهورةٌ ... مِن بعد ما كانت هي القاهَرةْ[4]

بعض المستشرقين حاولوا تزييف الحقائق عن ذلك العصر، والتي نقلها بعض الكتاب العرب دون وعي أو دراسة كافية بقولهم أن ازدهار الحياة الحضارية العلمية لذلك العصر قد جاء كتعويض نفسي لما كان يحسه السلاطين بأنهم غرباء. إن هذا الكلام ((في الواقع بعيد عن الصحة، فلا دليل يقوم على أن أهالي البلاد أحسوا بأن حكامهم غير مرغوب فيهم، وحسب المماليك أنهم مسلمون أقاموا شعائر الإسلام ودافعوا عنه ضد أعدائه، وجاهدوا في سبيل اللّه، وحموا

([1]) محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني، ص5-6 نقلاً عن (المصور) العدد 221 نيسان 1969.

([2]) الموجز في تاريخ الدول الإسلامية وعهودها في بلادنا فلسطين /ج2/، ص107.

([3]) دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، ص193.

([4]) محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني، ص11.

البلاد والعباد من عدوان المعتدين))[1].

هذا ما عناه ابن تيمية في كتابه الفريضة الغائبة، والفتاوى الكبرى الجزء الرابع، وسبق أن كتبنا عن ذلك في الفقرة الأولى من البحث.

4. **عودة للمدارس:** يلاحظ أي باحث كثرة المدارس في عصر السلاطين، ففي دمشق كانت دور لتعليم القرآن والحديث ومدارس تدرس الفقه الشافعي والحنفي بلغ عددها مائة وتسعة وثلاثون، ويتضح كثرتها بمعرفة سكان الوطن العربي كله. الذي لم يتجاوز خمسة وعشرون مليوناً عشية الحرب العالمية الأولى، ومصر وحدها لم تتجاوز المليونين[2]. ونذكر على سبيل المثال المدرسة الظاهرية التي بناها الملك السعيد بركة خان ابن الملك الظاهر، والمدرسة الجقمقية التي بناها الملك الظاهر سيف الدين جقمق[3].

كان السلاطين يتسابقون في بناء المدارس. وكذلك الأمراء، ومما يؤكد ذلك شهادة أبناء ذلك العصر، كالقلقشندي الذي قال عن كثرتها ((من المدارس ما ملأ الأخطاط وشحنها)) وكقول ابن بطوطة ((وأما المدارس بمصر فلا يحيط أحد بحصرها لكثرتها))[4]. كانت المدرسة بمثابة الجامعة اليوم، والمعهد العالي للعلوم. والمدرسون بها أكابر علماء العصر[5].

المدرسة بحد ذاتها واسعة لها دواوين للمحاضرات. وملحق بها سكن للمتعلمين الطلاب، وهناك تخصص دقيق بالتعليم موزعة بين فروع العلوم، وكذلك بالنسبة للمدرسين. والشهادة التي تمنح كانت وثيقة لمن يحملها فخراً ومن أسماء هذه الوثائق (السماعات) و(الإجازة بعراضة الكتب) و(الإجازة العامة)، وهي من

([1]) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 281 نيسان 1982، ص68.

([2]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد الخامس، ص44.

([3]) أثارنا في الأقليم السوري ـ تأليف أبو الفرج العش، ص51 ـ 52.

([4]) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 281، ص69 ـ الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة، ص50 نقلاً عن كتاب الرحلة لابن بطوطة، ص37 وكتاب صح الأعشى للقلقشندي، ص364.

([5]) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 281 نيسان 1982، ص69.

أعلى الشهادات[1].

تميز العصر بكثرة المكتبات أيضاً، التي خصص لها وظيفة باسم خازن المكتب[2]. وشهد عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين ((بأنه عصر دوائر المعارف، وهذا يكفيه)) وعدد بعض من علماء ذلك العصر في مختلف العلوم وأسماء بعض الكتب التي صدرت[3]. وبالطبع شهدت الدول التي كانت تابعة لعهد السلاطين الشراكسة بذلك الوقت ليس مؤسسات التدريس فحسب بل كثرة المؤسسات الدينية والاجتماعية والصحية والمرافق العامة[4]. وكان بحق عصر كثرة المعارف والعلوم وظهرت ((الموسوعات الكبرى التي عرفت لأول مرة بهذه الضخامة، فكل موسوعة تضم عشرات الأجزاء والمجلدات))[5]. وهذا مما كتبه الدكتور زكي المحاسني في مقدمة كتابه عن الشاب الظريف الذي ظهر في عصر السلاطين، عن كثر المدارس بأنها دليل من التاريخ الفكري ((على شيوع العلم والعرفان في بلاد العرب مما لم تعرف مثله العصور الأموية والعباسية الأولى... يمكنني أن أدفع عنها معرة وصفها بالانحطاط، فإن عصوراً تقوم فيها مدارس العلم بهذا العدد الهائل، ويكون فيها سيل من كتب التأليف في العلوم والآداب، ومختلف الثقافات المعروفة حتى زمنها، لهي عصور ازدهار، ومن الجور عليه أن تنعت بالانحطاط))[6].

أقاموا مؤسسات المشافي أيضاً التي كانت تسمى البيمارستان، وكمثال لذلك نذكر البيمارستان المؤيدي الذي فتحه الشيخ المؤيد أبو نصر شيخ المحمودي الظاهري

(1) دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، ص171 - 191.
(2) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 281 نيسان 1982، ص69.
(3) محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني، ص5.
(4) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 281 نيسان 1982، ص67.
(5) محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني، ص12.
(6) محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني، ص6 ـ 7 نقلاً عن كتاب الشاب الظريف للدكتور زكي المحاسني، ص25 - 26.

الشركسي الأصل[1].

كذلك كانت هناك مؤسسات صناعية وخاصة الحربية، كما نقلوا بعض العلوم التي كانت في بلادهم الأصلية فقد ((تمكنوا من صنع ملح البارود من روث الغنم، وقد جلب الجركس هذه الصناعة إلى مصر فاستعمله السلاطين الشراكسة في حروبهم))[2].

5. **السلاطين والعلم:** نذكر بعض السلاطين الشراكسة على سبيل المثال:

السلطان الظاهر بيبرس: مدة سلطنته (658-676هـ) حيث انتهت بانتقاله إلى رحمته تعالى. مما قام به بناء الجامع الأعظم بالحسينية، والمدرسة الصالحية، وقناطر السباع وله بدمشق المدرسة الظاهرية الجوانية. وله فتوحات عدة. كان رحمه اللَّه يميل إلى التاريخ وأهله ميلاً زائداً ويقول: «سماع التاريخ أعظم من التجارب»[3].

السلطان الظاهر برقوق بن آنص: مدة سلطنته (784-791هـ) حيث خلع لمدة وسلطنته الثانية (791-801هـ) وانتهت بانتقاله إلى رحمته تعالى. ومن أعماله بناء المدرسة المعظمة بين القصرين، وصاحب التربة المعظمة، وكان شهماً جليلاً، عرف بحبه للأدب والعلم وحضور مجالسها. وكان له مصحف بخط عبد الرحمن الصائغ وهو معروف حالياً في دار الكتب المصرية، أو في مسجد برقوق بالنحاسين. ودفن رحمه الله تحت أقدام المتصوفة والفقراء بالعراء حسب وصيته وابنه فرج بنى فوقهم تربة، وبالقرب منهم مسجداً[4].

السلطان المؤيد سيف الدين شيخ المحمودي: مدة سلطنته (815-824هـ) انتهت بانتقاله إلى رحمته تعالى. من أعظم أعماله بناء المدرسة المؤيدية ذات

---

(1) تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ص172.

(2) حرب بزيقوه ج1، ص8.

(3) نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين ـ تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، ص74- 76. مجلة (العربي) ـ العدد 281 نيسان 1982، ص68، خطط الشام ج6، ص83.

(4) نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، ص115 ـ 119، مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 310 أيلول 1984، ص135، مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد الخامس، ص46.

البناء الهائل الحافل، ومدرسة السلطان المؤيد بدمشق. قال ابن حجـــر العســـقلاني عنه ((كثير التعظيم لأهل العلم والإكرام لهم)) وكان رحمه الله يحـــدث بأحاديـــث البخاري، وكان صاحب إجازة (شهادة) من العالم والمدرس السراج البلقيني، تلـــك الإجازة التي كانت في جيبه في كافة أسفاره وترحاله[1].

السلطان الظاهر سيف الدين قطز: سلطنته كانت في عام (824هـــ) حيث انتقل لرحمته تعالى، بعد توليه بمدة ثلاثة شـــهور ويـــومين. وكـــان مـــن العـــارفين والمتكلمين بالفقه وفق مذهب الإمام أبي حنيفة. وكان يحفظ بدقة وذوق وبراعـــة الشعر[2].

السلطان العزيز يوسف بن برســـباي: وسلطنته كانت عام (841هـــ) نظر فـــي فنون العلم والأدب[3].

السلطان الظاهر جقمق: مدة سلطنته ما بين (842–857هـــ) حيث انتقل إلـــى رحمته تعالى. وقد قام بالتراميم للأمكنة، وبناء رصيف بولاق. وعـــرف بحبـــه للأدب والعلم وطلبه وحضور مجالسها وكان محباً للفقهاء وهو ســـلطان متفقـــه وسمع عن ابن الجرزي وحمل إجازة (شهادة) منه[4].

السلطان المؤيد أحمد بن اينال العلائي: تسلطن عام (856هـــ)[5]، واشتغل بالعلم ((وكانت أيام سلطنته في غاية الحسن بحيث كان الخطباء إذا دعوا له يوم الجمعة على المنبر يرتج الجامع من دعاء الحاضرين له))[6].

([1]) نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، ص126 - 127 - الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة، ص17 - 21 - خطط الشام ج1، ص101.

([2]) نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، ص129- الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة، ص24.

([3]) نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، ص133 - نظم العقيان في أعيان الأعيان - تأليف الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن بكر السيوطي، ص179.

([4]) نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، ص134-135، مجلة (النشرة الثقافية) دمشق - العدد الخامس، ص44 - نظم العقيان في أعيان الأعيان، ص103 - الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة، ص18 و22.

([5]) نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، ص139.

([6]) نظم العقيان في أعيان الأعيان، ص40.

السلطان الأشرف قايتباي: مدة سلطنته (872-901هـ) حيث انتقل إلى رحمته تعالى. وهو الذي أنشأ برج المنار بالإسكندرية، وأنشأ القبة المعظمة، والمقصورة الحديدية على قبر النبي ﷺ ورخم مسجد الشريف وجدد عمارة الجامع الأموي بدمشق بعد حريقه. وجدد إيوان القلعة وبنى المدرسة الأشرفية بالقدس وأنشأ آثاراً عظيمة من مدارس وجوامع ومساجد وأسبلة ومكاتب وديارا بمدن مختلفة في كافة أنحاء سلطته[1]. مثل جامعه بالصالحية في القاهرة ورسم بناء خان سعسع على طريق دمشق القنيطرة أثناء مروره بها، ورسم بإصلاح قلعة صفد وعمارتها وإجرار الماء إليها وعمر مسجداً وإيواناً وخاناً لما كان في الغُرابي وهي بمصر[2].

كان رحمه الله معروفاً بحبه للأدب والعلم وحضور مجالسها[3]. وقال ابن إياس عنه بأنه كان (يعظم العلماء)[4]. وكان مهتماً ومشتغلاً بالعلم والمطالعة[5]. وكان له مصحفان محفوظان في دار الكتب المصرية[6].

السلطان الأشرف قانصوه الغوري: مدة سلطنته (906-922هـ) الذي استشهد في معركة مرج دابق. ومن أعماله إنشاء المدرسة مع مكتب وسبيل واختراع بناء منارة المدرسة بأربعة رؤوس. وجدد الميدان وأنشأ قصوراً وجدد ما كان بالقلعة[7]. ومن أهم أعماله ميدان القلعة بالقاهرة، والجامع والقبة والسبيل في الغورية بالقاهرة. وجامع القلعة وخان الخليلي وقصر المقياس في الروضة، وقاعدة العواميد والدهيشة في القلعة، وأنشأ غيرها من القلاع والجسور والترع

---

(1) نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، ص43-146 - خطط الشام /ج6/، ص119.
(2) القول المستظرف في سفر مولانا الأشرف أو رحلة قايتباي إلى الشام - تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، ص46 - 89 - 92 - 100.
(3) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق - العدد الخامس، ص44.
(4) الحركة العلمية في مصر دولة المماليك الجراكسة، ص18 نقلاً عن بدائع الزهور لابن إياس، ص326.
(5) الحركة العلمية في مصر دولة المماليك الجراكسة، ص22.
(6) مجلة (العربي) الكويتية - العدد 310 أيلول 1984، ص22.
(7) نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، ص155 - 158.

والسبل ودور اليتامى[1].

كان رحمه الله معروفاً بحبه للعمل وحضور مجالسها وكان حريصاً على عقد المجالس العلمية والدينية والتاريخية والاجتماعية. وكان ذو حظ كبير من المعارف العامة والعلوم وكان يقرأ التاريخ والسير والقصص وكان له نظم وألحان ويعرف لغات عديدة منها العربية والشركسية والتركية والفارسية والأرمنية والكردية. وسجل الشريف حسين بن حسن بن محمد الحسيني الآمدي الكثير من مجالس الغوري في كتابين هما (نفائس المجالس السلطانية في حقائق الأسرار القرآنية) و(الكوكب الدري في مسائل الغوري) وللدكتور عبد الوهاب عزام مختارات من هذه الكتابين في كتاب أسماه **(مجالس السلطان الغوري)**[2].

هذا ولم يقتصر الأمر على السلاطين فقد ساهم كذلك أبناؤهم الأمراء وكافة الحكام حيث تجد منهم من اشتغل بالتاريخ والفقه والحديث واللغة وكانوا محصلين للعلوم ومشاركين فيها، وأطلق على كثير منهم بجدارة لقب محدث أو فقيه[3].

6. **أسماء الأدباء:** سأذكر بعض الكتاب والأدباء الشراكسة في ذلك العصر على سبيل المثال:

أ. **إبراهيم بن لاشين:** كان عالماً بالنحو والتفسير والفقه والطب توفي عام 749هـ[4].

ب. **الأمير أق بردى:** كان عالماً، وتولى الوزارة لابن عمه السلطان الأشرف قايتباي وكان معروفاً باطلاعه الواسع وتخصص بالطب والكيمياء[5].

([1]) مصر والشراكسة، ص96 - 99.

([2]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق - العدد الخامس، ص43-44 - مجلة (العربي) الكويتية - العدد 281 نيسان 1982، ص68 - مصر والشراكسة، ص101 - الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة، ص22 - 80.

([3]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق - العدد الخامس ص45، الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة، ص21 - 22.

([4]) مصر والشراكسة، ص130.

([5]) مصر والشراكسة، ص130.

ج. **ابن دقماق:** من الكتاب البارزين في ذلك العصر[1]. وله مؤلفات بالتاريخ.

د. **أبو حامد بن خليل بن يوسف المقدسي:** (819-888هـ) كاتب بارز ألف كتاباً في تراجم ملوك الشراكسة وله كتب أخرى منها (المختصر في تاريخ مصر) و(رحلة الأمير بيشبك إلى بلاد الشراكسة بالقوقاز سنة 875هـ)[2].

ه. **الأمير بيبرس الداردار:** ألف كتاباً في أحد عشر مجلداً أسماه (زينة الفكرة في تاريخ الهجرة)، تكلم في بعض أجزائه عن ملوك مصر[3].

و. **جان بلاط:** ومن مؤلفاته كتاب في فن الحرب والفروسية[4].

ز. **جمال الدين يوسف بن يحيى:** قرأ شرح الأجرومية على الشيخ خالد، والقواعد على ابن طولون وحل الألفية عليه، وحل الكنز على القطب بن سلطان، وجده الأمير أزبك الذي أنشأ حديقة الأزبكية المشهورة بالقاهرة[5].

ح. **سيف الدين بن بلبان البيسري:** هو من علماء المتصوفين الفقهاء، كانت وفاته عام 756هـ[6].

ط. **شاهين بن عبد الله:** من العلماء المتصوفين الفقهاء أيضاً، ذاع صيته في زمن السلطان قايتباي وقام برحلات إلى بلاد العجم والشام وغيرها. وكان مشهوراً بالصلاح والتقوى إلى جانب علمه الغزير، وكان كبار البلد والعلماء والقضاة والفقهاء يزورونه ويتبركون به انتقل إلى رحمته تعالى في شوال 857هـ فبنى السلطان على قبره قبة[7].

ي. **صارم الدين قايماز بن إبراهيم بلبان:** كان عالماً في الحديث والفقه[8].

---

(1) مصر والشراكسة، ص132.
(2) مصر والشراكسة، ص129.
(3) مصر والشراكسة، ص129، مجلة (العربي) الكويتية - العدد 281 نيسان 1982، ص69.
(4) مصر والشراكسة، ص129.
(5) مصر والشراكسة، ص130-131.
(6) مصر والشراكسة، ص130.
(7) مصر والشراكسة، ص130.
(8) مصر والشراكسة، ص129.

ك. **السلطان قانصوه الغوري:** بالإضافة إلى ما ذكرنا سابقاً. نذكر بأنه كان شاعراً وعالماً وأديباً، أتقن عدة لغات وله ديوان شعر[1].

ل. **محمد بن إياس:** عالم أديب توفي عام 908هـ ومن أهم مؤلفاته (بدائع الزهور في وقائع العصور) في عدة أجزاء. وما زال هذا الكتاب من أهم المراجع في التاريخ[2].

م. **محمد بن قرقماس:** (802–882هـ) أديب شاعر اشتغل بالفنون على يد الشيخ عبد السلام البغدادي وغيره، وبعدها مال إلى الأدب، وبرع فيه وأصبح مذكوراً، ومن كتبه (زهر الربيع في البدع) أو (شواهد البدع) وله شرحه باسم (الغيث المريع)[3].

---

(1) مصر والشراكسة، ص129.

(2) مصر والشراكسة، ص129-132، مجلة (العربي) الكويتية - العدد 281 نيسان 1982، ص69.

(3) نظم العقيان في أعيان الأعيان، ص158 - 159.

البحث الثاني: الزمن الحديث

ذكرنا الكثير في البحث السابق عن عصر السلاطين، وذلك التوسع كان لا بد منه للاطلاع على بعض الجوانب من ذلك العهد. أما في هذا البحث سأقتصر على ذكر الأدباء الشراكسة بعد انتهاء الدولة الشركسية عام 1517م مع العلم أنه بعد ذلك التاريخ حكم البلاد رجال من الشراكسة أمثال علي بيك الكبير وغيره.

1. **أحمد بن إسماعيل بن محمد كاشف تيمور بن إسماعيل:** المعروف بأحمد باشا تيمور (1871-1930م) كان يعرف عدة لغات العربية والفرنسية والتركية والفارسية. ومن مؤلفاته: تصحيح لسان العرب القسم الأول والثاني - تصحيح القاموس - نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة وانتشارها - قبر الإمام السيوطي - اليزيدية ومنشأ نحلتهم - تاريخ العلم العثماني.

شغل عدة مناصب منه عضوية لجنة حفظ الآثار العربية وعضوية المجمع العربي بدمشق، وعضوية المجلس الأعلى لدار الكتب الملكية وأسس عدة جمعيات وكان عضواً في أول مجلس للشيوخ، وبقي عضواً في المجلس المذكور إلى استقالته لانحراف صحته، وفي أول العام الذي انتقل فيه إلى رحمته تعالى[1].

2. **أحمد ذو الفقار الكاشف:** من رواد الشعر العربي[2].

3. **أحمد رمزي بيك جانبيك:** أديب ومؤرخ وسياسي[3].

4. **أحمد بن علي بن أحمد شوقي بيك:** (1868-1932م) بعد أن نال الإجازة في الحقوق بمصر، تابع دراسته للحقوق والآداب الفرنسية في فرنسا. وكان يتقن رحمه الله اللغات العربية والفرنسية والتركية. وفي عام 1927م عقد مهرجاناً في دار الأوبرا الملكية، فجاءت وفود الأدب من جميع الأقطار، وبايعته بإمارة

([1]) أعلام التونسيين، ص39 - أعلام الأدب والفن - تأليف أدهم الجندي - الجزء الثاني، ص461.

([2]) محاضرات (الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا) - إعداد فيصل موسى حبطوش خوت.

([3]) محاضرات (الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا) - إعداد فيصل موسى حبطوش خوت.

الشعر، واعتبر أميراً للشعراء. ترجمت أشعاره إلى الإيطاليـــة ولغـــات أخـــرى أيضاً[1]. وصفه الدكتور طه حسين بأنه «شاعر الغناء غير مدافع، وشوقي شاعر الوصف غير مدافع، وشوقي منشئ الشعر التمثيلي في اللغة العربية»[2]. وهـــو «بعثه الله نعمة عظمى أسبغها على أبناء العربية جميعاً» وكان غزيـــر الإنتـــاج ومن مؤلفاته بالشعر: الشوقيات في ثلاثة أجزاء – ومـــن القصـــص التمثيليـــة: مصرع كيلوباترة – مجنون ليلى – قمبيز – علي بيك الكبير – عنترة – وكتاب دول العرب وعظماء الإسلام – أميرة الأنـــدلس – وقصـــة تمثيليـــة (أســـواق الذهب)[3].

5. **أحمد بن حسن عبد الله محرم:** (1877–1945م) أحد أعلام الشعر العربي وإذا كان سابقه لُقِبَ بأمير الشعراء فهذا الشاعر لقب بشـــاعر الإســـلام. ومـــن مؤلفاته: (الإلياذة الإسلامية) وهو عمل ضخم يكفي لرفع اسمه وتخليـــده، ولـــه ديوان شعر عنوانه (مجد الإسلام)[4].

6. **أحمد بن محمد المهاجر (داغستاني):** من الأدباء المســـاهمين فـــي الحيـــاة الفكرية الأدبية[5].

7. **إسماعيل صبري باشا:** (1854–1923م) نال شهادة الليسانس في الحقـــوق من فرنسا وشغل عدة وظائف ومناصب منها محافظاً للإســـكندرية، ثـــم وكـــيلاً لوزارة العدلية.

وهو شاعر (امتاز شعره بسمو الخيال وحب الفن والجمال وخفة الروح ورقـــة التشبيب. كان أستاذ الشعراء وشيخهم في الصناعة ومراعاة الدقة في الربط بين المعنى وبين النفس، يمتاز شعره بعاطفة قوية صادقة التي كانت فـــي جميـــع

---

(1) رحلات إلى الأقاليم الشركسية، ص109.
(2) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 42 نيسان 1994 منقولاً عن كتاب (حافظ وشوقي).
(3) أعلام الأدب والفن /ج2/، ص457 ـ 458.
(4) أعـلام الأدب والفـن /ج2/، ص470 ـ مجلـة (الجيـل) ـ تشـرين الثـاني 1989، ص87 ـ محاضرة الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا.
(5) مجلة (الجيل) ـ عدد تشرين الثاني 1989، ص87.

نواحي شعره)[1].

لقب بشيخ الشعراء[2]. وله نظم بالشعر الغنائي غناها مشاهير الفنانين، وله ديوان مطبوع ونظم قصيدة بحادثة دنشواي.

8. **إسماعيل مظهر:** من الأدباء المعروفين بالقاهرة، وهو والد الممثل الشهير أحمد مظهر[3].

9. **ثروت أباظة:** الأديب المعروف[4]. من قصصه: ابن عمار – هارب من الأيام – قصر على النيل – ثم تشرق الشمس – لقاء هناك – الضباب – شيء من الخوف – أمواج ولا شاطئ – جذور في الهواء[5].

10. **حيدر بن عبد الله (داغستاني):** الأديب البغدادي المعروف[6].

11. **جعفر والي:** أديب كبير، شغل منصب وزير في مصر[7].

12. **خير الدين باشا:** من أعلام الحياة الأدبية الفكرية[8].

13. **دسوقي أباظة:** أدب معروف في مصر[9].

14. **راسم رشدي:** أستاذ، أديب، يمكن اعتباره في طليعة المناضلين في سبيل قوميتهم، وله كتب تصدى فيها لمحاولات تشويه الصورة التاريخية المشرقة للشراكسة له قصة (جان) وكتاب (مصر والشراكسة) وكتاب (شركسي يتحدث عن قومه) وأيضاً ألف كتاب (الحرية الفكرية) وكتاب (تاريخ الشراكسة) باللغة الإنكليزية كما ترجم للعربية كتاب (عبد الحميد ظل الله على الأرض)[10].

([1]) أعلام الأدب والفن /ج2/، ص446 - 447.
([2]) محاضرة الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا.
([3]) محاضرة الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا.
([4]) محاضرة الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا.
([5]) جذور في الهواء - تأليف ثروت أباظة، ص104.
([6]) مجلة (الجيل) - عدد تشرين الثاني 1989، ص87.
([7]) محاضرة الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا.
([8]) مجلة (الجيل) - عدد تشرين الثاني 1989، ص87.
([9]) محاضرة الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا.
([10]) محاضرة الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا.

15. **صلاح الدين وهبي:** صحفي وأديب مرموق في مصر، وهو شقيق رائد المسرح العربي الممثل يوسف وهبي[1].

16. **عائشة عصمت التيمورية:** (1840-1902م) شاعرة قديرة، تعلمت الفارسية والعربية والتركية أيضاً ونظمت الشعر بتلك اللغات الثلاث من مؤلفاتها: ديوان (شكوفه) وباللغتين التركية والفارسية طبع عام 1894م - ديوان (حلية الطراز) باللغة العربية طبع مرتين 1885م،1892م- كتاب (الأحوال في الأقوال والأفعال) - كتاب (مرآة التأمل في الأمور) - وألفت بعض الروايات التمثيلية وكتبت عدة مقالات في الصحف منها (جريدة المؤيد) المصرية[2].

17. **عزيز أباظة:** الشاعر الكبير رائد الشعر المسرحي العربي[3]. من مؤلفاته: أنات حائرة - شجرة الدر - غروب الأندلس - العباسة - قافلة النور - الناصرة (شعر).

18. **علي الجارم:** شاعر أديب[4]. درس بالأزهر ونال دراساته العالية في دار العلوم بالقاهرة، فأوفد في بعثة دراسية إلى إنكلترا، وبعد أن عاد عُين أستاذاً في كلية دار العلوم، ثم مفتشاً للغة العربية في وزارة المعارف، ثم كبير المفتشين للغة العربية، وبعد إحالته على التقاعد، انتخب عضواً للمجمع فؤاد الأول للغة العربية، وكذلك انتخب عضواً للمجمع العلمي العربي بدمشق.

من مؤلفاته: كتاب علم النفس - كتاب في النحو الواضح والبلاغة الواضحة - شاعر الملك - سيدة القصور - فارس بني حمدان - خاتمة المطاف - مرح الوليد - غادة الرشيد - هاتف من الأندلس - قصة العرب في اسبانيا - كتاب عن الأدب الأندلسي - ديوان شعر أصدر أربعة أجزاء منها[5].

19. **علي الداغستاني:** كان من العاملين في العلوم والأدب في القرن الثاني

---

(1) محاضرة الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا.
(2) أعلام الأدب والفن /ج2/، ص525 - 528.
(3) محاضرة الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا.
(4) محاضرة الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا.
(5) محاضرة الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا. أعلام الأدب والفن /ج2/، ص472.

عشر وكان عالماً محققاً[1].

20. **عمر بن عبد السلام المدني:** وهو من أكبر أدباء الداغستان العرب[2].

21. **فكري أباظة:** أديب في مصر[3]. مما كتب عنه «في مصر عباقرة موهوبون تزعموا القلم المتفتح عن كفاءة عملية اقتنع بخلوها أصحاب الأذهان الصافية، وهم يعرفون شؤونها معتمدين على المبادئ الإنسانية الحساسة الهادفة إلى عبث إرادة الخير الفاعلة في نفوس الطبقات المهذبة التي يرى ذووها في إرسالهم إلى دنيا الفناء، ليس من أجلهم فحسب، بل من أجل بني الإنسان أينما كانوا وأقاموا، في مصر أساتذة فواقون في الميدان، فكري أباظة باشا، عباس محمود العقاد، محمد التابعي، أحمد خميس» [4].

22. **فولاذ يكن:** (1901-1926م) كان رحمه الله شاعراً، من أعظم من نظم باللغة الفرنسية في تاريخ الجيل، وهو ابن ولي الدين يكن[5].

23. **مصطفى يحيى:** كاتب وهو مترجم كتاب (الدرر الغوال في معالجة أمراض الأطفال) من العربية إلى التركية[6].

24. **محمد السباعي:** أديب في مصر، وهو والد الأديب يوسف السباعي[7].

25. **الشيخ محمد زاهر الكوثري:** ذلك العالم المسلم، وله كتابات عدة[8].

26. **محمد طاهر لاشين:** مهندس، أديب بمصر[9].

27. **محمد فريد وجدي:** اعتبر أديباً إسلامياً كبيراً، وهو صاحب مجلة

---

(1) خطط الشام /ج4/، ص65.
(2) مجلة (الجيل) - عدد تشرين الثاني 1989، ص87،
(3) محاضرة (الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا).
(4) شموع في الظلام تأليف أحمد شيخ خميس، ص33، 34.
(5) أعلام الأدب والفن /ج2/، ص467.
(6) بناء دولة مصر محمد علي تأليف محمد فؤاد شكري وعبد المقصود العناني وسيد محمد خليل، ص114.
(7) محاضرة (الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا).
(8) مجلة (الجيل) عدد تشرين الثاني 1989، ص87.
(9) محاضرة (الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا).

(الدستور) ومخرج التفسير المسمى بالمصحف المفسر عـــام 1953م. ومؤلـــف دائرة معارف القرن الرابع عشر – القرن العشرين في عشرة مجلدات[1].

28. **محمود سامي بن حسن حسني البـــارودي: (1838-1904م)**. وينتســـب أجداده إلى حكام مصر، وهو من الأعلام في الشعر الحديث، وسياســـي بـــارع، سطع نجمه في سماء الأدب، ولقب الشاعر برب السيف والقلم وفارس الميـــدان والبيان، وكان رائد الشعر العربي ومجدده وباعث نهضته الحديثة. سافر لعـــدة بلدان من مصر للأستانة وبلدان نُفي إليها، وكان يـــتقن عـــدة لغـــات التركيـــة والفارسية حيث درس آدابها والإنكليزية أيضاً.

تخرج من المدرسة الحربية والتحق بوزارة الخارجية في الأســـتانة، وترقـــى بمصر لعدة مناصب بالجيش، وحينما أعلنت تركيا الحرب مع روســـيا، كـــان ضمن الجيش الذي سافر من مصر لمحاربة الروس مع الأتراك وأبلـــى فـــي المعارك بلاءً حسناً فرفع إلى رتبة لواء وحظي بعدة أوسمة. وفي عهد توفيـــق تولى وزارة الأوقاف وولي وزارة الحربية وتولى رئاسة الـــوزارة، وخـــاض الثورة مع الخائضين، ونصح عرابي وكان له دور إيجابي كبير فـــي حركـــة الثورة العرابية ونضالها ضد الاحتلال الإنكليزي. ولكن بعد أن أخفقت الثـــورة نفي إلى ((سرنديب)) في سيلان ثم إلى مدينة ((كولومبا)) ثم إلى ((كندا)) ومن منفاه كان يراسل الأمير شكيب أرسلان شعراً. عاد من المنفى عـــام 1900م، واستقبلته مصر بكل حفاوة وترحاب، وكات عودته عيداً للأدب الرفيع، ومـــن شعره الذي مدح فيه نسبه وأجداده:

وحسب الفتى مجداً إذا طالب العلا   بما كـــان أوصـــاه أبـــوه وجـــده

وله ديوان من الشعر في الأدب وله مختارات في أربع أجزاء وديوان شعر فـــي

---

(1) محاضرة (الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا).

جزأين[1].

29. **السيدة نفيسة:** كانت زوجة مراد بيك وبعد وفاته تزوجت علي بك الكبيـــر، وكانت ذات جمال وتهذيب وأدب وخلق وثقافة عالية. تعلمت العربية وقرأت الكتب العلمية والأدبية واتسعت معارفها واكتسبت احتـــرام العلمـــاء والأمـــراء لعلمهـــا وحكمتها ونفوذها الواسع أيضاً، وكانت مقصد الزعماء ورجال الدين أمثال الســـيد البكري، والشيخ الشرقاوي، وكانت محترمة الرأي، ودفنت رحمها الله في القرافـــة الصغرى بجوار الإمام الشافعي[2].

30. **ولي الدين يكن:** (1873–1921م): شاعر وأديب كان يعـــرف العربيـــة والتركية والفرنسية والإنكليزية، أصدر جريدة ((الاستقامة)) في مصر ونفي إلى سيواس، وألف هناك كتاب ((المعلوم والمجهول)) وفي الأناضـــول كتـــب فـــي صحف عديدة، وتولى رئاسة تحرير جريدة الأقدام ومن مؤلفاته: كتاب المجهول والمعلوم – الصحائف السود – التجارب – خواطر نيازي أو صحيفة من تاريخ الانقلاب العثماني الكبير – ترجم إلى العربية رواية الطلاق لمؤلفها بول روجـــه – وله ديوان شعر في سبعة أقسام مختلفة[3].

31. **يحيى حقي:** أديب قاص بمصر[4].

32. **يوسف السباعي:** أديب كبير. تولى رئاسة اتحاد كتاب آسيا وإفريقيا، وتولى وزارة الثقافة والإرشاد القومي، اغتيل في قبرص عام 1978م رحمه الله[5].

---

(1) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد السادس، ص209–213 - أعلام تونسيون، ص239 - مجلة (الجيل) عدد تشرين الثاني 1989، ص87 - أعلام الأدب والفن /ج2/ ص432-435. محاضرة (الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا)، عصر إسماعيل تأليف عبد الرحمن الرافعي بك /ج1/، ص254 - عصر إسماعيل /ج2/، ص174.

(2) مصر والشراكسة، ص185-187.

(3) أعلام الأدب والفن /ج2/، ص464–465 - محاضرة (الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا).

(4) محاضرة (الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا).

(5) محاضرة (الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا).

الفصل الخامس

في بلاد الشام

فيما يلي بعض كتاب وأدباء بلاد الشام الذين هم من أصل شركسي:

1. **أديب سليمان باغ:** (1928-1964م) بعد أن نال الإجازة في الآداب متخصصاً في الجغرافية، ودبلوم في التربية أوفد إلى باريس وفي 1958/11/15م تقدم بأطروحته عن إقليم الجولان إلى اللجنة الفاحصة في جامعة السوربون، ونال درجة دكتور في الآداب. درّس المرحوم في جامعة دمشق بسورية، وجامعة عمان بالأردن، وله مؤلفات عدة منها:

أ. الصناعة في سورية بين 1928-1958م باللغة الفرنسية.

ب. إقليم الجولان دراسة في الجغرافية الإقليمية بالفرنسية وتم ترجمته للغة العربية.

ج. ترجم إلى العربية كتاب (المدخل إلى علم الجيولوجيا) بالاشتراك مع الدكتور يوسف خوري. كما ألف باللغة العربية ما يلي:

د. جغرافيا أمريكا.

ه. البيئات.

و. الحيوية والترب.

ز. جغرافية استراليا.

ح. جغرافية آسية.

ط. الجغرافية البشرية للبلاد العربية بالاشتراك مع الدكتور صلاح الدين عمر باشا.

ي. وكذلك بالاشتراك معه أيضاً كتاب (اقتصادية البلاد العربية).

ك. وكذلك كتاب (الجغرافية البشرية والاجتماعية).

ل. المدخل لدراسة الجغرافية البشرية.

م. أما كتاب (المدخل إلى الجغرافية الطبيعية) كان بالاشتراك مع الدكتور صلاح والأستاذ عمر الحكيم.

ن. وكتاب (جغرافية بلاد الشام) بالاشتراك مع الأستاذ بسام كرد علي والأستاذ داود صليبا[1].

2. **أحمد وصفي زكريا: (1889–1964م):** هو أول من درّس العلوم الزراعية في سورية، وكلف بإدارة مدرسة سلمية الزراعية. وخلال وجوده باليمن كتب في مجلة المقتطف المصرية، وفي بعض الصحف السورية، وشغل وظيفة مفتش عام لوزارة الزراعة وبقي فيها إلى أن أحيل للتقاعد عام 1950م.

له مؤلفات زراعية وترك العديد من المخطوطات القيمة، حيث مرضه حال دون إتمام طبعها ونشرها. ولكن سأذكر فقط مؤلفاته في المجال التاريخي والجغرافي وهي:

أ. المخطط والآثار في بلاد الشام.

ب. المروج الإستراتيجية المنسية في التواريخ العربية.

ج. مدينة أفاميا الأثرية.

د. ذكرياتي عن وادي الفرات وطبع عام 1916م.

ه. الريف السوري في جزأين طبع لأول مرة عام 1927م وصدرت له طبعة أخرى عام 1957م.

و. جولة أثرية طبع عام 1934م وله طبعة أخرى عام 1984م.

ز. عشائر الشام في جزئين طبع عام 1947م[2].

3. **أمين سمكوغ: (1900– 1952م)** نال من جامعة السوربون بفرنسا دبلوم اختصاص في الزراعة العامة، ودبلوم في السياسة الدولية، وفي سورية فاز

([1]) الجولان تأليف الدكتور أديب سليمان باغ، ص3-4.

([2]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد الخامس، ص104-106 - وخطط الشام /ج4/، ص75.

بالانتخابات للمجلس النيابي السوري عام 1930م، وتقلد رئاسة بلدية القنيطـــرة. من مؤلفاته:

أ. الألف باء الشركسية.

ب. أشعار شركسية.

ج. تاريخ الشراكسة منذ القديم وحتى العصر الحديث.

د. مقتطفات من أقوال المؤرخين عن بطولات الشراكسة في حروبهم ضـــد القياصرة[1].

4. **بدر الداغستاني:** من الأدباء في القرن الحالي بسورية[2].

5. **جودت سعيد:** عالم وباحث ومفكر إسلامي، من الداعين إلى اللاعنف، مـــن مؤلفاته:

أ. مذهب ابن آدم الأول أو مشكلة العنف في العمل الإسلامي.

ب. الإنسان حين يكون كلاً وحين يكون عدلاً.

ج. فقدان التوازن الاجتماعي.

د. حتى يغيروا ما بأنفسهم.

ه. العمل قدرة وإرادة.

و. أقرأ وربك الأكرم.

6. **جودة بن عمر شركس الركابي:** ولد عام 1913م حاز من جامعة السوربون بباريس على شهادة الليسانس في الآداب وشهادة مدرس اللغات الشرقية، وشهادة دكتوراه الدولة في الأدب، مع درجة الشرف الممتازة، وبعد عودته للوطن عـــين أستاذاً في المدارس الثانوية ثم محاضراً في كليـــة الآداب بالجامعـــة الســـورية، ومفتشاً اختصاصياً باللغة العربية بوزارة المعارف. من مؤلفاتـــه: الشـــعر فـــي العصر الأيوبي باللغة الفرنسية، وكتاب لإبن سناء الملك عن شعر الموشـــحات،

([1]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد السادس، ص17-18.

([2]) خطط الشام /ج2/، ص75.

وغيرها من الدراسات والمقالات[1].

7. **الدكتور عادل عبد الســلام:** من أساتذة جامعة دمشق بسورية، له مؤلفات في الجغرافية منها: (أشكال الأرض علــم أشــكال الأرض) و(جغرافيــة ســورية الإقليمية) وهو من المهتمين بالدراسات الشركسية وأصدر قاموس شركسي عربي عام /2002/.

8. **فاضل لقمان:** عضو في اتحاد الكتاب العرب بسورية يتقن عدة لغات العربية والشركسية والإنكليزية والتركية، عمل مدرساً للغة الإنكليزيــة، لــه مؤلفــات مترجمة منها الأبخاز أشهر معمري العالم عن اللغة الإنكليزية، وله كتب مترجمة عن اللغة التركية.

9. **كاظم بن نجيب الداغستاني:** من مواليد عام 1900م تلقــى علومــه العليــا بالجامعة السورية والسوربون بباريس، يحمل شهادة الليســانس فــي الحقــوق، وشهادة الدروس الفلسفية العليا، وشهادة الدكتوراه في الآداب والعلوم الاجتماعية، شغل منصب مفتش في ديوان مجلس الوزراء لأول حكومة عربية عام 1920م ثم عين قائم مقام لمعرة النعمان، ثم مديراً لغرفة رئاسة مجلس الوزراء، ثم مديراً لغرفة رئاسة الجمهورية السوري، ثم محافظاً لحوران، ثم مفتشاً إدارياً في وزارة الداخلية، ثم مديراً لشؤون الحج، ثم مديراً عاماً للأحوال الشخصية من مؤلفاتــه: (الأسرة الإسلامية في سورية) باللغة الفرنسية، واشترك بتأسيس مجلة (الثقافــة) بدمشق كما ساهم في تحرير عدة مجلات وجرائد عربية[2].

10. **مدحت عكاشة:** ولد عام 1923م أديب وشاعر وصــحفي يحمــل شــهادة الإجازة في الحقوق، وعمل مديراً لكلية دمشق العربية، ثم نقيباً للتعليم الخــاص وهو عضو في اتحاد الكتاب العرب. وهو مؤســس مجلــة (الثقافــة) ورئــيس تحريرها من مؤلفاته:

---

(1) من هم في العالم العربي (الجزء الأول) سورية، ص272-273.
(2) من هم في العالم العربي /ج1/ ص235، خطط الشام /ج4/، ص75.

أ. ابن الرومي.

ب. رسائل الجاحظ.

ج. روائع الأدب الأندلسي.

د. القصائد الأولى مترجم عن الإنكليزية.

ه. كتاب الثقافة العدد الأول والثاني.

و. بدوي الجبل.

ز. ديوان شعر عنوانه (يا ليل)[1].

11. **محمد وليد حافظ:** عضو في اتحاد الكتاب العرب بدمشق يحمل شهادة ماجستير في الأدب العربي، في روايته الخندق تناول سير حرب تشرين 1973م من خلال المهمات القتالية لفصيلة دبابات (ولعل من يميز هذه الرواية أنها كتبت من خلال معرفة تامة بطبيعة الفعل العسكري ومجرياته التكتيكية والإستراتيجية على أرض المعركة وارتباط ذلك بالجبهة الداخلية)[2] وله مؤلفات أخرى عديدة.

12. **مدوح قوموق:** من مواليد عام 1940م يحمل شهادة جامعية من كلية الآداب بجامعة دمشق قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية، عمل مدرساً في الجزائر وعمل في مكتب الأمم المتحدة للطفولة (اليونسيف) بدمشق، له قصص قصيرة باللغة العربية والشركسية. صدر له ما يلي:

أ. بانتظار الفجر ترجمها للعربية عن اللغة الشركسية.

ب. مسرحية الريح والجبال مترجمة عن الشركسية أيضاً.

ج. ملاحم نارت الشركسية.

13. **الأمير منجك بن محمد بن منجك بن محمد باشا منجك اليوسفي: (1596-1674م)**: وكان من أجداده الأمير إبراهيم باني جامع منجك بالجزماتية بحي الميدان، كان الأمير منجك بن محمد رحمه الله شاعراً بارعاً تولى طبع ديوانه

---

(1) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد الخامس، ص111-113.

(2) جريدة البعث الدمشقية العدد 8956 تاريخ 1992/10/5، ص5 من البعث الأسبوعي.

المرحوم عبد القادر بن عمر نبهان، ومن شعر الأمير منجك حينما تعرض لـــه ابن الأرناؤوط:

لعمري لـــيس بالأشـــعار فخـــري ولكـــن بالقواضـــب والعـــوالي[1]

14. **ناديا خوست:** أديبة وكاتبة مشهورة في القطر العربي السوري لها مؤلفات كثيرة منها (في القلب شيء آخر).

15. **شوكت المفتي:** من شراكسة الأردن من مؤلفاته:

أ. أباطرة وأبطال في تاريخ القفقاس.

ب. موجز تاريخ الأديكة (الجركس) القديم مترجم عن الألمانية.

ج. كتاب باللغة الألمانية حول علاقة اللغة الشركسية باللغة السنسكريتية.

16. **محمد خبر حغندوقه:** من مواليد عام 1915م تولى عدداً من المناصب في الأردن، من مؤلفاته:

أ. تاريخ الشركس باللغة العربية.

ب. تاريخ الشركس باللغة الإنكليزية.

ج. كتاب وثائقي لميرزا باشا وصفي.

(1) أعلام الأدب والفن /ج2/، ص109-112.

الفصل السادس
في دول أخرى

البحث الأول: أدباء وكتاب

سأقتصر على ذكر أديبين شركسيين فقط الأول عاش في فرنسا، والثاني في أمريكا:

1. **آيتك ناميتوق:** (1892–1963م) أستاذ قانوني ومؤرخ وباحث، بعد دراسته الحقوق في بطرسبورغ أصبح عام 1917م عضواً في لجنة التعليم للشعوب غير الروسية التابعة لوزارة الثقافة في زمن الحكومة المؤقتة، وانتخب أيضاً عضواً في البرلمان الروسي، وأصبح عضواً أيضاً في لجنة وضع الدستور الروسي الجديد، ولكن بعد استيلاء البلاشفة على السلطة عاد إلى شمال القفقاس، وأصبح ممثلاً لحكومة شعوب شمال القفقاس في الكوبان عام 1918م، وفي نفس العام حضر مؤتمر باريس للسلام عضواً في الوفد الذي مثل شعوب شمال القفقاس، وحينما قضى الشيوعيون على دولة شعوب شمال القفقاس، استقر بباريس وتابع دراسته العليا في جامعة السوربون.

كان رحمه الله من المهتمين بتاريخ ولغات شمال القفقاس وكرس حياته للنضال من أجل قضية شعوب شمال القفقاس، وللمحافظة على التراث والثقافة الشركسية، وكان يتقن ست لغات قراءة وكتابة، له أبحاث ودراسات نشرت في الصحف والمجلات ومن مؤلفاته: تاريخ الشراكسة كتبه باللغة الفرنسية وهذا الكتاب مترجم للغة العربية، وكتب قصص (تسي إبراهيم) باللغة الفرنسية وبالاشتراك مع البروفسور جورج دوميزيل[1].

2. **جنكيز بن سلطان قادر جويري:** ولد عام 1921م كاتب وناشر يكتب

---

(1) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص110 - أصل الشركس، ص5-6.

بالإنكليزية بعد أن خرج أبوه من القفقاس إلى تركيا ومنها كـــان المســـتقر فـــي أمريكا خلال الحرب العالمية الثانية كان جنكيز رئيس القسم الروسي في مكتـــب الارتباط بين القيادتين الأمريكية والروسية في النمسا، ثم عضواً بالوفد الأمريكي إلى مؤتمر السلام في موسكو عام 1947م له كتب عدة وأول كتاب له عنوانـــه (ظل القوة)[1].

([1]) رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، ص110.

البحث الثاني: الطابع العام للأدباء في المهجر

1. **في الدول الأجنبية:** في تركيا وفي ضوء الأحداث وما عاناه الشراكسة فيها، ولقرب تركيا من روسيا، وبعد اتضاح الدور التآمري مع القياصرة والإنكليز، كان كلما سنحت لهم الفرصة يكتبون عن الشعور القومي، ولتعلم اللغة الشركسية والحث على العودة إلى أرضهم.

أما في الدول الأخرى مثل فرنسا وألمانيا وأمريكا، كان الكتاب الشراكسة فيها هم ممن تم إخراجهم لأسباب سياسية غالباً، وإثر الأحداث المتتابعة، والتي كان آخرها قضاء البلاشفة على جمهورية اتحاد شمال القفقاس، وبالطبع كانت كتاباتهم تحوي نفس مواضيع الكتاب في تركيا.

2. **في الدول العربية:** في مصر زمن السلاطين، لانشغالهم بالدفاع والذود عن أرض الإسلام ضد التتار والصليبيين. في البدء لم يمارسوا الكتابة، ثم ظهر الكتاب من الشراكسة حين حل السلام والهدوء على الحدود الخارجية. ومع ذلك كانت كتاباتهم ككتابات ذلك الزمان ترتكز على العلوم الدينية بالدرجة الأولى، فكتبوا في علوم الدين المختلفة. وكتبوا أيضاً في الأدب العربي والتاريخ ووصف لبعض الرحلات وقيم آخرين وشرح الإنجازات العظيمة لهم، والتي تشهد عليها الآثار الباقية خلال هذه السنين. في الزمن الحديث، وكما في بلاد الشام كان الكتاب الشراكسة يكتبون المواضيع العامة المختلفة، ولم يظهر كاتب شركسي كرّس جزءاً من وقته في الكتابة عن قومه. بل كتبوا عن الأرض التي يعيشون عليها، وأغنوا الأدب العربي. وتجد منهم فطاحل في الأدب في مختلف فروعه فمثلاً بالشعر تجد لقب أحدهم أميراً للشعراء العرب وفي الأدب النثري تجد من كتب عن البطولات العربية مثل حرب تشرين التحريرية لبعض الكتاب الشراكسة.

أما من كتب منهم عن مواضيع متعلقة بالشراكسة من قصص وتراجم ودراسات فهم قلة. وهم من غير المختصين ومن غير الكتاب أصلاً. وكان ذلك كله سواء

الذين هم أعضاء في اتحادات الكتاب في الأقطار التي يعيشون فيها أو أولئك من غير المختصين والذين كتبوا عن قومهم، كلهم استخدموا لغة غير لغتهم القومية، بل ربما من يعرف بلغته منهم قلة جداً.

الخاتمة

الفصل الأول

الشراكسة والحياة

لقد تم توضيح قدم اللغة الشركسية، وقدم الشعب الشركسي، وذلك بتقديم الأدلة على ذلك، وهم ينحدرون من النارتيين[1]. ولم نتطرق إلى النظرية التي تقول إن منشأ الإنسان الأول هو القفقاس، لأن ذلك خارج موضوع هذا الكتاب الذي غرضه التكلم عن اللغة الشركسية.

ذكرنا كذلك ما قدمه الشراكسة للعرب وللإسلام، وخاصة زمن حكم سلاطينهم الذي كان مقره مصر، فقد حموا بلاد الإسلام من المعتدين[2] من الشرق التتار ومن الغرب الصليبين. وأبقوا على اللغة العربية باستعمالها كلغة رسمية للدولة بعكس العثمانيين[3]. كما كان أبناء العرب يشتغلون في المناصب[4] العالية. وتطرقنا إلى العلوم المختلفة التي انتشرت في زمنهم، وخاصة الموسوعات وعلوم الدين[5] المختلفة، حيث أن ما ألف في عصر السلاطين هو المرجع في أغلب العلوم وخاصة الدينية إلى وقتنا الحاضر. وكل ذلك في عصر عاصف بالحروب والأوبئة والمجاعات[6].

هذا مع العلم بأن الشراكسة قد فرض عليهم الحرب خارج الوطن العربي أيضاً. فقد شاركوا المسلمين في عدة حروب. بدأت بمشاركة العثمانيين في حرب القرم سنة 1856م وبعد ذلك حاربوا مع الحلفاء العثمانيين والإنكليز والفرنسيين، وكل

---

(1) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد السادس، ص53.
(2) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 281 نيسان 1982، ص68.
(3) الموجز في تاريخ الدولة الإسلامية وعهودها في بلادنا فلسطين /ج2/، ص107.
(4) دمشق بين عصر المماليك العثمانيين، ص6.
(5) مصر والشراكسة، ص132.
(6) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق العدد الخامس، ص48.

ذلك للحصول على حقهم بإقامة دولة لهم على أرضـــهم وفـــي بلـــدهم الأزلـــي القفقاس. فماذا كانت النتيجة في مؤتمر باريس؟.

لم يأتِ أحد بذكرهم حتى العثمانيين حماة الإسلام في ذلك العهد «وحـــين سُـــئل المندوب الإنكليزي عن نصيب الشراكسة من هذه الحرب قال: لا يمكن أن نكون مسلمين أكثر من المسلمين أنفسهم!»[1] تماماً كما هـــو لســـان زعمـــاء أمريكـــا وأوروبا اليوم.

شارك الشراكسة مع إخوانهم في البلدان التي يعيشون فيها وقـــاموا بمـــا يمليـــه الواجب عليهم. ووصلوا إلى مراتب عالية في السلطة أيضاً. فشغل الكثير مـــنهم منصب السلطان زمن السلاطين، وأصبحت منهم ملكات، منهن جلالـــة الملكـــة فريدة بمصر[2]. وعين رئيس دولة في سوريا الداماد أحمد نامي باشا[3]. ومنصب نائب رئيس مثل نائب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر. وشغل ثلاثـــة مـــنهم منصب الصدر الأعظم في السلطة العثمانية[4]. وشكل الكثيـــر مـــنهم الـــوزارة وأصبحوا رؤساء وزارة حيث شغل ثمانية عشر منهم ذلـــك المنصـــب بمصـــر وحدها حتى عام 1952م. فتجد منهم من شكلها مرة ومنهم مرتين ومنهم ثلاثـــة ومنهم خمسة مثل السيد حسين سري باشا في أعـــوام 1940-1941-1949م ومرة ثانية في نفس عام 1949م والأخيرة عام 1952م[5]. وفـــي الأردن نجـــد دولة السيد سعيد باشا المفتي أربع مرات، مرتين في نفس عام 1950م ومرة عام 1955م ورابعة عام 1956م[6]. وشغل الكثير منهم منصب وزير فنجد في مصر حتى عام 1952م اثنان وتسعون شخصاً. وبعد ذلك تولى آخرون منصب وزير

(1) مجلة (العربي) الكويتية ـ العدد 417 ـ آب 1993، ص118.
(2) شركسي يتحدث عن قومه، ص55.
(3) محاضرة (الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا)، مجلة (العمران) دمشق ـ العدد 57 ـ 58 من ميسلون إلى الجلاء.
(4) فلسفة التاريخ العثماني، ص39-40.
(5) محاضرة (الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا).
(6) الشركس، ص83.

منهم فتحي رضوان ويوسف السباعي وحديثاً ماهر أباظة[1]. وفي الأردن حتى عام 1980 نجد عشرة أشخاص شغلوا منصب وزير ويوجد حالياً وزراء أيضاً[2]. ونجد رؤساء أحزاب أيضاً مثل فؤاد محي الدين زعيم حزب التجمع الوطني بمصر[3]. وشارك الشراكسة في عمليات التحرر ونقل الأنظمة إلى نظام جمهوري مثل عمر المحيشن في ليبيا. كما شارك الكثير منهم في مجال الشورى مثل محمد أفندي بغدادي أباظة عمدة كفر أباظة في مصر عام 1873م[4]. وفي سورية نجد في مجلس الشعب الدكتور شرف أباظة[5]. وشغل الكثير منهم منصب محافظ فنجد السيد خالد بك الداغستاني محافظ اللاذقية في سورية عام 1952م[6]. كما شغل الكثير منهم منصب سفير نذكر منهم محمود ثابت باشا سفير مصر في اليونان[7]، ومن الأردن السفير محمد خورما[8]. خلال هذه العجالة أريد أن أوضح أن الشراكسة ساهموا في كافة النشاطات فهم شعروا بالآلام والآمال المشتركة للبلدان التي عاشوا فيها. فشاركوهم في حروبهم. وحتى في مجال الرياضة. وباختصار في كل مجالات الحياة ففي النقابات تجدهم أعضاء في أغلب النقابات في سوريا مثل نقابة العمال والمعلمين وغيرهما...

(1) محاضرة (الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا).
(2) الشركس، ص86.
(3) محاضرة (الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا).
(4) محاضرة (الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا).
(5) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السابع، ص11.
(6) شموع في الظلام، ص85.
(7) محاضرة (الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا).
(8) الشركس، ص92.

الفصل الثاني
الشراكسة ولغتهم

لقد حافظ الشراكسة في بلاد المهجر على لغتهم، أكثر من مائة عـام. بعـد تهجيرهم القسري التآمري من بلادهم. مع تعايشهم لإخوانهم في البلاد التـي استقبلوهم بها[1]. ولكن حالياً يقل من يتقنها لدى جيل شباب اليوم. والسبب من وجهة نظري ناتج عن جهل تاريخهم. وكما قيل «قيمة التاريخ تكمن في أنـه إذا أمكننا أن نعرف من أين جئنا لأمكننا أن نعرف أين ذاهبون»[2]. ولا أرى أي تعارض لتعلمها، ولنتذكر قول الإمام شامل قائد المدافعين عن أرضهم ضد القياصرة الروس «يجب أن نحافظ على لغتنا محافظتنا على تراب وطننا»[3]. ويجب أن لا يشمل قول «أولئك الذين يمكنهم ذكر الماضي، فقضـي علـيهم بتكرار أخطائه»[4].

ما زال الشركس ضمن الشعوب التي يعيشـون معهـم يميـزونهم بـأخلاقهم وبصفاتهم وإخلاصهم وعدم غدرهم وصفات أخرى كثيرة. أليس الواجب علينا أن نعرف لغتنا، ألا يكفي أنه لا يوجد في خارج قفقاسيا فـي الملايـين مـن الشركس سوى ألف شخص يعلم الكتابة والقراءة بلغته[5]. ويذكرني ذلك بقـول الشاعر العربي:

أَجُهْـالاً تقـولُ بنـي لـؤيّ   لعمـرُ أبيـك أم متجاهلينـا

لكن متى يجب أن نتعلمها؟ لا شك أنه كلما تعلمها الشخص في صـغره أتقنهـا.

([1]) الشركس، ص16.
([2]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السادس، ص52.
([3]) بلدي، ص352.
([4]) مجلة (النشرة الثقافية) دمشق ـ العدد السادس، ص52.
([5]) جريدة (غوازا) مايكوب، ص4.

والسبب كثرة أحرفها واختلاف درجات النطق بأصوات الأحرف. ويذكر الشركس في القرى التي كانوا يعيشون فيها بأن أولاد جيرانهم العرب أو التركمان الذين كانوا يرافقون أولاد الشركس أو يعيشون معهم في قراهم، أتقنوا اللغة الشركسية. أما إذا فات قطار التعلم في الصغر، والذي هو أسهل السبل، وأراد الكبير أن يتعلمها. فأرى أن عليه أن يتعلمها كتابة وقراءة كأي لغة أجنبية أخرى ولا يكفي في هذه الحالة التعلم سماعياً فقط.

من الضروريات أيضاً توحيد لهجات الشركس لما فيه من سهولة التعلم والتثقيف، وهذه الدعوة هي على كل لسان تقريباً في القفقاس موطن الشركس الأصلي، أو في البلاد المقيمين فيها، وأذكر منهم السيد داور جعفر الذي كتب ((يجب إعادة توحيد لغة الأمة))[1]. وإنني آمل في جيل الشباب، وجيل المستقبل أن يكونوا مثقفين وواعين بتاريخهم ولغتهم ويكونوا هم الأفضل وأن يعطوا إنتاجاً عملياً أكثر من الأجيال المسنة.

إن تعلم اللغة، وأقصد بها تعلم اللغة ليس لمجرد الكلام والمحادثة، بل التعلم العلمي والأدبي والفني الراقي هي مشكلة لدى كل الأمم. فمن هنا كان القرار بتعليم اللغة العربية في الجامعات والمعاهد السورية، لتكون متابعة لدرسها وتعلمها الذي كان يتوقف سابقاً مع نيل الطالب الشهادة الثانوية.

((قد نسوا أو تناسوا أن اللغة القومية هي عنوان شخصية الأمة، ورمز وجودها، ولو تعلم أبناء الأمة جميعاً اللغات الأجنبية، وبرعوا فيها، وغلبوا أصحابها عليها، وأهملوا شأن لغتهم، لذابوا في غيرهم، ولاضمحلوا ضمن سواهم، ولتنازلوا طوعاً أو جهلاً عن كيانهم القومي ليكونوا لغيرهم تبعاً، ولهانت أقدارهم على الأمم، ومن زهد بلغته كان الناس فيه أشد زهداً))[2].

([1]) مجلة (المستقبل العربي) - عدد أيلول 1992، ص43.

([2]) اللغة العربية لغير المختصين - منشورات جامعة تشرين عام 1983 - 1984.

المراجع

فيما يلي ذكر المراجع حسب ورودها في الكتاب:

1. بلدي: تأليف رسول حمزاتوف. تعريف: عبد المعين ملوحي ويوسف حلاق – سورية، دمشق – دار الجماهير العربية – الطبعة الثالثة، تشرين الثاني 1986م.
2. الشركس: أصلهم، تاريخهم، عاداتهم، تقاليدهم، وهجرتهم إلى الأردن – تأليف محمد خير حغندوقة. الأردن – عمان طبع عام 1982م.
3. معيار اللغات: تأليف عمر رفقي جه جوق – مصر – دار الأنوار للطباعة والنشر طبع عام 1951م.
4. مقدمة ابن خلدون: تأليف العلامة عبد الرحمن محمد بن خلدون – لبنان – بيروت – دار إحياء التراث العربي.
5. جريدة شأن غوازا (الموسوعة) الشركسية العدد /6/ عام 1991م نالتشيك.
6. مختار الصحاح: تأليف محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي – لبنان – بيروت – دار المتنبي للطباعة والنشر – طبعة 1982م.
7. المصباح المنير: تأليف العالم العلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، لبنان – مكتبة لبنان طبعة 1990م.
8. القاموس المحيط: تأليف العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. الطبعة الثالثة 1993م.
9. منجد الطلاب: تأليف فؤاد إفرام البستاني، لبنان – بيروت. دار المشرق الطبعة الأربعون.
10. مجلة النشرة الثقافية – سورية – دمشق. العدد الرابع آذار 1990م العدد الخامس آذار 1991م – العدد السادس آذار 1992م – العدد السابع تشرين الثاني 1992م.
11. فن الحياة فن الكتابة: تأليف الدكتور أسعد أحمد علي – سورية دمشق – مطبعة مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر والتوزيع طبعة عام 1977م.
12. مجلة العربي: الكويت / الأعداد: 126 أيار 1969م، العدد 278 كانون الثاني 1982م، العدد 284 تموز 1982م، العدد 310 أيلول 1984م، العدد 337 كانون الأول 1986م، العدد 342 أيار 1987م، العدد 361 كانون الأول 1988م، العدد 366 أيار 1989م، العدد 367 حزيران 1989م، العدد 368 تموز 1989م، العدد 417 آب 1993م، العدد 425 نيسان 1994م.

13. القوميات والدولة السوفياتية: تأليف هيلين كارير دانكوس، ترجمة هنـــري عبـــودي – لبنان، بيروت – دار الطليعة للطباعة والنشر – الطبعة الأولى تموز 1979م.
14. اللغات القفقاسية: تأليف نهاد برزج – ترجمة ســمير الداغســتاني – الأردن – عمـــان مكتبة الشباب ومطبعتها. عام 1988م.
15. تاريخ القوقاز: تأليف يوسف عزت باشا، تعريب عبد الحميد غالب بـك ـ مصـر ـ القاهرة.
16. القرآن الكريم: السور: البقرة – آل عمران – المائدة – يونس – إبراهيم – الإسراء – مريم – الأنبياء – النمل – الحشر – الجن – الروم.
17. مجلة غوازا الشركسية: مايكوب عدد نيسان 1994 – عدد تموز 1994م.
18. عامان في عمان: بقلم خير الدين الزركلي – مصر – المطبعة العربية، 1925م.
19. عاد وثمود: تأليف الدكتور محمد علي بك بشيمالوق – تعريب الدكتور يوســف كمـــال حتاته سورية – دمشق 1939م.
20. محاضرة «تاريخ الشركس القديم» زهدي سطاس.
21. مجلة الجيل: عدد نيسان 1986م – عدد تشرين الثاني 1989م – عدد شباط 1992م – عدد تشرين الثاني 1993م.
22. اكتشاف وفك رموز الكتابـات القديمـة فـي القفقـاس: تـأليف البروفسـور غ. ف. تورتشانينوف – ترجمة وتعليق دراسة الدكتور عمر شابسيغ – سورية – دمشـق – الطبعـة الأولى – حزيران 1993م.
23. حرب بزيقوه – الجزء الأول – تأليف اسحق مشباش ترجمة المحامي محمد خير خواج طبع في الأردن عام 1989م – /ج2/ طبع في سورية – دمشـق مطبعـة العجلـوني عـام 1991م.
24. دراسة في عادات وتقاليد المجتمع الأردني تأليف: سليمان أحمد عبيدات – طبع لبنان.
25. مجلة المستقبل العربي عدد أيلول 1992م.
26. موجز تاريخ الأديكة «الجركس» القديم تأليف: شورا بكمزا نوغمـو تعريـب شـوكت المفتي حبجوقة – الأردن – عمان – مطبعة الأردن 1953م.
27. طريق الخلاص – تأليف: آن كوله – سورية – دمشـق – منشـورات وترجمـة دار المرشد للطبع والنشر بدمشق مطبعة الألف باء.
28. عشائر الشام ج /1+2/ تأليف: أحمد وصفي زكريا – دار الفكر.

29. مدخل إلى تاريخ الشراكسة تأليف المرحوم أمين سمكوغ سورية – دمشق – دار دمشق طبعة عام 1984م.
30. الموسوعة البريطانية «اللغات القفقاسية».
31. دائرة المعارف الإسلامية – المجلد السادس – «الجركس».
32. قتلة الأمم تأليف: روبرت كونكوست، ترجمة صادق إبراهيم عودة، طبع في عمان – الأردن – الطبعة الأولى عام 1988م.
33. رحلات إلى الأقاليم الجنوبية الشركسية، تأليف: ب. س. بلاس مستشار الدولة لجلالة إمبراطور روسيا القيصرية، تجميع واعداد وصفي ميرزا باشا ترجمة وإخراج الأستاذ فهمي شما. طبع عمان الأردن 1982م.
34. المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي تأليف الدكتور: ألكسندر بينيغسن وشانتال لومبريية كيلكجاي ترجمة: عبد القادر منللي – دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى عام 1989م.
35. أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة – تأليف الدكتور: باتراي اوزبك ترجمة: أحمد راتب زنداقي – مكتبة الشباب ومطبعتها – عمان – الأردن – عام 1988م.
36. مقال بعنوان «الشيشان تفاؤل وقلق».
37. إذاعة مايكوب الشركسية – جمهورية الأديغي ذات الحكم الذاتي في روسيا الإتحادية.
38. شركسي يتحدث عن قومه بقلم: راسم رشدي – مصر – القاهرة – طبعة عام 1947م.
39. الريف السوري ج/1+2/ تأليف أحمد وصفي زكريا – المطبعة العمومية – دمشق – سورية – طبعة عام 1957م.
40. مذاكرات اللجنة اللغوية في جمعية التعاون الجركسية بدمشق – تأليف هارون بله ناوقوه باتوق ـ مطبعة الترقي ـ دمشق ـ سورية ـ طبعة عام 1928م.
41. من ميسلون إلى الجلاء – سيرة سياسية – تأليف منير المالكي – منشورات وزارة الثقافة في سورية – دمشق عام 1991م.
42. ملحق الرسالة الموجهة للمجلس الأعلى للكرنغراس الحزبي التاسع عشر لعموم الاتحاد السوفييتي.
43. البنية الاجتماعية السياسية والدينية في القفقاس في القرن السادس تأليف: شانتل ليمبرسييه كيلكجية ترجمة: نياز باتوق الترجمة غير مطبوعة.
44. محاضرة «اللغات الداغستانية» للدكتور: بدر الدين أواري الداغستاني.

45. أصل الشركس تأليف: آيتكناميتوق ترجمة الدكتور: فؤاد يحيى توغوج – طبع في دمشق – سورية – طبعة عام 1991م.
46. الحلقة المفقودة من تاريخ فراعنة مصر القديم التي تثبت لغتهم شركسية بقلم الطبيب البيطري المتقاعد جه جوق عمر رفقي – مصر – القاهرة – طبع عام 1948م.
47. محاضرة «القواميس والمعاجم الأديغية» للأستاذ الدكتور عادل عبد السلام.
48. ملاحم نارت الشركسية: دراسة وترجمة ممدوح قوموق – دار المجد بدمشق – سورية – طبع عام 1987م.
49. الألف باء الشركسية لواضعه بله ناو باتوق – مطبعة البرق بدمشق سورية – طبع عام 1929م.
50. مقتطفات من المجتمع الشركسي، تأليف: محمد خير التدوقا – مطابع دار الجامعة – دمشق – سورية عام 1964م.
51. مهرجان الأغنية الشركسية نيسان 1992م – العزف والتوزيع الموسيقي للمهندس سعيد بزوقة – غناء فرقة الجيل للفلكلور الشركس – عمان – الأردن.
52. محاضرة «الشراكسة في مصر منذ عهد محمد علي باشا» إعداد فيصل موسى حبغوش خوت عام 1991م.
53. جريدة «النشرة الثقافية» دمشق – سورية – عدد تشرين الأول – 1992م.
54. النظام الداخلي لجمعية المقاصد الخيرية الشركسية بدمشق – سورية.
55. مجلة نارت – عمان – الأردن العدد 79.
56. آخر الراحلين: تأليف باغرات شينكوبا – ترجمة الدكتور محي الدين سليق – طبع في دمشق – سورية – الطبعة الأولى 1988م.
57. الأم الثانية تأليف حكيم يتونوف – ترجمة وديع بشكور – دار الجماهير – دمشق – سورية – 1973م.
58. مجلة «الآداب الأجنبية» – دمشق – العدد 27 أيار 1981م.
59. نور المقابس في تواريخ الجراكس – تأليف: نوح المرتوقي – المطبعة الكريمية ببلدة قزان – طبع عام 1912م.
60. الحدوة المكسورة /جزأين/ تأليف: عليم كيشوكوف ترجمة الدكتور فوزي عطية – دار التقدم موسكو عام 1977م.
61. بانتظار الفجر – تأليف: عليم كيشوكوف ترجمة ممدوح قوموق – دار الفارابي –

بيروت – لبنان الطبعة الأولى – آب 1979م.
62. حجر الرحى تأليف: ماشباشا اسحق تعريب: وديع بشكور – مظهر ابده – دمشق عام 2002م.
63. دوي الرعد تأليف: ميخائيل لاخفينسكي ترجمة: دينا دبجن – دار دمشق – سورية – الطبعة الأولى عام 1983م.
64. عبر دورب الجبال تأليف: أبو زر. أ. ايدميروف – ترجمة: حميد يونس مكتبة الشباب ومطبعتها – عمان الأردن – طبعة عام 1986م.
65. أعلام تونسيون تأليف: الصادق الزمرلي – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1986م.
66. جولة أثرية تأليف: أحمد وصفي زكريا – دار الفكر بدمشق – سورية الطبعة الثانية 1984م.
67. فلسفة التاريخ العثماني. تأليف: محمد جميل بهيم طبع عام 1954م.
68. محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني. تأليف الدكتور: عمر موسى باشا – مطبعة الإحسان – دمشق – سورية، 1979-1980م.
69. الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة – تأليف الدكتور: محمد كمال عز الدين – عالم الكتب – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1990م.
70. مصر والشراكسة – تأليف: راسم رشدي – القاهرة – مصر طبع لأول مرة عام 1947م.
71. الموجز في تاريخ الدول الإسلامية في عهودها في بلادنا فلسطين /ج2/ تأليف: مصطفى مراد الدباغ – دار الطليعة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى – عام 1982م.
72. النظام النقدي المملوكي – تأليف الدكتور حمود بن محمد بن علي النجيدي – مؤسسة الثقافة الجامعية – الإسكندرية – مصر طبعة 1993م.
73. دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين – تأليف: أكرم حسن العلبي – الشركة المتحدة للتوزيع – دمشق – سورية – الطبعة الأولى 1982م.
74. آثارنا في الإقليم السوري – تأليف: أبو الفرج العش – المطبعة الحديثة – دمشق – سورية – الطبعة الأولى عام 1960م.
75. تاريخ البيمارستانات في الإسلام – تأليف الدكتور: أحمد عيسى بك – دار الرائد العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية 1981م.

76. نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين – تأليف: عبد الباسط بن خليل ابن شاهين الملقي – تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة – مصر – الطبعة الأولى – عام 1987م.
77. خطط الشام – تأليف: محمد كرد علي
78. الجزء الأول طبعة سورية – دمشق المطبعة الحديثة عام 1925م
79. الجزء الرابع طبعة سورية – دمشق مطبعة الترقي عام 1926م
80. الجزء السادس طبعة سورية – دمشق مطبعة المفيد عام 1928م
81. نظم العقيان في أعيان الأعيان – تأليف: الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوفي – حرره الدكتور – فيليب حتي – المطبعة السورية الأمريكية في نيويورك عام 1927م.
82. القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف أو رحلة قايتباي إلى بلاد الشام – تأليف القاضي: بدر الدين أبو البقاء محمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغني المعروف بابن الجيعان – تحقيق الدكتور عبد السلام تدمري – منشورات جروس – برس طرابلس الطبعة الأولى 1984م.
83. أعلام الأدب والفن – تأليف: أدهم الجندي – الجزء الثاني – مطبعة الاتحاد – دمشق – سورية – 1985م.
84. جذور في الهواء – تأليف: ثروت أباظة – دار مصر للطباعة – القاهرة – 1974م.
85. شموع في الظلام – تأليف: أحمد شيخ خميس – مطبعة الارشاد – اللاذقية – سورية – عام 1952م.
86. بناء دولة مصر محمد علي – تأليف الدكتور: محمد فؤاد شكري وعبد المقصود العناني – وسيد محمد خليل – دار الفكر العربي – القاهرة – مصر – الطبعة الأولى 1948م.
87. عصر إسماعيل – بقلم عبد الرحمن الرافعي بك – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – مصر – الجزء الأول – الطبعة الثانية – 1948م – الجزء الثاني – الطبعة الأولى – 1932م.
88. الجولان: تأليف الدكتور أديب سليمان باغ – ترجمة الدكاترة: يوسف خوري – وعبد الرحمن حميدة – ومحمد حرب خرزات – ومحمود رمزي – منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق – سورية – 1983م.
89. من هم في العالم العربي – الجزء الأول – إصدر مكتب الدراسات السورية والعربية –

دمشق – سورية 1957م.
90. جريدة البعث – دمشق – سورية – العدد 8956 من البعث الأسبوعي.
91. مجلة العمران – دمشق – سورية – العددان 57،58 – السنة الثامنة 1974م.
92. اللغة العربية لغير المختصين – منشورات جامعة تشرين عام 1983-1984.

الفهرس

من صادرات دار رسلان

- المماليك الشراكسة السعر (12$) المؤلف : شفيق إسماعيل.

إصدار 2017 عدد الصفحات 256 **ISBN: 978-9933-410-54-4**

تعرضت دولة المماليك إلى كثير من الانتقادات واعتبرت مرحلة حكم المماليك بشقيها (التركي والشركسي) مرحلة انحطاط في تاريخ الأمة العربية! فهل كان هذا واقع الحال؟ ألم تحقق دولة المماليك العديد من الإنجازات ليس أولها دحر الصليبيين والمغول؟ أولم يتركوا أوابد ومنشآت عظيمة؟

- هل هبط آدم في القفقاس دراسة تاريخية حول لغة القرشاي بلقار السعر (7$) المؤلف: محمد عمر بغداي.

إصدار 2010 عدد الصفحات 120 **ISBN: 978-9933-18-169- 7**

يدور الكتاب حول لغة القرشاي والبلقار، وهم أحد أقدم سكان شمال القفقاس وأكثرهم تحضراً. انتشرت لغتهم في صميم اللغات العالمية المعروفة والمنقرضة على حد سواء إلى حد اعتبرها الكاتب اللغة الأم التي انبثقت عن لغة سيدنا آدم مباشرة.

- الشعوب الإسلامية في القفقاس وروسيا وآسيا الوسطى السعر (10$) مجموعة مؤلفين/ترجمة: طه الولي.

إصدار 2009 عدد الصفحات 232 **ISBN: 978-9933-18-177-2**

يقدم الكتاب دراسة موسوعية علمية شاملة لتاريخ وحضارة مجموعة كبيرة من الشعوب ذات الانتماء الإسلامي والموجودة بشكل رئيسي ضمن منطقة القوقاز وجنوب ووسط روسيا و آسيا الوسطى.

- أبطال .. مقاتلون .. قادة السعر (8$) المؤلف: شفيق إسماعيل.

إصدار 2007 عدد الصفحات 152

يتضمن الكتاب السيرة الشخصية لعدد كبير من الشخصيات ذات الأصول الشركسية (القفقازية)، والتي كان لها أثر كبير في مراحل تاريخية مختلفة حيث كان منهم القادة العسكريون وحكام الأقاليم والسلاطين رجالات الدولة والفكر.

- المشاهد والآثار في بلاد الشام /مجلد/ السعر (17$) المؤلف: أحمد وصفي زكريا.

إصدار 2017 عدد الصفحات 466 **ISBN: 978-9933-410-25-4**

يطوف العلامة (أحمد وصفي زكريا) الشركسي الأصل بنا في ربوع بلاد الشام شارحاً المسالك والمواقع الموجودة في البلاد في النصف الأول من القرن العشرين. الكتاب ذو قيمة تاريخية غير خافية فهو مرجع فريد يتضمن معلومات غير موجودة في أي مرجع آخر، كما ويعد من عيون أدب الرحلات.

- رحلة إلى الفرات ومقالات أخرى السعر (9$) المؤلف: أحمد وصفي زكريا.

إصدار 2008 عدد الصفحات 187 **ISBN: 978-9933-410-26-1**

يضم الكتاب مجموعة من الأبحاث التي قام بها الباحث والمتعلقة بأوضاع سورية العمرانية في منتصف القرن العشرين. يركز الكتاب بشكل خاص على وضع وادي الفرات وبالأخص مدينة دير الزور وغيرها من المدن، كما ويقدم أبحاث أخرى عن جبل قاسيون ونهر بردى وغيرها.

- القرى والبلدات في جنوب بلاد الشام السعر (12$) المؤلف: أحمد وصفي زكريا.

إصدار 2008 عدد الصفحات 268 **ISBN: 978-9933-410-24-7**

في هذا الكتاب الممتع والشيق يقدم لنا الباحث صورة لعدد كبير من القرى والبلدات في جنوب بلاد الشام في الهيئة الاجتماعية والعمرانية التي كانت عليها في النصف الأول من القرن العشرين.

- طريق الرعب إلى الأوشحة مافه رواية تاريخية شركسية السعر(15$) المؤلف: ألبيرد مالباخو.

تدور أحداث الرواية بداية في مصر حينما يقرر أحد الأمراء المماليك العودة إلى القفقاز بعد سقوط دولة المماليك، ثم تتالى الأحداث المشوقة عبر عدد من أجيال عائلته في القفقاز أثناء النضال ضد أعداء الخارج و الداخل.